الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

دور البحرية الجزائرية في غرب البحر المتوسط

خلال القرن 10هـ/16م

-انقاذ مسلمي الأندلس نموذجا -

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف الأستاذ:

دكتور بوسليم صالح

مشرف مساعد:

أ/بن قايد عمر

إعداد الطالبة:

زيطوط نصيرة

اللجنة المناقشة :

أ.د / ابراهيم بكير بحاز..... رئيسا.

د / صالح بوسليم ..... مشرفا مقررا.

أ / عمر بن قايد ..... مشرفا مساعدا.

أ / يمينة بن صغير ..... عضوا مناقشا.

الموسم الجامعي : 1433- 1434هـ/ 2012-2013م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا وحبيبنا محمد بن عبد الله، اللهم صلي وسلم عليه ما ذكره الذاكرون، وصلى عليه المصلون، وعلى آله وصحبه وعلى من إتبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً مباركاً فيه ملء السموات والأرض وما بينهما.

أتقدم بالشكر الخاص والجزيل أولاً لأستاذي المشرف الدكتور: "صالح بوساليم" على كل مجهوداته وتوجيهاته لي لإتمام هذا العمل طوال فترة البحث.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف المساعد: "بلقايد عمر" على متابعته للعمل وتوجيهاته.

وإلى كل أساتذتي بجامعة غرداية وأخص بالذكر: لخضر عواريب، إبراهيم سعيود، الطاهر بن علي، تكيالين محمد، أبو بكر محمد السعيد، جعفري أحمد، حوتية محمد، مديني بشير، قروي مصطفى.

كما لا أنسى أن أتقدم بالشكر والتقدير، وأن أوجه أسمى وأرقى الكلمات جزيتهم عني كل خير.

شكر آخر من نوع خاص، إلى من وقفوا بجانبي ولم يبخلو عليا بتوجيهاتهم طوال بحثي المتواضع، وأخص بالذكر: عبد الجليل ملاخ، بن قومار جلول، سهيل جمال.

الإهـــــــداء

إلى بهاء الفجر الأبدي ...أبي الحبيب: "أحمد "

وإلى ميناء العشق الأزلي ...أمي الحبيبة: "فاطمة "

وإلى شموع الوفاء الدائمة ...إخوتي الأحبة: مداني، علي، عبد القادر، محمد، يخلف، تركية،قوتة، فطيمة، مباركة، خيرة.

وإلى روح خالتي الغالية "أم الخير"

وإلى نور الأمل السامي في قلبي زوجة أخي "مباركة"

وإلى أبناء وبنات إخوتي وأخص بالذكر: أم كلثوم، فاطمة، إبراهيم، علي، حرز الله، أمينة، نجوى، آية، أنفال، مريم، كريمة، عبد الرحمان، سليمان، نعيمة، منير، حبيبة، محمد، حدّة، لخضر، بشرة،بختة،أحلام.

وإلى أعمامي وزوجاتهم وأخص بالذكر: أم كلثوم، خناثة.

إلى من يقصر المجال لذكرهم ويفيض القلب بحبهم من أخواتي وأصدقائي وزميلاتي، إلى رفقاء الدرب في الجامعة: فطيمة غول، مطلق إيمان، قريبي وسام، بقع فطيمة، سهام، فطيمة إ، زهية، مباركة، جوهرة، سامية، هاجر، رباب، وسيلة، حدّة ع، نادية، نوال، حدّة ر، شريفة، هدى، فوزية، سليمة، فطيمة ب، حنان ر، حنان ج، كريمة نزيهة،عائشة ب.

إلى كل طلبة العلم وخاصة دفعة السنة الثانية ماستر تاريخ حديث ومعاصر.

إلى كل من أحبه قلبي ونسيه قلمي أهدي ثمرة جهدي المتواضع.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى من ساهم في إنجاز هذا البحث خاصة: ابراهيم، محمود، حكيم، علي جقابة، بوطبة خضرة، بوركنة علي، دهان سليمان.

نصيرة

قائمة المختصرات العربية

المصطلح	المعنى
ط	طبعة
ب. ط	بدون طبعة
ج	جزء
ب. س	بدون سنة
ص	صفحة
ش.و.ن.ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

قائمة المختصرات الأجنبية :

المصطلح	المعنى
N°	**Numéro**
P	**Page**
R.A	**Revue Africaine**
ENAL	**Entre prise Nationale Algérienne de Livres.**
T	**Tome**

مقدمة

شهدت منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط مطلع القرن 10هـ/16م العديد من الأحداث والتغيرات أبرزها الغزو الإيبيري لمنطقة الشمال الإفريقي، وماترتب عليه ،وظهور الأتراك العثمانيين كقوة بحرية متنامية غرب البحر المتوسط، حمل لوائها الإخوة بربروس، اللذان كان لهما دورا بارزا في الصراع الإسلامي المسيحي في غربي البحر المتوسط، بل وتعداه إلى حماية المسلمين حتى في أغوار أوربا. فاستطاعا بذلك تحقيق نجاحات هامة ،أثارت قلق القوى المعادية خاصة في مساهمتهم لإنقاذ مسلمي الأندلس .وقد ارتأيت أن يكون موضوع مذكرتي على النحو الآتي: " **دور البحرية الجزائرية في غرب البحر المتوسط خلال القرن 10هـ/16م" إنقاذ مسلمي الأندلس نموذجاً.**

ومن أهم العوامل والدوافع التي حفزتني لخوض غمار هذا الموضوع لنيل درجة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر جملة من الأمور أبرزها:

- إن دراسة موضوع البحرية الجزائرية ودورها في الصراع المسيحي ،الإسلامي غربي المتوسط من المواضيع التي إستهوتني للبحث والداسة ،وذلك أن البحرية الجزائرية في القرن 10هـ/16م، مرت بالعديد من التطورات، فالبحث في هذا الجانب ليس في الأحداث على المستوى الداخلي بل تعداه إلى المستوى الدولي من خلال الإنتصارات التي حققتها البحرية الجزائرية على دول غرب المتوسط.
- أن موضوع البحرية ذو أهمية بالغة لكونه شكّل همزة وصل بين دول ضفتي غرب البحر المتوسط، وحدد علاقاته خلال العهد العثماني، وهذا ما دفعنا لمعرفة خبايا الموضوع.
- أمّا بالنسبة للجزائر في مطلع القرن 10هـ/ 16م فقد شهدت إرتباطها بالأتراك العثمانيين بالإضافة إلى الغزو الإيبيري للسواحل الجزائرية.
- إن الصراع الإسلامي المسيحي في الحوض الغربي للبحر المتوسط ،كان له تأثير كبير على العلاقات بين الجزائر، وإسبانيا، التي غلب عليها الصراع المتواصل، التوتر بين جهة،والحرب من جهة أخرى.
- في حدود اطلاعي إن موضوع دور البحرية الجزائرية غربي للبحر المتوسط،ومساهمتها في إنقاذ مسلمي الأندلس لم يحظ بدراسة معمقة ووافية بالنسبة للأطوار التي مرت بهاكثيرا من الدراسات حول هذا الموضوع ، فجل الدراسات في هذا الجانب كانت تعتمد على الشمولية على غرار الإنفراد في هذا الجانب.
- الإسهام ولو بشكل جزئي في إثراء البحث التاريخي حول الموضوع.

الهدف من الدراسة:

إن الهدف من هذه الدراسة هو معرفة التطورات والمراحل التي مر بها الأسطول الجزائري في القرن 10هـ/16م، والنجاح الذي حققه أمام دول غرب البحر المتوسط، وتسليط الأضواء الكاشفة لتنير غوامضها من خلال هذا الصراع الذي كان إمتداده بالدرجة الأولى إلى سقوط غرناطة عام (897هـ/ 1492م)،وهجرة الأندلسيين إلى الضفة الجنوبية للمتوسط، وملاحقتها من طرف الإسبان.

الإطار الزماني والمكاني:

إخترت القرن (10هـ/16م) كإطار زماني لموضوع دراستي نظراً لأهميته، فالجزائر في هذه الفترة شهدت بروز الأتراك العثمانيين على مسرح الأحداث السياسية بعد توالي الغزو الإسباني لإحتلال سواحلها، بالإضافة إلى الهجرات المتزايدة من طرف الأندلسيين الفارين من الإضطهاد والتنصير القسري، وفي المقابل إزدهار البحرية الجزائرية، ودورها في مواجهة الإحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية، وإلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، أمّا بالنسبة للإطار المكاني رجحت منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط لأنه الراابط بين الضفة الشمالية، والضفة الجنوبية، وهو يعتبر ركيزة الصراع الإسباني الجزائري.

الإشكالية المطروحة حول الموضوع:

فتتعلق بالأوضاع والظروف التي مرت بها البحرية الجزائرية في القرن (10هـ/16م)من خلال الإجابة على التساؤلات الآتية:

فيما تمثل دور الاسطول الجزائري كقوة إقليمية ودولية في غرب البحر المتوسط؟ وماهي إسهاماته خاصة في إنقاد مسلمي الأندلس؟

- ماهي المراحل الكبرى للبحرية الجزائرية بعد الإستنجاد بالأخوين بربروسا؟
- كيف تميز نشاط البحرية الجزائرية غربي البحر المتوسط؟
- من هم الأندلسيون الموريسكيون؟ وماهي الأسباب التي أدت إلى هجرتهم؟
- هل تمكن الأسطول الجزائري من إنقاذ مسلمي الأندلس؟
- ماهي النتائج التي تمخضت عن الصراع الجزائري الإسباني غربي البحر المتوسط؟

الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع البحث:

هناك العديد من الدراسات والأبحاث العلمية الهامة ،التي لا يمكن للباحث تجاوزها ،لذلك يجدر بنا الإشارة إلى بعض المقالات والدوريات العربية والرسائل الجامعية التي تناولت الموضوع، ولو بنوع من الشموليةوالتي كان من أبرزها:

– عبد الجليل التميمي من خلال رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني عام 1541م.

–كليل صالح حول: "سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لإحتلال المغرب الأوسط".

–الأستاذ نبيل عبدالحي رضوان من خلال: "جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس، وإسترداده في مطلع العصر الحديث".

_محمد سي يوسف حول: "قليج علي باشا ودوره في البحرية العثمانية".

عبد القادر فكاير :"الصراع الجزائري الإسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن 10ه /16م".

و مما تجدر الإشارة إليه أن موضوع البحرية الجزائرية ،بالرغم من الاهتمام الذي حظي به من طرف الباحثين،إلا أن هناك بعض الجوانب لا بد أن يسلط الضوء عليها ،خاصة فيما يتعلق بدورها في إنقاذ مسلمي الأندلس، لأن جل الدراسات تناولت هذا الموضوع كجزء من تاريخ الجزائر في العصر الحديث وليس كموضوع مستقل بذاته.

المنهج المتبع في الموضوع:

التزمت بالمنهج التاريخي الوصفي التحليلي ،وذلك لانه يتلائم مع الموضوع باعتباره يتزامن مع الاحداث التاريخية من خلال وصف البحرية و تطورها ، وهيكلتها من عدد السفن ،وانواعهاو دورها في الحوض الغربي للمتوسط ، اما بالنسبة للمنهج التحليلي ، و ذلك من خلال تحليل الأحداث التاريخية تحليلا علميا دقيقا موضوعيا بعيدا عن الأحكام الذاتية .

الخطة المعتمدة في الدراسة :

اتبعت في دراستي لهذا الموضوع على خطة تتكون من مقدمة، و أربعة فصول و خاتمة.

اعتمدت في الفصل الأول : على الأوضاع السياسية لإسبانيا و المغرب الإسلامي في مطلع القرن 10هـ/ 16م ، بداية بالوضع السياسي لإسبانيا ،وتحديدا الوحدة الاسبانية ،وسقوط غرناطة عام (897هـ/1492م)، ثم الوضع السياسي للمغرب الإسلامي بداية بضعف دويلات المغرب الإسلامي و الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية ، ثم بروز الأتراك العثمانيين، و ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية .

أما الفصل الثاني : فخصصته للبحرية الجزائرية من خلال النشأة و التطور و تحديدا نشأة البحرية الجزائرية و هياكلها من أنواع للسفن ، وطائفة رياس البحر ، ورتب طاقم السفن و المراكب ، والأسرى و الغنائم البحرية ، بالإضافة إلى نشاط البحرية الجزائرية .

وفي الفصل الثالث تطرقت إلى الأندلسيين الموريسكيين عقب سقوط غرناطة عام 1492م وتحديدا التعريف بهم ،و أوضاعهم الاجتماعية ، و هجراتهم نحو الجزائر.

أما الفصل الرابع فقد خصصته لجهود الأتراك العثمانيين في إنقاذ مسلمي الأندلس من خلال جهود عروج و خير الدين ، وجهود حسن بن خير الدين و صالح رايس بالإضافة إلى جهود العلج علي .ثم ذيلت دراستي بخاتمة تضمنت استنتاجات عامة حول الموضوع و اتبعتها بملاحق تتضمن رسائل و خرائط و صور، وقائمة مفصلة للمصادر و المراجع و الفهارس.

التعريف بأهم المصادر و المراجع الخاصة بالموضوع:

- كتاب "إفريقيا" لمارمول كاربخال الذي يعتبر من المصادر المهمة لتاريخ الجزائر في العهد العثماني خاصة القرن 16 م ، بداية بالاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية ، وهو ثلاثة أجزاء، أما الجزء المخصص في هذه الدراسة هو الجزء الثاني.

- مذكرات خير الدين بربروس المتوفي سنة 1547 م ، ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر التي ظهرت مؤخرا في ساحة البحث العلمي ، حيث ترجم من التركية إلى العربية ، و هو بمثابة سجل واقعي للأعمال التي قام بها الإخوة بربروس منذ قدومهم إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط الى غاية تأسيس ايالة الجزائر ، بالإضافة إلى نشاط البحرية الجزائرية العثمانية ، ومن خلال أحداثه و رواياته يعد الكتاب من المصادر التي تبرز لنا جانبا من العلاقات السياسية و العسكرية بين الجزائر و الدولة العثمانية في النصف الأول من القرن (10 ه /16م) .

- احمد بن محمد بن احمد المقري التلمساني من خلال كتابه "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" تحقيق الدكتور إحسان عباس، ج 4 ، و قد أفادني هذا الكتاب في الفصل الأول من خلال

سقوط غرناطة عام 1492م، و الفصل الثالث من خلال الأوضاع الاجتماعية للأندلسيين و هجراتهم إلى المغرب الإسلامي عامة و المغرب الاوسط خاصة ، وهو يعتبر من المصادر المهمة لتاريخ الأندلس.

-علي بن محمد التمكروتي : من خلال كتابه" النفحة المسكية في السفارة التركية 1589م "، وهو مندوب السلطان المغربي أحمد المنصور ،الملقب بالذهبي للقاء السلطان العثماني مراد الثاني ، وهذا الكتاب يندرج ضمن كتب الرحلة ، وفي هذا المجال يصف التمكروتي رحلته إلى مدينة القسطنطينية ، ومراسيم الاستقبال في القصر ، في حين إن نص الرحلة يعتبر بامتياز وثيقة بالغة الأهمية في القرن10ه/ 16م .

وقد تضمنت رحلته من تامكروت التي غادرها يوم 18 مارس 1589م مارا بسجلماسة ففاس فتطوان و عدد كبير من الموانئ و المراسي الجزائرية و تونسية و الطرابلسية باتجاه القسطنطينية التي وصلهافي 25 نوفمبر 1589م ، وقد أفادني هذا الكتاب في الفصل الثاني خاصة في أنواع السفن، و التعريف ببعض المناطق.

- "غزوات عروج و خير الدين "لمؤلف مجهول ، تصحيح و تعليق : نورالدين عبد القادر الذي بدوره يعتبر من أهم المصادر التي عالجت تاريخ دخول الإخوة بربروس إلى المغرب الأوسط بعد الاستنجاد من أهالي مدينة الجزائر ، وقد أفادني في الحديث عن نشاط البحرية الجزائرية و دورها في التصدي للحملات خاصة حملة شارل الخامس على مدينة الجزائر عام 1541 م ، فهذا الكتاب قد تناول وبشكل جلي الجانب العسكري للجزائر مطلع القرن 10ه/ 16م بالإضافة إلى جهود الإخوة في تأسيس ايالة الجزائر ، وضمها للباب العالي ، غير أن هذا الكتاب غلب عليه طابع السرد كما ينقصه ضبط التواريخ ، ومع ذلك يبقى مصدرا مهما في تاريخ الجزائر العثمانية .

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

- Diégo de Haédo : Histoire des Rois D'Alger.

-"تاريخ ملوك الجزائر " لمؤلفة الراهب الإسباني دييقو دوهايدو، الذي كان أسير في مدينة الجزائر بين سنتي (1578-1581م)، وهو من المصادر المهمة في تاريخ الجزائر في العهد العثماني خاصة النصف الأول من القرن 16م، والبدايات الأولى لنشأة البحرية الجزائرية في عهد خير الدين بعدما وضع نواتها الأولى عروج، ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الفرنسية من طرف المؤرخ الفرنسي دوغرامون H D Grammont، وترجم إلى اللغة العربية من طرف الأستاذ عبد القادر زبادية، بالإضافة إلى ذلك فقد تناول هذا الكتاب تاريخ الجزائر العثمانية ،والعلاقات الخارجية مع الدول العثمانية

والدول الأوروبية، وتطرق إلى جانب ذلك إلى الحكام الثلاثين الأوائل الذين تداولوا على حكم الجزائر بداية بعروج وخير الدين بربروس.

- Moulay Belhamissi : Histoire de la Marine Algérienne (1 516 -1830).

-"تاريخ البحرية الجزائرية" لمؤلفه الأستاذ مولاي بلحميسي الذي بدوره تناول مختلف الأطوار الخاصة بالبحرية الجزائرية في العهد العثماني خاصة فيما يتعلق بنشأة البحرية الجزائرية، وطائفة رياس البحر، والغنائم البحرية، إذ قدم لنا هو الأخر معلومات ذات قيمة، وهو يتعبر من المراجع المهمة التي تناولت الجزائر خلال العهد العثماني.

المراجع العربية والمعرّبة:

-عزيز سامح ألتر من خلال كتابه "الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية"، ويعتبر هذا الكتاب من أهم المراجع التي تناولت تاريخ الجزائر في العهد العثماني، في حين فقد تناول هذا الكتاب العديد من الوثائق المهمة التي عاصرت الفترة العثمانية، إضافة إلى قدرة وتمكن المؤلف على فهم الأحداث وتحليلها تحليلا علميا، وقد أفادني هذا الكتاب بشكل جلي في الفصل الأول والثاني، خاصة في تعريف بعض المناطق والجزر.

-يحي بوعزيز من خلال كتابه "الموجز في تاريخ الجزائر" ،وهو يعتبر من الكتب المهمة التي تناولت الجزائر في العهد العثماني، وقد فصل الكاتب العديد من الجوانب في الفترة العثمانية خاصة الجانب العسكري والسياسي،وقد كان مركز الإفادة من ذلك في الفصل الثاني بداية بهياكل البحرية الجزائرية و بالتحديد أنواع السفن ، و رتب طاقم السفن و الأسرى والغنائم.

المقالات والرسائل الجامعية :

أ-المقالات:

-حنيفي هلايلي :"التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني" ، في مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية ، العدد 24 ، دار الهدى للطباعة ، عين مليلة ، ديسمبر 2007 م ، أفادتني هذه المقالة على وجه الخصوص في الفصل الثاني في مجال نشأة البحرية الجزائرية.

- نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي ورابحة محمد خيضر: "موقف الدولة العثمانية من محنة مسلمي الأندلس" ، في مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية ، المجلد 7 ، العدد 3 ،

جامعة الموصل 2012 م ، وكان مركز الإفادة يتمحور في الفصل الرابع ، والذي يتضمن جهود الأتراك العثمانيين في انقاذ مسلمي الأندلس .

ب- **الرسائل الجامعية:**

أما بالنسبة للرسائل الجامعية ،فقد اعتمدت في هذه الدراسة على :

-نبيل عبد حي رضوان : "جهود العثمانيين للإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث" ، رسالة ماجستير ، تحت اشراف محمد عبد اللطيف البحراوي ، جامعة أم القرى ، السعودية 1987 م ، والتي بدورها تحتوي على بيبليوغرافيا مهمة، أفادتني هي الأخرى في الفصل الأول والمتضمن الأوضاع السياسية لإسبانيا والمغرب الإسلامي في مطلع القرن (10هـ / 16 م) ، والفصل الرابع الخاص بجهود الأتراك العثمانيين في إنقاذ مسلمي الأندلس.

- كليل صالح : "خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الأوسط " ، رسالة ماجستير، تحت إشراف علي آجقو ، جامعة باتنة ، باتنة 2006-2007م والتي بدورها احتوت على مواضيع ذات أهمية بالغة ، كان مركز الإفادة منها في الفصل الأول ، الثاني والثالث خاصة في مجال نشاط البحرية الجزائرية .

وإلى جانب هذا ،فإن اقتصارنا عمّا ذكرنا من مصادر ومراجع،لا يعني التقليل من شأن البقية، فجُل الكتب المعتمدة كانت تعتبر من الكتابات المهمة في تاريخ الجزائر في العهد العثماني .

الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة:

- لايخفى عن أي باحث أن أي عمل، إلا و تعترضه مجموعة من العراقيل والصعوبات ، و لعل أبرز الصعوبات التي اعترضتني تتمثل في صعوبة الحصول على المصادر المتعلقة بالموضوع ، خاصة الأجنبية منها الأمر الذي استلزم منّي الاعتماد و لو بشكل جزئي على الكتب الإلكترونية على جهاز الكومبيوتر و الذي بدوره يتعب الباحث في هذا المجال.
- ضيق الوقت و الذي بدوره كان من ابرز الصعوبات إلي واجهتني خاصة الفترة المحددة لانجاز هذا العمل ، و التي كانت قصيرة و قصيرة جدا.
- تشعب المادة العلمية التي عثرت عليها كونها متشابهة في محتواها إلى حد كبير بين جميع المصادر و المراجع التي اعتمدنا عليها خاصة دور البحرية الجزائرية في إنقاذ مسلمي الأندلس.

- معظم المادة العلمية كانت باللغة الأجنبية ،مّما جعلنا نتأخر في دراستنا ، وذلك لصعوبة الترجمة.

و في الأخير نرجو من الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا البحث الجميع ، وان نكون فيه قد وفقنا إلى سد ثغرة في تاريخنا كانت تحتاج إلى إلقاء الأضواء التي تكشف جلاء صفتها و أبعاد تأثيرها في حركة التاريخ، وفي الختام أتمنى من الله عز وجل التوفيق و السداد .

حاسي الدلاعة 13 رجب 1434هـ الموافق لـ 23 ماي 2013م

الطالبة : زيطوط نصيرة

الفصل الأول:

الوضع السياسي لإسبانيا والمغرب الإسلامي مطلع القرن (10هـ/16م).

أولا – الوضع السياسي لإسبانيا.

1. – الوحدة الإسبانية.
2. – سقوط غرناطة.

ثانيا– الوضع السياسي للمغرب الإسلامي .

1. – ضعف دويلات المغرب الإسلامي.
2. – الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية.
3. – بروز الأتراك العثمانين .
4. – إرتباط الجزائر بالدولة العثمانية.

تمهيد :

يعتبر الحوض الغربي للبحر المتوسط بشقيه الشمالي، والجنوبي ذا أهمية بالغة في تاريخ الأمم، سواء الإسلامية منها أو المسيحية.

فقد شهد هذا الأخير أحداثا حاسمة غيرت مجرى موازين القوى، وأعادت رسم خريطة العلاقات بين الدول خاصة إسبانيا، والمغرب الإسلامي، هذه الأخيرة قد عرفت في منتصف القرن(09 هـ/ 15م)، ومطلع القرن(10 هـ/ 16م)، تطورات سياسية هامة حددت المستقبل السياسي لكل من إسبانيا، والمغرب الإسلامي، وشكلت علاقات جديدة مع كل من الإمبراطورية العثمانية، والدول الأوروبية فيما بعد.

وقد أسهمت الأحداث السياسية في إسبانيا في هاته الفترة بقسم كبير، وذلك أنه بعد سقوط غرناطة سنة 1492م، اتبعت إسبانيا المسيحية سياسة تهدف للقضاء تدريجيا على مسلمي الأندلس، وخاصة بعد أن تم لها توحيد وإنشاء مملكتها الفتية، والقضاء على كل مظاهر الحضارة الإسلامية، وذلك أن نخوة النصر التي اجتاحت إسبانيا بعد استكمال وحدتها قد ألهبت العواطف، وطغت على منطق العقل، منطق جديد أحاطه رجال الكنيسة بقدسية سماوية، تحكمت في كل القرارات التي اتخذها رجال الدولة السياسيين، وأصبحت اسبانيا تئن بأن عليها واجب تطهير أرضها من الإسلام، والمسلمين، والتي أصبحت تخشى هي الأخرى خصوصا بعد نجاح التوسع العثماني في أوربا، وآسيا وبروز الإمبراطورية العثمانية كقوة عظمى على مسرح الأحداث السياسية، وفي هذا الشأن ينبغي لنا التعرف على الأوضاع السياسية لكل من المغرب الإسلامي، وإسبانيا في مطلع القرن 10هـ /16م، وكيف كانت تلك العلاقات السياسية بين الطرفين؟.

أولا- الوضع السياسي إسبانيا في مطلع القرن (10هـ/16م):

1 -الوحدة السياسية الإسبانية:

كانت الخريطة السياسية لشبه الجزيرة الإيبيرية [1] في القرن (09هـ/15م) تتألف من عدّة كيانات سياسية، تمثلت في مملكة قشتالة، ومملكة الأراغون، ومملكة النفار، ومملكة البرتغال، وهي مملكة مسيحية، ومملكة غرناطة الإسلامية، غير أن هذه الممالك المسيحية كانت ترغب في التوسع، والإنتشار خارج حدودها من شبه الجزيرة الإيبيرية، وذلك ما نراه في سعي البرتغاليين إلى إكتشاف المحيط الأطلسي، والسيطرة على السواحل الغربية لإفريقيا، ثم تمكن الأراغون من السيطرة على جزء كبير من غرب البحر المتوسط، والسيطرة على أغلب جزره، وأمّا مملكة النفار الصغيرة فلم يكن لها شأن يذكر، كما أن قشتالة كانت تمزقها عدّة حروب داخلية.[2]

وعلى ضوء هذه الأحداث فإن إسبانيا كانت تمثل كل من مملكتي قشتالة والأراغون، حيث كانت مصالح المملكتين مختلفة، وبالرغم من أنه كان يجمعهم عامل واحد، وهو عداؤهم للإسلام والمسلمين، سواء المتواجدين في شبه الجزيرة الإيبيرية، أو شمال إفريقية، لذلك كان للممالك المسيحية داخل إسبانيا أن تتحد لمواجهة الوجود الإسلامي في المنطقة.[3]

وهذه الأثناء كان قد توالى عدّة ملوك على عرش الأراغون حتى مجيء يوحنا خوان الثاني الذي سعى بتزويج ابنه فرديناند الخامس[4] من ابنة عمه إيزابيلا[5] القشتالية، لتتم بهذا الزواج وحدة إسبانيا

---

[1] تقع شبه جزيرة إيبيريا في جنوب غرب أوروبا، ويحدها من الشرق البحر المتوسط ومن الغرب المحيط الأطلسي، ويفصلها عن فرنسا شمالا جبال البرانس التي تتخللها ممرات ومضايق تصل بين البلدين وهذه الجبال جعلت إسبانيا في شبه عزلة عن أوروبا.
أنظر: إبراهيم فرغلي: **تاريخ وحضارة الأندلس**، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة2006م ، ص 13.

[2] حنيفي هلايلي: **التاريخ الأندلسي الموريسكي**، دار الهدى، الجزائر 2010م ، ص 115.

[3] نبيل عبد الحي رضوان: **جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس وإسترداده في مطلع العصر الحديث**، رسالة ماجستير، تحت إشراف محمد عبد اللطيف البحراوي ,كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى1987م، ص 29.

[4] فرناندو الكاثوليكي، ولد في الأراغون عام 1452م، ابن خوان الأول ملك الأراغون، قاد الحرب ضد المسلمين الغرناطيين حتى سقوطها عام 1492م، أنظر: جمال يحياوي: **سقوط غرناطة ومأساة الأندلس (1492- 1610م)**، دار هومة للنشر، الجزائر 2009م، ص 33.

[5] إيزابيلا الكاثوليكية: ولدت عام 1451م، إبنت خوان الثاني ملك قشتالة وحفيدة أنريكي الثالث، إستلمت العرش مكان أخوها أنريكي الرابع الذي توفي عام 1474م وبعد الوحدة مع الأراغون أصبحت وزوجها يعرفان بملكي قشتالة والأراغون أو الملكين الكاثوليكين. أنظر جمال يحياوي، مرجع سابق، ص33.

النصرانية.[1] فأخذ ملوك عصرها يتسابقون على خطبتها، إلا أن اختيارها وقع على فيردناند ابن عمها، الذي سيرث مملكته الأراغون بعد ذلك،وهكذا تمت مراسيم الزواج في بلد الوليد (874هـ/1469م) .وفي سنة(878هـ/1474م) اعتلت إيزابيلا عرش قشتالة، وبعد خمس سنوات ورث فيرديناند عرش مملكة الأراغون.

وبينما كانت الممالك النصرانية تتحد كانت الممالك الإسلامية تزداد تفككا [2].إلا أن اتحاد المملكتين المسيحيتين قد اتسمت بعملية إصلاح واسعة، كانت إنعكاسا لطموح ايزابيلا في بناء مملكة قوية، وما كانت لتكتمل دون إخراج الأندلسيين من غرناطة، أو القضاء على وجودهم السياسي فيها. إلا أن النفوذ السياسي لإيزابيلا تضمن القضاء على أية معارضة حقيقية لها بين النبلاء.[3] غير أن الهدف السياسي لإيزابيلا هو الحرب على غرناطة.[4]

وفي خضم الفتنة التي عصفت بالبيت الناصري [5]، استغل الملكان الكاثوليكيان اندلاع الخلاف بين أفراد الأسرة المالكة في غرناطة [6]، فاجتمعت من كل هذا القوة النصرانية حيث تفرقت قوة المسلمين الغرناطيين، وانتهت الحرب الأهلية، والفتنة في إسبانيا الموحدة لتشتعل في غرناطة المسلمة.

توصلت إسبانيا بهذا الزواج، وذلك الاتفاق إلى توحيد الوحدات الإدارية فيها، وذلك بضمها إلى بعضها بعضا، ووصلت إلى وحدتها الوطنية في عهد فيرديناند وإيزابيلا، ولكن هذه الوحدة القومية كانت مرتبطة في شبه الجزيرة الإيبيرية بصفة دينية، وهي الصفة الكاثوليكية [7]، و لم تكد تسقط غرناطة، آخر مملكة على شبه الجزيرة، حتى مدّ رجال قشتالة عيونهم عبر مضيق جبل طارق إلى ميادين جديدة للنشاط العسكري، وقد أرسلت إيزابيلا جاسوسا ليعرف على ما يجري في الضفة

---

[1] علي حسين الشطشاط: **نهاية الوجود العربي في الأندلس**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2001م، ص 62، وجمال يحياوي :مرجع سابق، ص33، وحنيفي هلايلي: مرجع سابق، ص 115.

[2] نبيل عبد الحي رضوان: مرجع سابق، ص 30.

[3] عادل سعيد البشتاوي: **الأندلسيون المواركة**، دار الكتب للنشر، القاهرة 1983م، ص 98.

[4] جمال يحياوي: مرجع سابق، ص 34.

[5] نفسه: ص 33.

[6] عادل سعيد البشتاوي: مرجع سابق، ص 98.

[7] نبيل عبد الحي رضوان: مرجع سابق، ص 30.

الأخرى، فكان تقريره كالتالي: «...**أن كل البلاد في حالة يبدو أن الله أراد أن يمنحها لأصحاب الجلالة...**»[1].

وكانت سياسة الملوك الكاثوليك في مملكة غرناطة المفتوحة تؤكد التحرك الإسباني في شمال إفريقية[2]، وقد نتج عن هذه الأخيرة ماعرف في التاريخ بحرب الاسترداد التي وجهتها إسبانيا ضد مسلمي الأندلس من جهة، وسكان المغرب الإسلامي من جهة أخرى.[3]

واستمر كل من فرديناند وإيزابيلا في محاولات مستمرة للسيطرة، وكان تاريخهما عبارة عن فترة ممتدة من النشاط الإداري الصبور ,والحازم حتى اضطر المجتمع الإسباني إلى الوحدة لأن الحرب الصليبية في البحر المتوسط ضد المسلمين كانت تستنفذ الوقت والنشاط المالي، وهي عوامل جوهرية لهذه الأهداف والمشاريع، حيث إن الحكومة انشغلت بضغوط وطلبات الحرب، لذلك اضطرت أن ترضى بالأمر الواقع دون الاهتمام بالأمور المحلية.[4]

فمملكة الأراغون استمرت في تكريس اهتماماتها على جزر البحر الأبيض المتوسط، وعلى إيطاليا التي حكمها مجموعة من الدبلوماسيين، والسياسيين ذوي الميول التجارية، في حين كانت مملكة قشتالة تطمح لإضعاف قوة المسلمين وملاحقتهم. [5] ولتحقيق الهدف الصليبي استخدمت إسبانيا الموحدة العنف، وسفك الدماء، وحمل المسلمين على التنصر، وتدمير قرى ومدن، والمناوئين منهم، وارتكب الإسبان جرائم بشعة في حق المسلمين.[6]

وهكذا على إثر المصاهرة بين المملكتين، وتكوين الحكومة المركزية التي تمتد بين الملكين الكاثولكيين استولى الإسبان على غرناطة (896هـ/1492م).[7]

---

[1] جون. ب. وولف: **الجزائر وأوروبا (1500– 1930م)**، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، دار رائد للنشر، الجزائر2009م، ص 24.

[2] نفسه: ص 25، 26.

[3] الشافعي درويش: **علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن (10هـ/16م)**، رسالة ماجستير، تحت إشراف عمار بن خروف ،معهد التاريخ، جامعة غرداية، غرداية 2010–2011م، ص12.

[4] محمد خير فارس: **تاريخ الجزائر الحديث**، ط1، مكتبة دار الشرق، بيروت 1969م، ص ص 14، 15.

[5] حنيفي هلايلي: مرجع سابق، ص 116.

[6] نبيل عبد الحي رضوان: مرجع سابق، ص 33.

[7] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين: **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**، دار الفكر العربي، القاهرة 1999 م، ص 33.

وفي ظل هاته الأحداث بدأ ملوك إسبانيا وصف أنفسهم بالملوك الكاثوليك [1] بعدما استولوا على آخر حصن للمسلمين، والمتمثل في مملكة غرناطة الإسلامية، وأصبحت كل مراسلاتهم حول المسائل الإفريقية، ومطاردة الأندلسيين تدل على الطابع الديني، والصبغة الصليبية لسياستهم، فقد صرح فرديناند الكاثوليكي في الكثير من المرات: « **أنه يعمل لأجل الرب، ومن أجل الديانة المقدسة، والعمل على محاربة أعداء الإيمان المسيحي الكاثوليكي**».[2]

وعلى ضوء هذا ففي سنة (910هـ/1504م) توفيت الملكة إيزابيلا في مدينة ديل كومبا Medina del compa[3]، وكانت وصيتها تدل على حنكة سياسية جديرة بالملاحظة [4]، فأوصت زوجها الملك فيرديناند بتوسيع السيطرة حتى تشمل جميع شمال إفريقيا، من مضيق جبل طارق إلى طرابلس، والاستمرار في الابتعاد عن ساحة الصراع في أوروبا.[5]

وهكذا اتحدت الممالك الإسبانية المسيحية، وبعض من أجزاء القارة لتوجه قوتها إلى العالم الإسلامي، وليبدأ الصراع بين الإسلام، والمسيحية من أجل السيطرة على غرب المتوسط بعد أن كانت الهيمنة الإسلامية في إسبانيا. ومن خلال هذا يطرح الإشكال التالي:

- ✓ هل كان توحد الممالك الإسبانية سببا في سقوط غرناطة؟
- ✓ وما هي آثاره على إسبانيا والمغرب الإسلامي؟

2 سقوط غرناطة (897هـ/1492م):

إن توالي الحركات الإستردادية على المدن الأندلسية من طرف الممالك الإسبانية قد ذهب يقسم من إتساع الدولة، و لم يبق لها إلا ثلث شبه الجزيرة، فجاء سقوط طليطلة (سنة 478هـ/1082م)، ثم سقوط سرقسطة (513هـ/1118م)، فتقلصت رقعة الأندلس حتى لم يعد يشمل ربعها. [6] لكن رغم انتصار المسلمين في موقعة الزلاقة [7] (479هـ/1086م) سنة بعد

---

[1] Fernand Braudel : **Les Méditeranée et le monde méditerranée L'epoque de philippe2**, T2, 2éme édition, libratrie Armand colin, Paris 1966, P18.

[2] حنيفي هلايلي: مرجع سابق، ص 116.

[3] نبيل عبد الحي رضوان: مرجع سابق، ص 36.

[4] جون. ب. وولف: مرجع سابق، ص 25.

[5] نبيل عبد الحي رضوان: مرجع سابق، ص ص 35، 36.

[6] مصطفى شاكر: **الأندلس في التاريخ**، منشورات وزارة الثقافة،دمشق 1990م، ص 128.

[7] كانت بين جيوش المسلمين بقيادة يوسف بن تاشفين الذي ذهب من المغرب لنصرة إخوانه الأندلسيين، وبين ألفونسو السادس قائد النصارى الإسبان، وكان النصر لصالح المسلمين. أنظر: جمال يحياوي: مرجع سابق، ص25.

ذلك[1]، فإنهم لم يتمكنوا من استرجاعها، في هذه الأثناء توالى سقوط المدن الأخرى الواحدة تلو الأخرى.[2]

لكن بدخول الموحدين وهزيمة المرابطين، وبعد قرنا من الزمن [3]، حيث حافظت الدولة على تماسكها حتى هزيمة معركة حصن العقاب [4] (609هـ/1212م) التي ذهبت بقوة المسلمين بالمغرب والأندلس[5]هي الأخرى، واستنادا لقول أبي إسحاق إبراهيم بن الدباغ الإشبيلي في هزيمة العقاب بإشبيلية قائلاً:

وقائلة أراك تطيـــل فكرا كأنك قد وقفت لدى الحساب
فقلت لها أفكر في عقـــاب غـــدا سببا لمعـــركة العقاب
فما في أرض الأندلس مقامُ وقد دخل البلا من كل باب[6]

فبعد إنهزام الموحدّين سقطت كل من طرطوشة ولاردة سنة (542هـ/1148م)، وأشبونة (541هـ/1147م)، وجزيرة ميورقة (625هـ/1229م)، وأبدة (629هـ/1233م)، وقرطبة، ومرسية (639هـ/1242م)، وجيان (643هـ/1246م)، وإشبيلية (645هـ/1248م).[7]

---

(1) ليفي بروفنسال: **حضارة العرب في الأندلس**، تعريب: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون سنة، ص 25.

(2) جمال يحياوي: مرجع سابق، ص 26.

(3) مصطفى شاكر: مرجع سابق، ص 128.

(4) حدثت هذه الموقعة بين الخليفة الناصر الموحدي والقوات الإسبانية بقيادة ألفونسو الثامن، وإنتهت بهزيمة الناصر الموحدي، وسميت المعركة باسم لاسن تافلس تولاسا نسبة إلى حصول الموقعة في وديان مدينة تولوسا لأن تافلس بالإسبانية الوديان أو الأراضي المنخفضة، أنظر: نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرج: **الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني (706هـ /685ه/1286م/1306م)، دراسة سياسية وحضارية**، رسالة ماجستير، تحت إشراف عبد الواحد ذنون طه ،جامعة الموصل 2004م، ص5.

(5) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **الإستقصار لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولة المرينية)**، دار الكتاب، 1954م، ج3، ص 200.

(6) أحمد بن محمد المقري التلمساني: **نفح الطيب من غصن الأنلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1988م، ج4، ص 448.

(7) نفسه: ص 550 وبعدها.

وبسقوط جل الولايات الأندلسية الوسطى، والشرقية منذ مطلع القرن 06ه/12م، ومنتصف القرن 07ه/13م[1]، لم يبق إسم الأندلس يشمل سوى مملكة صغيرة في أقصى الجنوب الشرقي، في هذه الرقعة قامت إمارة بني نصر التي عرفت ببملكة بني الأحمر [2] التي حافظت على تاريخ وحضارة غرناطة[3] وجعلتها عاصمة لها (629هـ/1235م)، وفي هذا الصدد يشير صاحب نفح الطيب بقوله: «...**ولما أخذت قواعد الأندلس مثل قرطبة، وإشبيلية ومرسية وغيرها، إنحاز الإسلام إلى غرناطة، والمرّية، ومالقة، ونحوها، وضاق الملك بعد إتساعه، وصار العدو يلتقم كل وقت بلدا أو حصن...، ولما قصد ملوك الإفرنج غرناطة ليأخذوها اتفق أهلها على أن يبعثوا لصاحب المغرب من بني مرين يستنجدونه...**»[4].

وأمام هذه الأوضاع كانت الأراغون تؤدي الدور الكبير في عملية الاسترداد، فمنذ سقوط مرسية (664هـ/1266م) حملت هي الأخرى على عاتقها مسؤولية بناء، وتقوية إمبراطوريتها في البحر المتوسط لتترك مهمة استكمال الاسترجاع لمملكة قشتالة [5]. فأخذت هذه الأخيرة تثير الفتنة بين ملوك غرناطة.

ففي بداية القرن 14م دخلت غرناطة وقشتالة مرحلة جديدة من الصراع، حيث تمكنت قوات بحرية من قشتالة، وأراغون، والبرتغال من إحراز انتصار حاسم على غرناطة سنة (740هـ/1340م)، ودخلت القوات المشتركة للممالك المسيحية الثلاثة أراضي المملكة الإسلامية، وأمام هذا التطور المفاجيء توجه السلطان المريني أبي الحسن علي بن أبي يعقوب على رأس جيشه

---

[1] جمال يحياوي: مرجع سابق، ص 28.

[2] مؤسسها هو الغالب بالله أمير المسلمين الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد نصر بن قيس الخزرجي، من ولد أمير الأنصار سعد بن عبادة. أنظر: لسان الدين ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد بن عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة1974، ج2،ص 480.

[3] تقع في جنوبي إسبانيا، حيث يحدها البحر الأبيض المتوسط، وتحميها برا سلاسل جبالها الوعرة التي تشرق قممها على وديان خصبة، وتقع مدينة غرناطة وسط هذه المملكة معتصمة بحماية جبال السيرانيفادا أو جبال البشارات. أنظر: واشنطن إيرقنغ:**أخبار سقوط غرناطة**، ترجمة: هلاين يحي نصري، ط1، مؤسسة الإنتشار العربي ،بيروت 2000م، ص 87.

[4] أحمد بن محمد المقري التلمساني: مصدر سابق، ص 510.

[5] عادل سعيد البشتاوي: مرجع سابق، ص 99

المغربي، وسلطان غرناطة أبي الحجاج يوسف الأول [1] على رأس جيش غرناطة، ونشبت بين الطرفين معركة حاسمة، انتهت بهزيمة القوات الإسلامية، وانقطع المدد المغربي عن الأندلس، وضعف شأن السلطان في المغرب، وتركت غرناطة تواجه قشتالة وحدها.[2]

وإلى جانب هذا ففي سنة (874هـ/1469م) تزوج فرديناند ملك الأراغون وإيزابيلا ملكة قشتالة، وبهذا الزواج توحدت المملكتان في الأهداف والمسعى [3]، فباعتلاء إيزابيلا عرش قشتالة، وصعود نجم تلك الملكة، توفرت لقشتالة سلطة قوية مكنتها من إثبات وجودها على الساحة الدولية.[4]

ومن هذا المنطلق انتهت الحرب الأهلية، والفتنة في إسبانيا المسيحية الموحدة لتشتعل في غرناطة المسلمة، فكان من بين ما تعاهد عليه الملكان الكاثوليكيان فيرديناند وايزابيلا هو الحرب على غرناطة آخر معقل للمسلمين.[5]

إلا أن هدف فيردناند الأساسي هو أن يلتزم بقتال المسلمين، وإجلائهم عن أرض الأندلس، حيث كان هذا الإتحاد من أشد النكبات على المسلمين.[6]

وقد تزامن هذا الوضع مع التفكك الذي أصاب دولة بني مرين بالمغرب الذي ظل يمثل حبل النجاة بالنسبة للأندلس قبل سقوط غرناطة،فمنذ عهد السلطان المريني أبي الحسن المتوفي(752ه/1351م)، بدأت دولة بني مرين في الإنحدار نحو الحرب الأهلية، وانشغلت بالفتنة الداخلية إلى

---

[1] يعتبر هذا الرجل أحد الكبار من ملوك غرناطة، فقد بذل أقصى جهده في المحافظة على بلاده مع غزوات مملكة قشتالة، وعلى الرغم من ملكاته الكثيرة، وطول حكمه الذي مكن له من أن يقدم لمملكة غرناطة خدمات جليلة، إلا أن ظروف تلك المملكة ما كانت لتساعده على الصمود إلى النهاية. أنظر: حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس** ، مكتبة الأسرة، 1992م، ص 451.

[2] عادل سعيد البشتاوي: مرجع سابق، ص 99.

[3] حنيفي هلايلي: مرجع سابق، ص 115.

[4] عادل سعيدالبشتاوي: مرجع سابق، ص 13.

[5] المقري: مصدر سابق، ص 512.

[6] محمد عبد الله عنان: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين**، ط3، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر 1999م، ص 178.

أيامها الأخيرة على يد السلطان عبد الحق، الذي خلف أباه أبا سعيد المريني عام 1514م، وفي عهده سيطرت أسرة بني وطاس[1] من طرف يحي بن يحي الوطاسي على المغرب.

وفي ظل هذه الظروف كانت غرناطة هي الأخرى تعاني من الصراع الداخلي الذي حدث بين الأسرة الحاكمة في غرناطة، من خلال النزاع الذي حدث بين أبي الحسن علي وأخيه أبي الحجاج يوسف، و لم ينته هذا النزاع إلا بوفاة أبي الحجاج يوسف، بعد ذلك بقليل، ثم النزاع بين أبي الحسن وأخيه أبي عبد الله محمد بن سعد المعروف بالزغل الذي كان وليا لمالقة، وقد لجأ هذا الأخير إلى طلب المساعدة من ملك قشتالة هنري الرابع، وكذلك النزاع الذي حدث بين أبي الحسن وإبنه أبو عبد الله الصغير الذي انتهى بجلوس هذا الأخير على عرش غرناطة، وفرار أبيه إلى مالقة الذي كان يحكمها أبو عبد الله محمد بن سعد، حدث ذلك في أواخر (887هـ/1482م)، وقد أطاعت الأمير الفتى أبا عبد الله الصغير غرناطة ووادي أش وأعمالها، وبقيت مالقة، وغرب الأندلس على طاعة أبيه.[2]

لكن الحديث عن أبي الحسن لا يمكن دون الحديث عن دور المرأة الأجنبية في سقوط الدول، فهذا الأخير تزوج، وهو في سن متقدمة من فتاة إسبانية نصرانية أسلمت ظاهرا وسميت ثريا [3]، وأنجب منها ولدين هما: (سعد ونصر)، وكان للسلطان قبلها ولدان وهما: (محمد ويوسف) من إبنة عمه السيدة عائشة، وبفعله هذا فتح الباب على مصراعيه لصراع السيدات، لأن كل واحدة من نسائه تريد أن تظفر بالسلطة لولديها.[4]

لكن في هذه الفترة كان عبد الله قد وقع أسيرا لدى الإسبان بعد موقعة لسانة (888ه/1483م)، مما جعل العامة يضطرون إلى مبايعة الوالد من جديد، والذي تنازل بدوره عن الحكم لأخيه محمد أبي عبد الله الزغل، في هذه الأثناء قام ملك قشتالة بإطلاق سراح أبي عبد الله الصغير ليدخل هو الآخر في صراع مع الزغل في وقت يشتغل فيه خصومه بالاستيلاء على الحصون والقلاع المتبقية حول غرناطة في عملية شاملة على معقل من معاقل الأندلس.

---

[1] هم فرقة من بني مرين، وإحدى القبائل الزناتية، حيث إستطاع محمد الشيخ الوطاس تأسيس دولته بعد أن عقد هدنة مع البرتغال الذين إحتلوا مدينة أصيلا. أنظر: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: مصدر سابق، ص ص118، 121.

[2] علي حسين الشطشاط: المرجع السابق، ص 63.

[3] إسماعيل الأصلي هو إيزابيلا دي صولي، كانت جارية عند السلطان أبي الحسن. أنظر: جمال يحياوي: مرجع سابق، ص31.

[4] نفسه، ص 33.

هذا ما أدى إلى تحول صراع السيدات إلى صراع بين العم وإبن أخيه ضمن دائرة الصراع الناصري.[1]

وفي هذه الأثناء أرسل فيرديناند لأبي عبد الله رسولين، يطلبان منه تسليم المدينة الحمراء مقر الملك، مقابل إقامته في غرناطة تحت حمايته [2]، خاصة أن فريديناند كان قد خلصه من منافسه الزغل، لكن أبا عبد الله فاجأ قشتالة بقرار الرفض، والدفاع عن غرناطة حتى الموت، ومع ذلك فقد ثارسكان غرناطة في مختلف الأنحاء بغرناطة بقيادة أبي عبد الله وذلك في سنة (895هـ/1490م).[3]

وإلى جانب هذا فقد توجه فرناندوا على إثر هذه الأحداث نحو غرناطة مع مطلع عام 1491م بجيش قوامه بين 50 إلى 80 ألف من الفرسان، والمشاة، وحاصرها حصارا صارما، عازماً على فتحها أو استسلامها، وقد أظهر سكان غرناطة شجاعة فائقة في الدفاع عن مدينتهم، وضربوا مثلا رائعا في الجهاد والتضحية بعد اشتداد الحصار.[4]

بعد سبعة أشهر من الحصار، وتضييق الخناق على غرناطة كان لابد أن يكون سببا في حمل الملك أبي عبد الله محمد الصغير على فتح باب المفاوضات [5] مع الملكين الكاثولكين، فاختار أهل غرناطة ممثلا عنهم.

كما اختار فرناندوا كاتبه، فرناندوا دي زفيرا، والقائد جونز الفودي كوردوبا لمعرفته للغة وشؤون المسلمين في غرناطة، ودارت المفاوضات في سرية تامة [6]، وإنتهت إلى االإتفاق على شروط التسليم في 21 محرّم (897هـ/1491م) على أن تدخل قوات قشتالة المدينة بعد 60 يوماً[7]، ومن جملة الشروط التي اشترط أهل غرناطة على الملك فيرديناند أن يؤمنهم على أنفسهم، وبلادهم، ونسائهم، وممتلكاتهم، ومن أراد الإقامة بغرناطة من المسلمين فله الأمان [8]، وأن تبقى المساجد كما

---

[1] جمال يحياوي: مرجع سابق، ص 33.

[2] محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، ص 229.

[3] نفسه: ص 231.

[4] جمال يحياوي: مرجع سابق، ص 36.

[5] عادل سعيد البشتاوي: مرجع سابق، ص 104.

[6] ماريا روزا مينوكال: **الأندلس العربية إسلام الحضارة وثقافة التسامح**، تعريب: عبد المجيد جحفة ومصطفى جباري، ط1، دار توبقال للنشر، دار البيضاء، المغرب 2006م، ص 190. وأنظر: جمال يحياوي: مرجع سابق، ص 38.

[7] عادل سعيد البشتاوي: مرجع سابق، ص 105.

[8] الفريد البستاني: **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد2002م، ص 41.

كانت، والأوقاف كذلك، وأن لا يدخل النصارى دار مسلم، ولا يقصبوا أحدا، وأن لا يولى على المسلمين إلا مسلم أو يهودي ممن يتولى عليهم، ولا يمنع المؤذن من الآذان، ولا الصائم من الصيام...الخ.[1]

وقد كتب لهم الملك فرديناندوا بذلك كتابا، وأخذوا عليه عهودا، ومواثيق في دينه، على أنه يوفي لهم بجميع ما شرطوه عليه.

فلما تمت هذه العقود والمواثيق، قرئت على أهل غرناطة، فلما سمعوا ما فيها كتبوا بيعتهم، وأرسلوها لصاحب قشتالة، ودخلوا في طاعته، وسمحوا له بالدخول إلى المدينة الحمراء، وإلى غرناطة.[2]

في جانفي (896هـ/1492م)، وفي يوم التسليم أقام فرناندو في مسجد حوله إلى كنيسه تعرف بإسم كنيسة القديس سباستيان، وهي تقع جنوب غرناطة[3]

في حين خرج أبو عبد الله الصغير صاغرا [4]، هذه المرة حين التفت إلى مملكته السابقة لآخر مرة وبكى، فنهرته أمه عائشة قائلة:

أبك مثل النساء ملكا مضاعفا لم تحافظ عليه مثل الرجال.[5]

وسلم أبو عبد الله للملك الكاثوليكي مفاتيح المدينة قائلاً:«... **أنهما مفتاحي، هذه الجنة، وهما الأثر الأخير لدولة المسلمين في إسبانيا، وقد أصبحت أيها الملك سيد تراثنا، وديارنا، وأشخاصنا، وهكذا قضى الله فكن في ظفرك رحيما، وعادلا...**». فرّد عليه فرديناند: «...**لا تشك في وعودنا، ولا تعوزك الثقة خلال المحنة، فسوف تعوض لك صداقتنا ما سلبه القدر منك...**».[6]

---

[1] محمد بن يوسف الزياني: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران** تقديم وتعليق: المهدي بوعبدلي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر2007م، ص ص 139، 140. وأنظر: المقري: مصدر سابق، ص526، وليفي بروفنسال: مرجع سابق، ص 29.

[2] الفريد البستاني: مصدر سابق، ص 41.

[3] عادل سعيد البشتاوي: مرجع سابق، ص 105.

[4] إنتقل إلى قرية أندرش بعد تسليمه غرناطة، ثم مليلة سنة1493م، ثم إلى فاس وإستقر بها إلى حين وفاته سنة1518م، أنظر: سعيد البشتاوي: مرجع سابق، ص 105

[5] جمال يحياوي: مرجع سابق، ص 38.

[6] نفسه:ص ص 39، 40

وهكذا اختتمت المأساة الأندلسية، استولى القشتاليون على غرناطة بسقوطها على يد فرناندو[1]، آخر الحواضر الإسلامية في إسبانيا، وخفق علم النصرانية ظافرا فوق صرح الإسلام المغلوب[2]، وبدأ فصل جديد من المعاناة، ونكث العهود، وخرق بنود لاتفاقية غرناطة من السنوات الأولى للاستلاء على المدينة [3]، وانتهت بذلك دولة الإسلام في الأندلس، وقضي على الحضارة الإسلامية الأندلسية الباهرة، وأدابها، وعلومها، وفنونها، وشهد المسلمون احتلال العدو الظافر لحاضرهم، ودار ملكهم، وموطن آبائهم، وأجدادهم، فبسقوط غرناطة انتهت آخر معالم السلطة السياسية في شبه جزيرة إيبيرية.

---

[1] حسن الوزان: **وصف إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي وآخرون، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983م، ج2، ص 319.

[2] علي حسين الشطشاط: مرجع سابق، ص 68.

[3] جمال يحياوي: مرجع سابق، ص 39

ثانيا- الوضع السياسي للمغرب الإسلامي في مطلع القرن (10هـ/16م).

1 ضعف دويلات المغرب الإسلامي:

كان المغرب الإسلامي والأندلس تحت حكم دولة واحدة هي دولة الموحدين [1]، التي تعتبر من أعظم الدول في تاريخ الإسلام، حيث بلغ المغرب الإسلامي أوج قوته خلال هذه الفترة، وتمكنت من تحقيق وحدته، وحكمه بالعقل لفترة طويلة من طرابلس إلى المحيط، ومن ساحل البحر المتوسط إلى مشارف إفريقيا المدارية، هذا بالإضافة إلى ملكهم في الأندلس.[2]

غير أنه في القرن (13/ه07م) ما لبثت تلك الدولة أن بدأت في الانهيار [3]، بعد هزيمتها الكبرى على يد الصليبيين في الأندلس في موقعة حصن العقاب الشهيرة عام (609ه/1212م)[4]، والتي تعتبر بداية نهاية المسلمين في الأندلس، وبداية التشتت للمسلمين في المغرب العربي، والتناحر فيما بينهم.[5] ،وبسقوط هذه الأخيرة وقع المغرب الأوسط تحت سلطة الأمراء المحليين الذين كانوا قد كلفوا من طرف الموحدين كأتباع لهم، ثم أعلنوا استقلالهم في الأخير، فقد خضعت هذه الأخيرة بين وقت وآخر إلى حكام تلمسان، وبجاية وعنابة [6]، وبظهور هذه الكيانات السياسية انقسم المغرب إلى ثلاث دويلات، بني حفص في المغرب الأدنى (تونس وطرابلس)، وبني عبد الواد في المغرب الأوسط، والمرينيين في المغرب الأقصى.[7]

---

[1] مؤسسها هو الإمام المهدي بن تومرت الذي ولد سنة 491هـ، ملك كثيرا من بلاد المغرب وقام بأمر الموحدين، للإطلاع أكثر أنظر: ابن عبد الله محمد بن إبراهيم، المعروف بالزركشي: **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق وتعليق: محمد ماضود، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، بدون سنة، ص3.

[2] أحمد سالم: **السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م**، مؤسسة شباب الجامعية، الإسكندرية 2011م، ص 61.

[3] يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا (1500- 1890م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1890م، ص 10.

[4] عز الدين عمر موسى: **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، ط1، دار الشروق، 1983م، ص 78.

[5] أحمد سالم: مرجع سابق، ص ص 61، 62.

[6] وليام سبنسر: **الجزائر في عهد رياس البحر**، تعريب وتقديم: عبد القادر زبادية، ب ط، دار القصبة للنشر، الجزائر 2006م، ص 22.

[7] إبراهيم سعيود: **"القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة (القرصنة الإيطالية نموذجاً)"**، **في مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، عدد 11، قسم التاريخ، جامعة غرداية، غرداية2011م ص147.

استطاعت هذه الدويلات أن تسيطر على المدن وعلى سكان البوادي، فالدولة الحفصية [1] التي تأسست في الجزء الشرقي ستمرت في الحكم إلى القرن 16م، أمّا الدولة المرينية [2] التي ظهرت هي الأخرى في المغرب الأقصى إستطاعت الانتصار على الحكام الموحدين في منتصف القرن 13م، وهي الحضارة التي وصلت قمتها في آخر القرن 14م.

وبين هاتين الدولتين انشأت دولة أخرى بقيادة بني عبد الواد التي تنتمي إليها الأسرة الزيانية [3] في تلمسان، التي كانت عبارة عن مركز تجاري هام لتبادل البضائع الإفريقية، وبضائع البحر المتوسط، وقد امتدت شرقاً إلى قسنطينة، وحدود المملكة الحفصية، غير أن الزيانيين كانوا منذ البداية في وضع معرض للخطر الحفصيين من الشرق، والمرينيين من الغرب.[4]

وعلى غرار هذا فإن كل هذه الأوضاع بالمغرب العربي قد زادت في حدت الاضطرابات والفتن بين هاته الدويلات[5] بسبب التفكك، والتجزأ الذي آلت إليه الدولتان الحفصية والزيانية، فقد أدت هذه الأخيرة إلى تجزأ المغرب الأوسط إلى عدة وحدات سياسية صغيرة متنافرة فيما بينها، فمعظم المدن الساحلية كوهران، تنس،شرشال,والجزائر ,وبجاية كانت مطلع القرن (10 هـ/ 16م) إما تحت حكم أمير زياني منشق عن الدولة الزيانية كأبي يحي بن محمد الزياني في تنس أو عن الدولة الحفصية، كعبد الرحمن الحفصي ببجاية، أو تحت مجلس منتخب من سكان مدينة كوهران، أو شيخ

---

[1] تأسست على يد الأمير أبو زكرياء يحي عند ما كان واليا على إقليم تونس، فلما رأى ما وصلت إليه الدولة الموحدية من ضعف وتفكك إستقل بتونس سنة (627هـ/1229م)، ونصب نفسه أميرا عليها، وينتسب أبو زكرياء إلى الشيخ أبي يحي حفص بن عمر الهنتاني أحد القادة الكبار للدولة الموحدية، زحف سنة 628هـ على المغرب الأوسط وإستولى على قسنطينة، وبجاية ثم الجزائر. أنظر: عمار عمورة: **الموجز في تاريخ الجزائر**، ط1، دار ريحانة للنشر، الجزائر 2002م، ص 41.

[2] هم فخذ من قبيلة زناتة التي لم تشأ الخضوع لنفوذ الموحدين على عكس أبناء عمومتهم بني عبد الواد. أنظر: علي ابن أبي زرع الفاسي: **الذخيرة السنية في أخبار الدولة المرينية**، الرباط1972م، ص 14.، أحمد مختار العبادي: **تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية2008م، ص 205.

[3] مؤسسها هو يغمراسن بن زيان، واحد من أعلام زناتة، هو الذي إستطاع أن يوسع بني زيان مكانا فسيحا في تاريخ المغرب باستلائه على تلمسان، وتحصينه إياها، وإقتداره على مغالبة بني مرين، وبني حفص (1253-1283م). أنظر: ابن الأحمر: **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تقديم وتحقيق: هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، بورسعيد، ص59.

[4] جون. ب. وولف: مرجع سابق، ص 23، وشوقي عطا الله الجمل: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)**، ط1، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة 1977م ص 40.

[5] أحمد سالم: مرجع سابق، ص 63.

قبيلة كسالم تومي، شيخ قبيلة الثعالبة في مدينة الجزائر[1]، بالإضافة إلى ظهور بعض الإمارات الصغيرة المتنازعة فيما بينها كإمارة "الذواودة" بالحضنة والزاب، وإمارة كوكو ببلاد القبائل، وإمارة بني جلاب في تقرت، بوادي ريغ، وإمارة الثعالبة بالجزائر بني مزغنة.[2]

إلى جانب هذا أصبحت سلطة الزيانيين تنحصر في تلمسان وضواحيها في الغرب الجزائري، وأصبحت إمارتهم التي مزقتها خلافات القصر، تستهوي الطامعين في الإمارة، وكبار الموظفين، تحت رحمة أي هجوم يأتي من الخارج سواء من سلطة إسلامية في شرقها أو غربها، أو من دولة مسيحية تترل إلى سواحل شمال إفريقيا.[3]

في هذه الأثناء ظهرت مساهمة بعض القوى الدينية المتمثلة في المرابطين، وأتباع الطرق الصوفية في إضعافهما، وتأليب الرأي العام ضدها، ومساهمتها في قيام حكم الأتراك العثمانيين، والغزو الإسباني للسواحل الجزائرية الذي قلص نفوذهما، وأضعف قواهما إلى حدّ كبير.[4]

فالتراع بين الدولة الحفصية، والزيانية من جهة أدى إلى دخول طرف ثالث في هذا التراع تمثل في الدولة المرينية التي كانت تهدف إلى مدّ نفوذها للتملك والسيطرة، فأصبح المتنافسون يقومون بالإستعانة بالقبائل العربية كبني عامر، والذواودة، وغيرهم، والتي بدورها كانت تستغل حاجاتهم وضعفهم لتتنمر عليهم.[5]

إلا أن العلاقات بين الدويلات الثلاث أحيانا كانت بين مدّ وجزر من جهة، و التحالف، والتعاون من جهة أخرى، حتى تجعل تلمسان بين أقصى شقي الرحا.[6]

---

[1] عمار بن خروف: **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى في القرن (10هـ/16م)**، دار الأمل للنشر والتوزيع، الجزائر 2006م، ج1، ص ص 15، 16.

[2] جلول بن قومار: **معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا (1578م-1603م)**، رسالة ماجستير، تحت إشراف عمار بن خروف ,قسم التاريخ، جامعة غرداية، غرداية 2010-2011م، ص 10.

[3] جلال يحي: **تاريخ إفريقيا الحديث والعاصر**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2010م, ص 63.

[4] عمار بن خروف: مرجع سابق، ص 15.

[5] نفسه: ص 17.

[6] محمد العروسي المطوي: **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986 م ، ص 375.

فدولة الحفصيين قامت بالاستنجاد بدولة بني مرين، وطلب السلطان الحفصي من أبي سعد المريني أن يتعاون معه للقضاء على دولة الزيانيين في تلمسان، وبفضل هذا التحالف تمكن السلطان المريني أبو الحسن أبي سعد المريني أن يهجم على مدينة وهران، ويحتلها سنة (736هـ/1335م)[1] ثم هاجم تلمسان (537هـ/1336م)، بينما احتل الحفصيون قسنطينة في الجزء الشرقي من المملكة، ونتيجة لذلك لم تظهر دولة قوية في المغرب الأوسط.[2]

ثم في سنة (748هـ/1347م) اقتحم مدينة وهران مرّة أخرى، ثم مدينة الجزائر، وقسنطينة، وبجاية، وعزل من هذه الولايات كل المسؤولين الحفصيين، وقام بتنصيب ولاة جدد من بني مرين، ثم احتل مدينة تونس، وبذلك استولى المرينيون على المغرب الإسلامي بأقطاره الثلاثة (تونس، الجزائر، المغرب).

ثم عاد في الأخير إلى مدينة الجزائر يقود أسطولاً بحريا يتكون من 600 سفينة، لكن واجهته عاصفة هوجاء حطمت كل سفنه، استغل الزيانيون الفرصة، ودارت معارك بين الطرفين، انتهت بانتصار الملوك الزيانيين[3]، التي أطلق ملكهم على نفسه فيما بعد أمير المؤمنين.[4]

وإلى جانب هذا يتوضح لنا أمام هذه الظروف أنه لا وجود لسلطة مركزية حقيقة ما دامت الأوضاع تدبّ بالضعف[5]، خاصة الدولة الزيانية التي دخلت في صراعات، وحروب متواصلة تارة مع المرينيين، وتارة مع الحفصيين، كما أن القادة الزيانيين كانوا يتصارعون فيما بينهم على السلطة، ويكيد بعضهم لبعض، ثم إن بعض القادة المحليين أصبحوا يتحالفون مع الإسبان ضد الدولة الزيانية، ونتيجة لهذه الأسباب تمكن الإسبان من الاستيلاء على غرناطة آخر حصن عربي إسلامي بالأندلس سنة (897هـ/1492م).[6]

---

[1] عمار بوحوش: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997م، ص 44.

[2] جون. ب. وولف: مرجع السابق، ص 23.

[3] عمار بوحوش: مرجع السابق، ص 44.

[4] أحمد توفيق المدني: **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة العربية، القاهرة 2001م، ص 65.

[5] جون. ب. وولف: مرجع السابق، ص 23.

[6] عمار بوحوش: مرجع السابق، ص ص 46، 47.

وهذا ما كان عليه المغرب الإسلامي في نهاية القرن 15م من صور الانحطاط السياسي والعسكري، فالأسرة الحفصية كانت ما تزال حاكمة في المشرق، ولكنها كانت ضعيفة، وغير قادرة في الغالب على السيطرة على القبائل العربية القوية، أو على حكم المدن التي تزعم السيادة عليها، وفي الغرب ما تزال دول المغرب الأقصى تتمتع ببعض القوى السياسية، والعسكرية، أهمها تلك التي تمركزت في فاس، ولكن أحسن ما توصف به حكومة المغرب الأقصى أيضا هو الانحطاط وليس الحيوية السياسية.[1]

أمّا المغرب الأوسط هو الآخر أصبح بدون سلطة مركزية تزعمه، فقد كان عبارة عن فسيفساء سياسية[2]، بسبب الضغوطات الحفصية من جهة والمرينية من جهة أخرى.

وطبقاً لما تقدم يتبين لنا أن وحدة المغرب الإسلامي كانت قد تحطمت، وتفتت بفعل التجزئة، والانقسام السياسي، مما أدى إلى نهاية سيادة الأمة الإسلامية، وتشجيع أمما أخرى أن تهدده بين الحين والآخر، مما مهد الطريق للمسيحيين النصارى لاحتلاله [3]، وتزايد الروح الصليبية في الظهور عند الجانب المسيحي في شبه جزيرة إيبيرية مع نشوء استلائهم على غرناطة، واستغلالهم للتفكك الذي أصاب بلاد المغرب عند نهاية القرن (09هـ/15م) بالهجوم على منطقة شمال إفريقيا مع مطلع القرن (10هـ/16م).

2 -الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية:

إن سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس في أيدي الإسبان الكاثوليك عام (896هـ/1492م) يمثل خاتمة لمراحل الصراع على أرض شبه جزيرة إيبريا بين المسلمين، وبين الكاثوليك[4]، وبداية لمرحلة أخرى بين إسبانيا و دول شمال إفريقيا من جهة، وبداية التاريخ من جهة أخرى، فنتيجة لما أحدثته من تطورات عميقة في علاقات الدول بعضها ببعض بشكل عام، وعلاقات الدول المسيحية بالدول الإسلامية بشكل خاص.[5]

---

[1] جون. ب. وولف: مرجع السابق، ص 24.

[2] شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى 1830م**، تعريب: مزالي محمد وآخرون، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس 1983م، ص 322.

[3] جميل بيضون وآخرون: **تاريخ العرب الحديث**، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، الجزائر 1991م ، ص 13.

[4] رأفت الشيخ: **تاريخ العرب الحديث**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر 1994م، ص380.

[5] جلال يحي: مرجع سابق، ص 57.

كل هذه الأوضاع عجلت بانطلاق الطاقات الإسبانية نحو مغامرات ما وراء البحار، وهجرة الأندلسيين كانت هي الأخرى قد وفرت الأسباب لتعليل التدخل الإسباني.

ولقد اشتدت المخاوف في إسبانيا من هجوم المسلمين المضاد على إثر ثورة المسلمين القصيرة المدّة في الجبال المحيطة بغرناطة سنة 1501م.[1]

كل هذه الأمور أدت إلى انتقال خط الدفاع من غرب العالم الإسلامي من حول منطقة غرناطة جنوبا إلى سواحل شمال إفريقيا، الأمر يستتبع استخدام السفن في هذا الطور الجديد من أطوار الصراع بدرجة أكثر مما كانت عليه من قبل، ومن الجانبين.[2]

ونتيجة للتفكك والتجزأ الذي شهده المغرب الأوسط خلال القرن (10هـ/16م) قد شجع الإسبان الذين استكملوا وحدتهم السياسية[3]، تلك الوحدة التي تعد من الأحداث البارزة التي عرفتها شبه جزيرة إيبيريا.

لقد توحدّت إسبانيا المسيحية عام 1474م، بعد الزواج الذي تم بين فرديناند ملك الأراغونة، وبين إيزابيلا وارثة عرش قشتالة عام 1469م[4]، ويعد فرديناند الذي بقي في الحكم 35 سنة وخلع وزوجته إيزابيلا أول ملوك الإسبان المجتمعة عليه تلك السنة أي (1474م)[5]، وهو الأمر الذي سمح للإسبان بتركيز جهودهم في محاربة المسلمين في الأندلس وإخراجهم من آخر ملك لهم، وهو غرناطة في جانفي 1492م، وفي هذه السنة اكتشف كريستوف كولومبس أمريكا مع إعتقاده أنه وضع رحاله ببلاد الهند الشرقية[6]، في حين تمكن الرتغاليون من الوصول إلى رأس الرجاء الصالح.

وإلى جانب هذا فإن سنة 1492م تعد سنة حاسمة في تاريخ إسبانيا بوجه خاص إذ كانت يومها تعيش في غمرة من النصر، نصر على المسلمين بالأندلس، ونصر لاكتشاف العالم الجديد.[7]

---

[1] وليام سبنسر: مرجع سابق، ص 34

[2] جلال يحي: مرجع سابق، ص 57.

[3] عمار بن خروف: مرجع سابق، ص 16.

[4] عائشة غطاس: **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، د ط، منشورات المركز الوطني، الجزائر 2007م ، ص13.

[5] آغا بن عودة المزاري: **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن19م**، تحقيق: يحي بوعزيز، ط1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2007م، ج1، ص 205.

[6] رأفت الشيخ: مرجع سابق، ص 380.

[7] عائشة غطاس: مرجع سابق، ص 13.

فكان من الطبيعي بعد إنتهاء حرب الإسترداد (La reconquista) أن توجه إسبانيا أنظارها صوب منطقة بلاد المغرب الإسلامي التي تعيش فترة إنحطاط عميق بعد الإنقسام والتفكك الذي مس تلك الدويلات،وفي مقابل هذا التشتت تقف المملكة الإسبانية قوية تعززها القوى المعنوية التي منحها إياها البابا أمام العالم المسيحي عندما بارك مشاريعها الصليبية، وإبرام إتفاق بينها وبين البرتغال عام 1494م، الذي تم بمقتضاه تقسيم العالم غير أوروبي إلى منطقتي نفوذ بينهما، وكان المغرب المتوسطي من نصيب الإسبان.[1]

لقد مهد الإسبان لهجومهم الكبير على منطقة المغرب عامة والجزائر خاصة جملة من الأسباب، والدوافع لغزوه مطلع القرن (10هـ/16م)، وقد تطرقنا في هذا الجانب للعديد من الأغراض التي أدت بإسبانيا لإحتلال الشواطيء الجزائرية:

1 - **الأسباب الدينية:**

تمثلت في العداوة التقليدية بين الإسلام، والنصرانية، ولما توحدت إسبانيا تحت زعامة فرديناند الكاثوليكي الذي أخذ غرناطة من بني الأحمر سنة 1492م، و رغبته في إحتلال بلاد الإسلام لنشر المسيحية في ربوعها [2]، بالإضافة إلى إبعاد حدود الإسلام عن إسبانيا وملاحقة المسلمين في عقر دارهم، والقضاء عليهم، وتشتيتهم.[3]

وفي هذا المجال لقد كتب العديد من الأوروبيين حول هذا الموضوع، حيث تؤكد هذه الأخيرة أن الحملات الإسبانية كانت تكتسي صبغة صليبية دينية، وأن التعصب المسيحي الضيق الحوصلة هو الذي تولى كبرها، وباشر تنظيمها، وأشرف على معاركها.حيث إن الحملة الإسبانية التي نشأت وترعرعت أثناء قيام دولة المسلمين بالأندلس، والتي استمرت تقاتل المسلمين طيلة قرون عدّة قد قامت على أسس دينية صرفة [4]، فقد رأت إسبانيا أن نقل العرب من بلاد المغرب أمر ضروري بهدف تطويق بلاد المغرب خوفا من إعادة الكرة، فالإسبان لم ينسوا أن فتح الأندلس كان من المغرب، وأن الأندلس خضعت لدولة المرابطين، ثم دولة الموحدّين.

---

[1] جمال قنان: **معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619–1830م)**، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 2007م، ص17.

[2] محمد العربي الزبيري: **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث**، المؤسسة الجزائري للنشر، الجزائر 1975م ، ص 16.

[3] بن خروف: مرجع سابق، ص 16.

[4] أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492–1792م)**، ط1، دار البصائر، الجزائر 2007م، ص ص 64، 65.

كما كان هناك حدث بارز له تداعياته على السياسة الإسبانية، وهو ثورة جبال البشارات[1]عام 1501م، التي جعلت الإسبان يدركون خطر الإسلام على بلاد المغرب.[2]

لكن لا يجب أن ننسى الدور الأساسي الذي قام به البابا ألكسندر السادس (1492-1503م) في مدينة روما [3]، ومساهمة الكنيسة الكاثوليكية في ذلك، فهذا الأخير حث جميع البلاد المسيحية على وضع إمكانياتها البشرية، والمالية تحت تصرف ملوك إسبانيا [4]، من أجل إبعاد خطر المسلمين، حيث أصدر أمرا يقضي بدفع الضريبة الصليبية Crusada[5] لتمويل الحرب ضد المسلمين، وكان الكاردينال خمينيس بمثابة المهندس، والمشرف على ذلك.

كما أن الملك فيرديناند الكاثوليكي ردد في العديد من المناسبات أنه: «...**يعمل من أجل خدمة الله، وأنه يحارب أعداء الدين...**».[6]

أمّا بالنسبة للملكة إيزابيلا التي أدت دوراً أساسيا في تحطيم دولة المسلمين بالأندلس، واحتلال غرناطة، تركت عند موتها وصية لمن يتولون الملك من بعدها: «...**بأن يحققوا ما تمنته في سبيل الدين ضد الكفار...**».[7]

2- **الأسباب الأمنية والإستراتيجية:** تمثلت في إقامة قواعد عسكرية أمامية في الجزائر لمنع أي اتصال بين الجزائريين، وبين من بقي من المسلمين في الأندلس، بحيث تجعل الغزو البحري انطلاقا من الشواطئ الجزائرية إلى الشواطئ الإسبانية، غير ممكن، بحيث يضعون حدا للاضرار التي كان يلحقها

---

[1] تبعد بـــ 60 كلم^2 عن غرناطة.

[2] عائشة غطاس: مرجع السابق، ص 14.

[3] أحمد توفيق المدني: مرجع سابق، ص

[4] عائشة غطاس: مرجع السابق، ص 14.

[5] **Crusada** هي ضريبة فرضت من طرف الكنيسة الكاثوليكية على المسيحيين تعطى للحكام لإنفاقها في تدعيم الحروب الصليبية ضد المسلمين، تجدد كل خمس سنوات من طرف البابا، فهو الذي يشرف عليها. أنظر: عبد القادر فكاير:**الصراع الجزائري الإسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن (10هـ/16م)**، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر 2000-2000م، ص 356.

[6] عائشة غطاس: مرجع السابق، ص 15.

[7] أحمد توفيق المدني: مرجع السابق، ص 80.

الغزاة الجزائريون بشواطئهم، ويؤمنون خطوط مواصلاتهم الهامة بين إسبانيا وإيطاليا، واتخاذ القواعد الأمامية منطلقا لغزو المناطق الداخلية.[1]

3 -الأسباب الاقتصادية:

فتبلورت أن شبه جزيرة إيبيريا بعد الاكتشافات الجغرافية، أصبحت في حاجة إلى أسواق جديدة، تتقبل تجارتها، وإلى ثغور ساحلية متعددة تحمي أساطيلها المثقلة بالحمولات، فكان عليها أن تحتل السواحل المغربية[2]، خاصة المناطق الغنية بالثروات الحيوانية والمحاصيل الزراعية مثل: عنابة، ووهران، وجيجل...الخ، لكن بالرغم من الدوافع الاقتصادية كانت هناك دوافع سياسية.

4 -الأسباب السياسية:

تمثلت في تحقيق سيادة الإسبان على الحوض الغربي للمتوسط تلك السيادة التي لا تتم إلا باحتلال الشواطئ الجزائرية، وتزعم العالم المسيحي عن طريق زيادة شعبيتهم بغزوهم لبلد إسلامي [3]، بالإضافة إلى السيطرة على غرب المتوسط سياسياً بعد أن كانت الهيمنة على المملكة الإسلامية في إسبانيا.[4] ومع التدهور، والانحلال، والتفكك الذي مس المغرب الإسلامي، والفراغ السياسي الذي حل بساحة الحكم، فظنوا أنهم مع تحقيق الأهداف السالفة، وتحت شعار المسيحية المنتصرة، سيستطيعون ملأ هذا الفراغ.[5]

فإسبانيا بعد انتصارها على المسلمين في الأندلس فكر ملوكها في توسيع ملكهم، وخلق إمبراطورية مترامية الأطراف، وبادروا إلى السيطرة على شواطئ المغرب الأوسط.[6]

وعلى غرار ما سلف في هذه الأثناء أرسل ملك إسبانيا Ferdinand حملة عسكرية بحرية بقيادة دون دييغو "Don diego"، وهاجم المرسى الكبير[7]، واحتله سنة (911هـ/1505م)[8] ، بعد معركة إستغرقت شهرين، كانت الغلبة لصالح الإسبان لكثرة عددهم وعدتهم.[9]

---

(1) عمار بن خروف: مرجع سابق، ص 16.

(2) محمد العربي الزبيري: مرجع سابق، ص 16.

(3) عمار بن خروف: مرجع سابق، ص 17.

(4) نبيل عبد الحي رضوان: مرجع سابق، ص ص 35، 36

(5) أحمد توفيق المدني: مرجع سابق، ص 86.

(6) محمد العربي الزبيري: مرجع سابق، ص 16.

(7) يعتبر المرسى الكبير البوابة الغربية للمغرب الأوسط ومفتاح مدينة وهران. أنظر: جمال قنان: مرجع سابق، ص 17.

(8) عمار عمورة: مرجع سابق، ص 83,و وليام سبنسر: مرجع سابق، ص 35.

(9) آغا مزاري بن عودة: مصدر سابق، ص 205.

ومن خلال هذا فإن المتعصب الكاردينال خمينيس قام باحتلال وهران في نوفبر 1509م[1]، هذا الأخير الذي أشرف بنفسه على سير هاته الحملة التي تجهزت بأموال الكنيسة، وتابع عن كثب تلك الأعمال الرهيبة التي قام بها الجيش الإسباني ضد السكان، وضد معالم المدينة الإسلامية، وقد أسفرت عن ذبح الآلاف من السكان[2]، حيث بلغ عددهم أكثر من 08 آلاف قتيل، وأصبحت بهذا وهران مركزا للنشاط الإسباني في الشمال الإفريقي، فبينما كانت مليلة مركزا للملاحظة، والمراقبة فحسب، فإن الإسبان لم يكتفوا بالإستيلاء على وهران فقط[3] .

ففي عام (915هـ/1510م) احتل الإسبان بجاية [4]، ثم مدينة طرابلس في سنة (916هـ/1511م)[5] ، ثم أخذت الموانيء الباقية تخشى من أن يترل بها ما كان قد نزل بالمرسى الكبير، ووهران، وبجاية، وطلبت في هذه الأثناء كل من تنس، ودلس، وشرشال، ومستغانم في شهر ماي من نفس السنة أن تدفع الجزية، وسلمت الجزائر إلى بيدرو نافارو [6] إحدى الجزر القريبة من الساحل، والتي كانت تحمي مرساها، وعلى إحدى القلاع التي تسيطر مدافعها على المدينة [7]، وقد تزامن ذلك ببناء قلعة إسبانية على بعد 300 متر عن الساحل لمراقبة المدينة، وهي تعتبر من النقاط الحصينة الموجودة على الساحل، عرفت هذه الأخيرة بحصن البينون Pénon [8]، وأصبحت الجزائر تحت المراقبة المباشرة للحامية الإسبانية وحاكمها سالم تومي الذي التزم بدفع الضريبة، وقد تزامن هذا الوضع أن أبا عبد الله محمد الزياني (918هـ/1512م)، لم يلبث أن بعث وفدا إلى إسبانيا ليعلن

---

(1) De la Primaudaie elie : **"Documents endits sur l'histaire de l'accupation espagnoles en Afrique (1506-1574) "**, **in R-A,** N°20, 1875, p10.

(2) جمال قنان: مرجع سابق، ص 18.

(3) أحمد سالم: المرجع السابق، ص 85

(4) مارمول كرنخال: إفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، ج2، الرباط 1988-1989م، ج2، ص328.
Feraud charles : « **conqueté de bougie par les Espangoles d'après un mancrit arabé** » **in R.A**, N°12. 1868, p249.

(5) وليام سبنسر: المرجع السابق، ص 35

(6) لعب هذا الأخير دورا هاما في احتلال الإسبان للشواطئ الجزائرية، وتونس وطرابلس، وكان بحارا مغامرا أصله من بسكلي، جلبه الملكان الكاثوليكيان، وكان أو والي على وهران، ولكن بعد الحرب بين فرانسوالأولوالإسبان. أنظر: كليل صالح: **خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لإحتلال المغرب الأوسط**، رسالة ماجستير، تحت إشراف علي أحقو ,قسم التاريخ، جامع باتنة , باتنة 2006، 2007م، ص 48.

(7) جلال يحي: مرجع سابق، ص 79.

(8) شوقي عطاالله الجمل: مرجع سابق، ص 94.

خضوعه، وتبعيته للملك الإسباني[1]، حيث اعترف هذا الأخير باستيلاء الإسبان على عدة موانيء في غرب الجزائر.[2]

لكن بعض الروايات تشير أن بيدرو نافاروا اشترط فيما بعد على سالم تومي التوجه إلى إسبانيا لإعلان ولائه، والالتزام بشروط المعاهدة أمام الملك، أما مدينة عنابة فقد احتلها بيدرو نافاروا عنوة أثناء طريقه إلى تونس.[3]

لكن السرعة التي تمكن بها الإسبان من احتلال السواحل الجزائرية لم تكن نتيجة للتفكك الذي كانت تعاني منه الجزائر فحسب ولكن يعود أيضا إلى تطور السلاح الإسباني بمقارنته مع سلاح الجزائريين، ووسائل دفاعهم، لكن الإسبانيين لم يحققوا أهدافهم من استغلال لخيرات الجزائر، والفصل بين مسلمي الأندلس، والجزائر، واحتلال السواحل، والمناطق الداخلية.[4]

فالإسبان لم يركزوا جهودهم على غزو الجزائر دون غيرها، ففي الوقت نفسه كانوا منشغلين بحروبهم في المناطق الأخرى في أوروبا، كإيطاليا وكذلك بغزو العالم الجديد.[5]

وفي الأخير نستخلص أن هذه الأوضاع أدت إلى ظهور قوة إسلامية جديدة ذات شأن هي الدولة العثمانية[6]، هذه الأخيرة التي برزت كقوة بحرية قادها أبناء يعقوب العثماني، لتبدأ بذلك مرحلة من الصراع بين القوى الأوروبية (إسبانيا)، والإسلامية بقيادة هؤلاء البحارة [7] الذين لعبوا دورا مهما في تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة.

إذن ما هو دورهم؟ وما هي العوامل التي أدت إلى ظهورهم؟

---

[1] عائشة غطاس: مرجع سابق، ص 17.

[2] عمار عمورة: مرجع سابق، ص 87.

[3] عائشة غطاس: مرجع سابق، ص 17.

[4] عمار بن خروف: مرجع سابق، ص 19.

[5] نفسه: ص 21.

[6] عبد الفتاح حسن أبو علية: **الدولة العثمانية والوطن العربي الكبير**، دار المريخ للنشر، القاهرة 1429هـ/2008م، ص 172.

[7] عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت 1969م ، ص 33.

3 -بروز الأتراك العثمانيين:

إن احتلال إسبانيا لشواطئ المغرب الإسلامي عامة، والمغرب الأوسط خاصة أدى بدوره إلى ظهور قوة إسلامية جهادية للحد من هذا الغزو، حيث ظهرت هذه الأخيرة في مجملها للعديد من الأسباب أبرزها: الحرب الصليبية التي شنتها كل من إسبانيا، والبرتغال على المسلمين في الأندلس، مما أدى إلى نزوح أعداد كبيرة منهم إلى الشمال الإفريقي خاصة المغرب الأوسط.[1]

وقد ظلت عمليات الجهاد الإسلامي ضد الإسبان غير منظمة حتى ظهور الأخوين عروج وخير الدين بربروس[2]، هاتين الشخصيتين كانا قد لعبا دوراً في الوقوف في وجه الاستعمار، والأطماع الاستعمارية في بلدان الشمال الإفريقي[3]، وقد ذاع صيتهم، وانتشرت بطولاتهم في الغزو البحري.[4]

إلا أن هذه القوة الإسلامية الجديدة في جهادها إعتمدت أسلوب الكر والفر في البحر بسبب عدم قدرتها على الدخول في حرب نظامية ضد القوى المسيحية من الإسبان، والبرتغاليين، وقد حقق هؤلاء المجاهدون نجاحا أثار قلق القوى المعادية، ثم رأوا بنظرهم الثاقب أن يدخلوا تحت سيادة الدولة العثمانية لتوحيد جهود المسلمين ضد النصارى الحاقدين.[5]

وعلى إثر هذا فقد حاول العديد من المؤرخين الأوربيين وصف هذه العملية الجهادية بعملية قرصنة[6]، ومن خلال هذا يطرح الإشكال التالي: ما الفرق بين مصطلح القرصنة، والجهاد البحري الإسلامي؟

و هناك العديد من الأراء حول المصطلحين، فهناك من يشير بأن مصطلح القرصنة يطلق على كل عمل يقوم به فرد أو جماعة محدودة العدد بهجوم مسلح في البحر مستخدمين السفن المسلحة لسلب ما تحمله سفن الغير، دون أن تكون هناك عداوة سابقة أو حروب معلنة بين الطرفين.

---

(1) أحمد سالم: مرجع سابق، ص 83.

(2) عيسى الحسن: **الدولة العثمانية عوامل البناء وأسباب السقوط**، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2009م، ص 141.

(3) شوقي عطاالله الجمل: مرجع سابق، ص 93.

(4) عمار بن خروف: مرجع سابق، ص 20.

(5) عيسى الحسن: مرجع سابق، ص 142.

(6) أحمد سالم: مرجع سابق، ص 142.

كما يمكن القول بأن هجوم السفن الإسلامية ضد السفن المسيحية جهاد بحري إسلامي بامتداد إسلامي من الأرض إلى البحر.[1]

إن المسلمين استندوا إلى مبدأ الجهاد الإسلامي في محاربة أعداء الإسلام سواء على الأرض أو في البحر، وردّ اعتداءاتهم.

إذن فإن العمليات البحرية التي قام بها المسلمون في مياه البحر المتوسط ضد سفن إسبانيا والبرتغال، وفرسان القديس يوحنا طوال القرن (15م و 16م) جاءت بدايته ردّا على الاعتداءات من طرف القوى المسيحية الصليبية ضد المسلمين في إسبانيا، وملاحقتهم في عقر دارهم. وعلى غرار هذا فقد اختلفت المصادر هي الأخرى حول أصل عروج وخير الدين بربروس، الأمر الذي سيفرض إلقاء الضوء عن أصلهما، دورهما في حركة الجهاد؟ إذن من هو عروج؟ ومن هو خير الدين بربروس؟.

تعددت الأراء في هذا الجانب فخير الدين من خلال مذكراته يشير أن الأصل يعود إلى: «... **أن السلطان محمد الفاتح عندما فتح جزيرة ميديلي** [2] **أمر الأتراك بالإستطان في الجزيرة، فكان أبي أحد المستوطنين الأوائل، وإبنًا لأحد الفرسان .....وهكذا عندما انتظمت الأمور والدي من جديد تزوج من إحدى بنات أهالي الجزيرة، وأنجبت أمي أربعة إخوة** ...»[3]، وهناك من يقول أن أصلهما من إحدى الجزر التابعة للأناضول[4]، وأنهما نصرانيان من إحدى جزر بحر إيجة، ويعملان في القرصنة البحرية، وأنهما يعترضان السفن النصرانية، ويأخذان ما فيها، ويبيعان، ركابها,وملاحيها رقيقا.[5]

أما وليام سبنسر من خلال كتابه الجزائر في عهد رياس البحر: يذكر أن أصلهما من جزيرة ميديللي Medelli (متيتلان أي لسبوس القديمة) وهم أربعة إخوة، وأكبر هؤلاء هو عروج بن يعقوب

---

[1] رأفت الشيخ: مرجع سابق.ص .30

[2] جزيرة كبيرة، تقع في بحر إيجة أمام برّ الأناضول، وتسمى اليوم Métiléni. أنظر: محمد فريد بك المحامي: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت 1981م ، ص 185.

[3] خير الدين بربروس: **مذكرات خير الدين**، ترجمة: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر، الجزائر 2010م ، ص 21.

[4] سيف الدين الكاتب وآخرون: **أطلس تاريخ الحضارات** (**أطلس التاريخ الحديث**)، ط1، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان 2006م ، ص 31.

[5] محمد خير فلاحة: **الخلافة العثمانية المهد إلى اللحد** ، 2005م، ص 43.

ثم يأتي إلياس، ثم إسحاق وخيضر الذي يعرف باسم خير الدين، وهو أصغرهم سنا، أبوهم يعقوب، أما بالنسبة للأم فهي تنحدر من أصل أندلسي.[1]

أما مبارك الميلي فيشير أنه من بين الجزر التي استولى عليها الأتراك في حملتهم ببحر إيجة هي جزيرة ميديللي في سنة 1457م، ولكي يثبت قدم الأتراك في تلك المنطقة، أمر السلطان العثماني طائفة من جنده بأن تستقر نهائيا في هذه الجزيرة [2]، وعند وصولهم أذن لهم في التزوج من المسيحيات: من بين هؤلاء الجنود كان يوجد جندي اسمه يعقوب، وهو شاب من روميلي، وأنه يمتهن صنع الأواني، والخزف، وأثناء مباشرته فتزوجها، وأنجب منها.[3]

إلا أن معظم المؤرخين قد انشغلوا كثيرا بهذا النسب، وإدعوا في مختلف الأقاويل فمنهم من يقول: إن السيد يعقوب كان مسيحيا وأسلم، ومنهم من يقول: إن زوجته كانت أرملة راهب يوناني. إلى غير ذلك، إنما الذي يهمنا في هذا المجال أن يعقوب بن يوسف كان تركيا مسلما [4].

حيث إستند المسلمون في أصلهم الإسلامي إلى العديد من الحجج: أن اسم عروج "أوروج" مأخوذ من حادثة الإسراء والمعراج، التي يرجع الأمر أنه ولد ليلتها، وأن الأتراك ينطقونه بلفظة "أوروج" ثم عرب إلى "عروج".[5]

وعروج يقول عنه التاريخ إنه هو الذي فتح أمام إخوته أبواب المغامرة في سبيل الله على أمواج البحر، وأنه إندفع في ذلك الميدان، فذاق من البحر حلوه ومره.[6]

ويشير عزيز سامح ألتر: أنه من أسباب توجه عروج إلى الجهاد البحري بعد أن كان يعمل بالتجارة هو تعرضه لهجوم من قبل فرسان جزيرة رودس، الذين كانوا يمارسون السلب، والنهب،خاصة للسفن الإسلامية، وغدوا قطاعا للطرق البحرية في وقت لا يكن هناك قانون

---

[1] وليام سبنسر: مرجع سابق، ص ص 37، 38.

[2] مبارك بن محمد الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر 1964م ، ج3،ص 31.

[3] نفسه: ص 33.

[4] أحمد توفيق المدني: مرجع السابق، ص 142.

[5] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص142.

[6] أحمد توفيق المدني: مرجع سابق، ص 143.

ينظم أعمال البحار ، وإزاء ما فعله هؤلاء الفرسان به وبأخيه ، مما أدى به إلى منازعة قطاع الطرق هؤلاء.[1]

ففي سنة (907هـ/1504م) فوجئ عروج، وأخوه إلياس، وهما في البحر بمجموعة من السفن النصرانية التابعة لفرسان القديس يوحنا [2]، فقتل إلياس، وأسر عروج [3]، وبعد ثلاث سنوات عمل عروج بحارًا على سفن النصارى، أثناء الحرب بين فرسان رودس، والعثمانيين، وقد انتهت تلك المعارك بطردهم من رودس، وإستقرارهم في مالطة.[4]

وفي نفس السنة وصل عروج مع أخويه إلى غرب البحر المتوسط، وكان هدفه الرئيسي هو الانتقام الشخصي ضد المسيحية [5]، حيث اشترك مع شقيقه خير الدين في إنشاء مركز لهما في جزيرة جربة التونسية [6]، كقاعدة لنشاطهما في البحر المتوسط بناء على اتفاق مع السلطان الحفصي محمد بن الحسن.[7]

وإلى جانب هذا فقد أصبح الجهاد البحري ذائع الصيت، لما كان يتحصل عليه من غنائم كثيرة من القوى المسيحية في البحر المتوسط، ولذلك فقد جذب العديد من الجهات بسبب تلك الغنائم من بينها السلطان الحفصي الذي سبق وأن أشرنا إليه، الذي قام بمساعدة هؤلاء المجاهدين

---

[1] عزيز سامح ألتر: **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية ، بيروت 1988م ، ص 29.

[2] هي جماعة دينية صليبية محاربة، ساهمت بشكل بارز في الحرب الصليبية، أقامت في جزيرة رودس، ولكن بعد طردهم منها على يد العثمانيين، أقاموا في جزيرة مالطة بأمر من شارلوكان الذي سمح لهم بحكم الجزيرة شريطة مساعدته في حروبه ضد المسلمين. أنظر: أحمد سالم: مرجع سابق، ص 102.

[3] خير الدين بربروس: مصدر سابق، ص 23.

[4] هي جزير صغيرة في البحر الأبيض المتوسط بالقرب من ساحل إيطاليا وإفريقيا، ولأهميتها الحربية العظمى تنازعتها الأمم والملوك، تنازل عنها شارلوكان لرهبنة رودس، وظلت في حوزتهم إلى سنة 1798م، حيث إحتلها بونابارت أثناء مجيئه لفتح مصر، وفي سنة 1800 احتلها الإنجليز. أنظر: فريد بك المحامي: مرجع سابق، ص 206.

[5] وليام سبنسر: مرجع السابق، ص ص 37، 38.

[6] ناهد إبراهيم الدسوقي: **دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2008م، ص8.

[7] نفسه: ص 10.

للحصول على نصيب من هؤلاء الغنائم [1]، وهو الأمر الذي عرضه لهجوم إسباني متواصل، إضطر لقبول الحماية الإسبانية بالضغط وبالقوة.[2]

وقد تزامن هذا أن اكتسب الإخوة بربروسا شهرة واسعة، وأصبحا محط الأمل، والرجاء للمسلمين في منطقة المغرب قاطبة، و لم يلبث في قاعدتهما الجديدة أن جاءتهما الاستنجادات، وطلب المعونة من شيوخ وسكان مدينة بجاية [3]، حيث قدم إليها عروج، وحاصرها دون أن يتمكن من اقتحام أسوارها، لكنه فشل، ويمكن إرجاع سبب فشله هذا إلى ضعف مدفعيته، التي عجزت عن إحداث أي ضرر في الحصن الإسباني [4]. وقد بترت ذراعه أثناء محاولته لتحريرها من الإسبان.[5]

لكن في سنة (920هـ/1514م) احتل عروج جيجل، واتخذها قاعدة لنشاطه بدلا من جربة، ثم احتل شرشال [6]، وقد نقلا قاعدة عملياتهما ضد القوات الإسبانية في ميناء جيجل شرقي الجزائر بعد أن تمكنا من دخولها، وقتل حماتها الجنويين في نفس السنة لكي تكون محطة تقوية لتحرير بجاية من جهة، ولمحاولة مساعدته مسلمي الأندلس من جهة أخرى.[7]

وبعد مداهمة عروج بجاية بأسطوله، و لم يفلح في استرجاعها، فقام بهجوم عليها مرة ثانية[8]، سنة (920هـ/1514م) يقود جيشا مؤلفا من 20 ألفا من المجاهدين، وأحاط بمدينة بجاية، واشتبك مع حامياتها في معارك قاسية شديدة، وبعد محاولات زهاء الثلاثة أشهر [9]، لكنه

---

[1] أحمد سالم: مرجع سابق، ص 86.

[2] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص 143.

[3] جمال قنان: مرجع سابق، ص 20.

[4] بوشنافي محمد: "**مساهمة عروج بن يعقوب في مواجهة الخطر الإسباني على المغرب الأوسط (1512-1518م)**"، في **مجلة العصور التاريخية**، العدد 4 و5، مخبر مصادر وتراجم، وهران 2003- 2004م، ص 278.

[5] Diégo de Haédo : **Histoire des rois d'Alger**, traduit par, H.D.DE Grammant, Adolphe jourdan, libraire, éditeur, Alger 1881, p19.

[6] شوقي عطاالله الجمل: مرجع سابق، ص 94.

[7] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص 143.

[8] De Grammant : **Histoire D'Alger sous la domination turque (1515-1830)**, Paris 1887, p21.

[9] أحمد توفيق المدني: مرجع سابق، ص 153.

فشل في الاستلاء عليها، وإنسحب إلى ميناء جيجل الذي استقبله سكانها بحفاوة، الأمر الذي أدى به إلى بسط سلطانه على البلاد الجزائرية.[1]

وهكذا فبعد أن إستطاع الأخوان عروج وخير الدين بربروس من وضع مركز نشاطهما البحري في الحوض الغربي للمتوسط، الأمر الذي جعلهم يلفتون انتباه سكان مدينة الجزائر التي كانت هي الأخرى تعاني من وطأة الحصار الإسباني [2]. الأمر الذي استلزم من سكان مدينة الجزائر إلى الاستنجاد بالإخوة بربروس [3]، وفي هذا الإطار كان قد ساندهما العديد من الحكام المحليين الذين شعروا بخطورة الغزو الصليبي الإسباني على مدينة الجزائر.[4]

وعلى ضوء هذا ما هي الأسباب والظروف التي أدت بسكان مدينة الجزائر إلى الاستنجاد بالإخوة بربروس؟.

في سنة (922هـ/1516م) توفي ملك إسبانيا فيرديناند الكاثوليكي، وبوفاته إعتبر الجزائريون أنفسهم أنهم أصبحوا بحل من يمين الولاء الذي كانوا قد أقسموه له، وبما أنهم كانوا يطمحون للتخلص من سلطة الإسبان طلبوا من أحد مشايخهم سالم تومي [5]، إجراء محادثات مع عروج، والطلب منه مساعدتهم على تحرير الجزائر، فعرض هذا الأخير على عروج طلب مساعدة الجزائريين للتخلص من الاستعمار الإسباني، ووافق عروج على القيام بهذه المهمة، وبدأ يجهز رجاله لذلك، وكان أول عمل قام به هو إقتحامه لمنطقة شرشال، ثم تابع تقدمه نحو مدينة الجزائر، وهناك دارت بينه وبين القوات الإسبانية معارك ضارية، لكن عروج فشل في إحتلال القلعة التي كانت تشرف على

---

[1] Diégo de Haédo : op, cit, p21

[2] جمال قنان: مرجع سابق، ص 21.

[3] بربروسا: ذوي اللحية الشقراء، صفة أطلقها الإفرنج الفرنسيون على تلك العائلة التي تزعم أفرادها عملية الجهاد في البحر، ثم نقلت إلى العربية بحرفيتها، وبقيت سائرة حتى كادت تطغى على الأسماء الأصلية لمجموعة الإخوة المجاهدين. أنظر: بسام العسلي: **خير الدين بربروس والجهاد في البحر (1480–1547م)**، ط1، دار النفائس، بيروت 1980م ، ص ص 26، 27.

[4] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص 143. وعبد الحميد بن أبي زيان أشنهو: **دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**، ط2، الجزائر 1972م ، ص 28.

[5] كان يحكم مدينة الجزائر سنة 1510م، وهو ينتمي إلى قبيلة الثعالبة، فرع من بني التومي. أنظر: كورين شوفالييه: **الثلاثون سنةالأولى لقيام دولة مدينةالجزائر(1510–1541)**، ترجمة: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007م، ص 23.

الميناء[1]، والتي كانت بيد حامية إسبانية قوية، فأصبح بذلك أمام عروج سوى خيارين: إما أن يغادر عروج البلاد فاقدا الكثير من مكانته وآماله، وإما أن يبقى في الجزائر لتصبح قاعدة له، وبالرغم من هذا فإن عروج أصرّ على البقاء، وتمكن من دخول الجزائر في نفس السنة [2]، ونصب نفسه حاكما فيها، لكن الإسبان تمكنوا من الاستلاء على الجزر الواقعة في مدخل الميناء، مما اضطر سالم تومي حاكم الجزائر إلى مهادنة الإسبان، ودفع الجزية لهم، أما تنس، وشرشال، ودلس فلم يتعرض لها الإسبان لأن أعيانها عرضوا عليهم دفع ضريبة اتقاء شرهم.

وفي ظل هذا الوضع كان الأمراء الزيانيون يتقاتلون على عرش تلمسان، فسجن الأمير أبو حمو الثالث ابن أخيه أبا زيان، وتحالف مع إسبانيا، مما أدى بأعيان تلمسان بالاستنجاد بعروج الذي كان متواجدا في الجزائر [3] عام (923هـ/1517م) لتخليصهم من أبي حمو الثالث، وإعادة أبي زيان إلى الملك، فااستجاب لرغبتهم [4]، وخلفه أخوه خير الدين على مدينة الجزائر، وجمع عروج الجنود من عرب وأتراك، وزحف إلى تلمسان فخرج أبي حمو للقائه بما لديه من الجيش، ومن إليه من الحلفاء فانكسر أبو حمو، وجموعه إلى تلمسان، ومنها فر إلى وهران ملتجأ بالإسبانيين.[5]

لقد صادف طلب أبي حمو صدى في نفس الإسبان الذين انزعجوا انزعاجا شديدا لنمو، وتقدم نفوذ الأخوين عروج وخير الدين بربروس في المغرب الأوسط، لذلك لم يترددوا في تلبية هذا الطلب، وسارعوا في تقديم الدعم المادي للسلطان الفار أبي حمو الثالث، كما قاموا في نفس الوقت بتجهيز حملة[6]، فقطعوا أولا خط الرجعة على عروج إلى الجزائر بقضائهم على حامية قلعة بني راشد، وعلى شقيقه إسحاق فيها.[7]

---

[1] عبد العزيز سليمان نوار: **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ب ط، دار الفكر العربي، القاهرة ,ص 107.

[2] عاطف عبد: **قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم (تونس، الجزائر)، موسوعة تاريخية وجغرافية وحضارية**، بيروت، 1998- 1999م ، ج21 ,ج22،ص 118.

[3] عمار عمورة: مرجع سابق، ص 83.

[4] عمار بن خروف: مرجع سابق، ص ص 21، 22.

[5] أبو عبد الله الأعرج السليماني: **تاريخ الجزائر بين قيام الدولة الفاطمية ونهاية ثورة الأمير عبد القادر عن كتاب الشماريخ القسم الثاني وجزء من القسم الثالث**، تحقيق: حساني مختار، المكتبة الوطنية الجزائرية، بدون سنة، ص195.

[6] جمال قنان: مرجع سابق، ص 23، وشوقي عطا الله الجمل: مرجع سابق، ص 94.

[7] عمار بن خروف: مرجع سابق، ص 22.

لقد توجه الإسبان بعد ذلك إلى تلمسان، وحاصروها، ولما نفذت كل إمكانيات المقاومة داخل المدينة، اضطر عروج إلى الخروج منها مع من بقي حيا [1]، وقد كان عروج يأمل في وصول المدد إليه من حليفه السلطان الوطاسي، لكن عروج فيما بعد حاول الفرار اتجاه الغرب[2]، لكن في هذه الأثناء أعد خير الدين جيشا كبيرا زحف به إلى تلمسان سنة 1517م، وأمن الطريق إليها. أما عروج كان بنواحي تلمسان في جيش قليل، وبلغه الخبر بما وقع من إتفاق بين أبي زيان، وأخيه، والإسبان ضده.[3]

وهكذا بعد معارك ضارية بين الطرفين، إنتهت هذه الأخيرة باستشهاد عروج [4] في ماي (924هـ/1518م)، في بني يزناسن، وهناك من يشير أنه تمت محاصرته في مدينة "مشوار" قرب الوادي المالح، وأسروه، وقتلوه هو وعدد كبير من جنوده [5]، وأعيد أبو حمو الثالث إلى ملك تلمسان الذي قبل أن يدفع ضريبة سنوية لهم مقدارها 12000 دوكات ذهبية و 12 من الخيل، علامة على التبعية.[6]

وقد تركت هذه الأحداث أثرا بالغا في نفس خير الدين، الأمر الذي دفعه إلى التفكير في ترك الجزائر، لولا أن أهلها ألحوا عليه بالبقاء، وكانت موافقته بالبقاء تفرض عليه المزيد من الجهد خشية أن يهاجمه الإسبان، ومؤيدوهم، كما أن ذلك قد أدى إلى اتجاهه إلى مزيد من الارتباط بالدولة العثمانية، خاصة بعد أن دانت لها كل من مصر والشام.

---

[1] جمال قنان: مرجع سابق، ص 24.

[2] عمار بن خروف: مرجع سابق، ص 22.

[3] أبو عبد الله الأعرج السليماني: مرجع سابق، ص 197.

[4] جمال قنان: مرجع سابق، ص 24.

[5] شوقي عطاالله الجمل: مرجع سابق، ص 95.

[6] عمار بن خروف: مرجع سابق، ص 22.

4 إرتباط الجزائر بالدولة العثمانية:

إن موت عروج شكل خسارة كبيرة، وثقيلة جدا، فإسبانيا أمام النصر الذي حققته أرادت متابعة سيرها حتى مدينة الجزائر التي كانت تحت حكم خير الدين بربروس [1]، الذي خلف أخاه عروج، هذا الأخير الذي وجد الإمارات المغربية بحالتها الراهنة عاجزة عن الصمود وحدها للخطر الإسباني، وأن الدولة العثمانية أقدر على القيام بهذا العمل الخطير، ولذلك طلب خير الدين المعونة من حكومة الأستانة فأدخله السلطان سليم الأول [2] في خدمته، وأمده بألفين من الإنكشارية [3]، وبهذه الطريقة أصبحت الجزائر ولاية عثمانية، وكان الإسبان قد استولوا على وهران، واتجهت أنظارهم إلى تونس التي كانت تحت حكم الحفصيين، وحاول العثمانيون بمساعدة حكامهم في الجزائر مد نفوذهم إلى تونس، فلجأ الأمير الحسن الحفصي للإسبان، وهكذا اشتد الصراع بين الإسبان والعثمانيين.[4]

وقد تزامن هذا أن بدأ أحمد بن القاضي [5] يحرض الأهالي، والقبائل ضد خير الدين بهدف خلو الساحة من منافس له، إزاء ذلك كلف خير الدين عسكره، ومؤيديه بالتوجه إلى تنس، وشرشال لتأديبهما تأديبا لائقا بهم، إلا أن سياسة خير الدين، ودهاءه دفع العلماءَ والمرابطين للوقوف إلى جانبه، لتكثيف الجهود ضد الإسبان، فأعلنت هذه الأخيرة تأييدها ومساندتها لخير الدين.

وفي ظل هذه الأوضاع قام سكان مدينة الجزائر بإرسال رسالة استغاثة للسلطان سليم الأول حيث كان الغرض من تلك الرسالة ربط الجزائر بالدولة العثمانية، وجاء في الرسالة أن خير الدين كان شديد الرغبة في أن يذهب بنفسه إلى إسطنبول ليعرض على السلطان سليم الأول شخصيا إبعاد

---

[1] كورين شوفالييه: مرجع سابق، ص 36.

[2] هو السلطان سليم الأول بن بايزيد الثاني بن محمد الفاتح، ولد عام 1480م، هو أول من تلقب بأمير المؤمنين من خلفاء آل عثمان، وقد تلقب بياوز، أي المهول أو العظيم، حكم 08 سنوات حتى وافته المنية عام 1520م، كان من أعظم سلاطين آل عثمان، وأشدهم تأثيرا رغم قصر مدة حكمه، فتحت في عهده مصر والشام، والحجاز، وأجزاء كبيرة من أراضي الدولة الصفوية. أنظر: أحمد سالم: مرجع سابق، ص 51.

[3] إسماعيل أحمد ياغي: **العالم العربي في التاريخ الحديث**، ط1، مكتبة العبيكان، ، الرياض،1997 م ,ص 61.

[4] شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم **: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**, ط2، دار الزهراء، الرياض 1422هـ/2002م، ص 88.

[5] أحمد بن القاضي كان من أكبر علماء الجزائر، كما كان قائدا عسكريا وزعيما سياسيا. أنظر: عيسى الحسن: مرجع سابق، ص 146.

قضية الجزائر، وكانت الرسالة التي حملتها البعثة الموجهة باسم القضاة، والخطباء، والفقهاء، والأئمة، والتجار، والأعيان، وكافة سكان مدينة الجزائر العامرة.[1]

لقد أشاد الوفد بجهاد عروج، وخير الدين إضافة إلى الشجاعة والإقدام بالحنكة السياسية، وحسن الترف، وهدوء أعصابه تجاه الأزمات مكنة من تحقيق أعمال عجز عن تحقيقها، فهو لم يكن يعرض نفسه للخطر إلا بشكل نسبي، وبالحدود التي ترهب أعدائه، وكان يعمل على تنفيذ قراراته تنفيذا كاملا.[2]

أدرك خير الدين بتفكيره السليم، ومحاكاته للواقع الذي يتعايش معه أنه بحاجة إلى حماية دولة قوية تحميه، ويستند عليها في أوقات الشدة، وأنذاك كان نجم بن عثمان يسطع كأقوى نجم إضافة إلى أنها دولة إسلامية إطارها العام إسلامي، وتتوجه نحو حماية الإسلام.[3]

وفي هذه الأثناء سارع السلطان سليم إلى منح رتبة بايلربك لخير الدين، وأصبح القائد الأعلى للقوات المسلحة في إقليمه ممثلا للسكان، وبذلك أصبحت الجزائر تحت حكم الدولة العثمانية، وأصبح أي إعتداء خارجي على أراضيها يعتبر إعتداء على الدولة العثمانية.[4]

وقد أمد هذا الأخير بالمساعدة العسكرية التي كان في حاجة إليها [5]. فأرسل إليه ألفين جندي مسلحين بالبنادق، وعددا من رجال المدفعية مع مدفعيتهم، وعددا من المتطوعين...الخ.[6]

وصار خير الدين يتغلب على أساطيل الإسبان، ويسيطر على غرب البحر المتوسط، ومع هذا فقد رأى أن يقدم خدماته، وأساطيله للدولة[7]، وقد كان زمن السلطان سليم البداية المتواضعة لمد النفوذ العثماني إلى أقاليم شمال إفريقيا من أجل حماية الإسلام والمسلمين، وواصل إبنه سليمان ذلك المشروع الجهادي فيما بعد. [8] ففي سنة (926هـ/1520م) توفي السلطان سليم الأول، وخلفه إبنه سليمان

---

[1] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص 146.

[2] عزيز سامح ألتر: مرجع سابق، ص 80.

[3] نفسه: ص 81، 82.

[4] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص ص 146، 147.

[5] عمار بن خروف: مرجع سابق، ص 23.

[6] عزيز سامح ألتر: مرجع سابق، ص ص 82، 83.

[7] عبد الجليل التميمي: **الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني** ، ط 1، مطبعة الإتحاد العام التونسي، تونس 1984م، ص 332.

[8] عيسى الحسن: المرجع السابق، ص 147.

القانوني، وقد اتبع السلطان سليمان طريق والده في الحكم، والمحافظة على الولايات التي خضعت لسيطرة العثمانيين.[1]

حكم خير الدين الجزائر باسم السلطان العثماني، وصك العملة بإسمه، وقد تخوف خير الدين من كثرة حدوث التمردات، والعصيان، وحدوثها هو الذي دفعه للإرتباط بالدولة العثمانية، وضمان الجزائر من الخطر الإسباني.[2]

وأمام كل هذا شرعت الدولة العثمانية في إنشاء أسطول ثابت لهم في شواطئ شمال إفريقية، والذي ارتبط منذ البداية باسم الأخوين عروج، وخير الدين بربروس.[3]

وقد تمكن الأخوان المذكوران من طرد الإسبان، في حين أن خير الدين من كل هذا إستطاع أن يرسي قواعد السياسة العامة في الجزائر، ويتخذ من مدينتها عاصمة، ومقرا لإدارة الحكم، بعد أن نال رضا الباب العالي، حيث لقب بأمير الأمراء، الأمر الذي جعل الظروف السياسية الدولية متساوية مع الخط الذي سارت عليه الإمبراطورية العثمانية.[4]

ومنذ ذلك الحين بدأ العثمانيون العمل المستمر، والمتواصل لتدعيم نفوذهم غربي المتوسط، ومحاولة إخضاع باقي أقاليم المغرب الكبير لمجابهة الدول الصليبية، والحد من نفوذها، وأصبحت بذلك الجزائر ركيزة حربية للدولة العثمانية في المغرب العربي، وغربي المتوسط، وبفضل هذا التعاون عملوا على تدعيم ذلك النفوذ إلى جانب تقوية الأسطول العثماني الذي لم يكن في ذلك الوقت ذا شأن عظيم، كما سيصبح بعد ذلك تحت إمرة رؤساء البحر المجاهدين، ومن خلال هذا كيف برز الأسطول العثماني الجزائري كقوة بحرية في غرب البحر المتوسط؟

---

[1] عزيز سامح ألتر: مرجع سابق، ص 84، وأحمد سالم: المرجع السابق، ص 97.

[2] عزيز سامح ألتر: مرجع سابق، ص 86.

[3] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص 147.

[4] محمد طيب عقاب: **قصور مدينة الجزائر في العهد العثماني**، دار الحكمة، الجزائر، بدون سنة، ص 16.

وفي الأخير نستنتج مما سبق أن إسبانيا قد كانت قبل منتصف القرن 15م عبارة عن ممالك منفصلة تارة، تتحد لدرء الخطر الإسلامي في شبه جزيرة إيبيريا، وتارة أخرى تختلف، وتتناحر حتى تم توحيد المملكتين: قشتالة، والأراغون بزواج الملكين الكاثوليكيين إيزابيلا وفرناندو، فبتوحد الممالك النصرانية تفرقت قوة المسلمين الغرناطية، وذلك بسقوط آخر معلم تاريخي للمسلمين في الأندلس ألا وهو غرناطة سنة 1492م، في حين أن إسبانيا استغلت هذا الوضع، وصوبت أنظارها باتجاه بلدان الشمال الإفريقي بحجة ملاحقة المسلمين الأندلسيين، تلك المنطقة التي كانت تحكمها دولة واحدة، وهي دولة الموحدين التي انهزمت هي الأخرى في معركة العقاب بالأندلس، ليترك المجال إلى بروز كيانات سياسية متناحرة فيما بينها، تمثلت في دولة بني عبد الواد بالمغرب الاوسط، وبني حفص بالمغرب الأدنى وبني مرين بالمغرب الأقصى.

فالأوضاع السياسية العامة في عهد هاته الدويلات كانت تدب بالإنحطاط والتفكك، حيث يغلب عليها عدم الإستقرار، وكثرة التنازع على السلطة، الأمر الذي أدى بإسبانيا إلى دراسة الوضع العام لهاته الدويلات، كمقدمة لتنفيذ مخطط طويل الأمد للسيطرة على المنطقة، فهذا الضعف، والانحلال، والتراجع قد ساعد المغرب الإسلامي على غزوه من طرف الأجانب، وأصبح المغرب عبارة عن فسيفساء سياسية بانقسام هاته الممالك إلى عددلا يحصى من الإمارات، والزعامات، والقبائل، وأمام هذه الظروف ظهرت قوة إسلامية عظيمة تمثلت في قوة الأتراك العثمانيين، هذه الأخيرة التي برزت في الحوض الغربي للمتوسط لدرأ الخطر الإسباني من خلال استنجاد بعض الزعامات المحلية لبلدان المغرب الإسلامي خاصة المغرب الأوسط للأخوين عروج وخير الدين بربروس لوضع حد للهجمات الإسبانية للشواطى الجزائرية، الأمر الذي إستلزم من المنطقة الإرتباط بالدولة العثمانية، وهكذا أصبحت الجزائر إيالة عثمانية تابعة للباب العالي.

الفصل الثاني:

البحرية الجزائرية بين النشأة والتطور

1 – نشأة البحرية الجزائرية.

2 – هياكل البحرية الجزائرية.

1) أنواع السفن

2) طائفة رياس البحر.

3) رتب طاقم السفن والمراكب.

4) الأسرى والغنائم البحرية.

3 – نشاط البحرية الجزائرية.

تمهيد :

بعد أن أصبح خير الدين نائبا عن السلطان العثماني في إقليم الجزائر أدرك صعوبة موقفه، وضرورة التحرك السريع لمواجهة الأخطار الخارجية، والداخلية التي تعيق استقرار الجزائر كإيالة عثمانية وأدرك مع ذلك وجوب اتخاذ الأعمال العسكرية الحاسمة اتجاه الإسبان من ناحية، والقبائل، وبعض الأهالي الذين لا يريدون استقرارا للحكم العثماني في الشمال الإفريقي من ناحية أخرى، وأمام هذا الوضع تكفل خير الدين بتحقيق أهدافه من خلال إقامة دولة قوية ما فتئت بعد وفاته أن استقلت عن الخلافة العثمانية، في حين أن الخطر الإسباني ساهم في تجسيد وحدة الجزائر السياسية والأمر الذي استلزم من خير الدين إنشاء أسطول قوي لمجابهة الخطر الإسباني، ومشاريعه التوسعية من خلال التصدي للحملات الصليبية، وقد برزت من خلال هذا قوة البحرية الجزائرية، ومكانتها الدولية في تكثيف الجهود بالتعاون مع الدولة العثمانية، في حين حاول الإسبان العمل على تحقيق السيطرة على البحر المتوسط، إلا أن بروز البحرية الجزائرية كقوة لها مكانتها الدولية حال دون ذلك.

وفي هذا الإطار السؤال الذي يطرح نفسه : هو كيف برز الأسطول العثماني الجزائري كقوة بحرية؟ وماهي هياكله؟

وماهو دور البحرية الجزائرية في التصدي للحملات الإسبانية؟

وهل نجح الأسطول الجزائري في تحقيق أهدافه؟

1 -نشأة البحرية الجزائرية :

من المتفق عليه أن الدولة العثمانية كانت تعتمد على القوات البرية، و لم تكن لها أية قوة بحرية تذكر، فكل حروبها في أوروبا، وفتوحاتها الأولى كانت تعتمد على الجيش البري، ذلك لأن كل أعدائها في ذلك الوقت كانوا أيضا يعتمدون على القوة البرية من مشاة، ومدفعية، وفرسان، ولكن بمرور الوقت، وبامتداد الأراضي، والسواحل العثمانية بدأ العثمانيون الشعور بضرورة إنشاء أسطول قوي لتأمين فتوحاتهم في البلقان، والاستلاء على الجزر المحيطة بهذا الإقليم، والقضاء على باقي ممتلكات البيزنطيين ولطرد البنادقة[1]، والجنويين[2] الذين كانوا يعتمدون على القوة البحرية من المناطق المتعددة التي كانوا قد تغلغلوا فيها.[3]

وفي هذا الصدد يشير كارل بروكلمان: «...**إن انتصار البنادقة على العثمانيين في غاليبولي[4] سنة 1416م، هو الذي حملهم على التفكير جديا في إنشاء أسطول بحري، ولكن محمد الثاني (الفاتح) كان أول من أورث العثمانيين السمعة التي يستحقونها في البحر أيضا، ففي ربيع 1456م انطلقت مائة وثمانون سفينة شراعية من غاليبولي إلى سواحل بحر إيجة، ابتغاء تدميرها، ثم إن سليمان الأول، واصل تعزيز هذا الأسطول في نشاط بالغ**،...». [5]وعلى الرغم من أن العثمانيين لم يكونوا رجال بحر، فكانوا يتهيبون أول الأمر ركوب البحار، إلا أنهم سرعان ما أدركوا أهمية السفن الحربية في المحافظة على ممتلكاتهم الجديدة، وضم المزيد من الممتلكات.[6]

---

[1] نسبة إلى مدينة البندقية الإيطالية، أنظر: خير الدين بربروس: مصدر سابق، ص121.

[2] نسبة إلى مدينة جنوة الإيطالية، وهم قراصنة إحتلوا مدينة جيجل منذ عام1260م كمركز تجاري، أنظر: يحي بوعزيز: علاقات ....مرجع سابق، ص 12.

[3] أحمد سالم: مرجع سابق، ص97.

[4] تقع على ضفة مضيق الدردنيل الذي يربط بحر مرمرة بالبحار الأوربية وتبعد عن مدينة أدرنة140كلم^2، وهو على الساحل الأوربي (مضيق الدردنيل) الذي تقع على ضفته الشرقية "Ganak kalesi" جنق قلعة، أنظر: محمود السيد دغيم: "**تاريخ البحرية العثمانية حتى نهاية عهدالخليفة سليم الثاني**"، **مقال في مجلة الحضارة الإسلامية وعلم البحار (بحوث ودراسات)** ،منشورات اتحاد المؤرخين العرب القاهرة 1944م ،ص ص 50، 53.

[5] كارل بروكلمان: **تاريخ الشعوب الإسلامية** ،ترجمة :نبيه أمين وفارس منير بعلبكي ،ط5،دار العلم للملايين ،بيروت 1973م، ص 269.

[6] عبد العزيز الشناوي: **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها** ،مكتبة أنجلو المصرية للنشر، القاهرة1980م،ج1 ، ص 54.

فاهتموا بأمر إنشاء أسطول بحري واسع ليوازي في مسؤوليته مسؤوليات الدولة العثمانية في المجالات البحرية ذات الجهات المختلفة، والواسعة، وإذا كان إنشاء أسطول جنوة الإيطالية العدو البحري الأول للعثمانيين، وصاحبة النفوذ في البحر المتوسط، والبحار الصغيرة المحيطة به [1] والتي كانت تعتمد على السلاح البحري كأساس لمجابهة القوى الأخرى.[2]

لكن هذه الظاهرة ليست وحدها الداعية إلى بناء أسطول بحري عثماني قوي، فهناك التفوق البحري البرتغالي، والإسباني في البحار الشرقية، وهناك النشاط البحري الروسي المضاد للدولة العثمانية في البحر الأسود، وهناك بقايا بعض الجزر، والمواضع في شبه جزيرة البلقان ما زالت تتصدى للدولة العثمانية في المنطقة، وهناك مجال النشاط التجاري العثماني في مناطق الشرق، كلها أسباب مهمة أسهمت في الخطة الاستراتيجية العثمانية الرامية لإنشاء قوة بحرية قوية تجوب البحار ذات الصلة المباشرة، وغير المباشرة بالدولة العثمانية.[3]

ولقد استطاع محمد الفاتح بالفعل إنشاء أسطول عثماني، استطاع بواسطته أن يحقق العديد من النجاحات في المناطق المحيطة بالدولة العثمانية ولكن الأسطول العثماني في عهد محمد الفاتح، وخلفه بايزيد الثاني[4]. لم يكن له ذلك التأثير الاستراتيجي على البحر المتوسط، وفي عهد سليم الأول كانت القوة البرية ما زالت هي القوة المؤثرة في حروب العثمانيين سواء من الصفويين، أو مع المماليك في فتح مصر، لكن ابتداء من عهد سليمان القانوني [5] كان للأسطول نشاط لم تشهد له الدولة العثمانية مثيلا من قبل، فقد أنشأ للأسطول بجانب قاعدته الرئيسية في استانبول، قواعد بحرية، وترسانة في ميناء السويس يرتكز عليها أسطول البحر الأحمر، والبحار الشرقية.[6]

---

[1] عبد الفتاح حسن أبو علية: مرجع سابق، ص 176.

[2] عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ص 54.

[3] عبد الفتاح حسن أبو علية: مرجع سابق، ص 176.

[4] ولد سنة 851هـ/1447م، وتولى الحكم 886هـ/1481م، بالغا من العمر 35 سنة، ومدّة سلطته 31سنة، توفي في عام 1495م. أنظر: فريد بك المحامي: مرجع سابق، ص 171، وإبراهيم بك حليم: **تاريخ الدولة العثمانية العلية**، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان 1988م، ص 71.

[5] ولد هذا الملك الذي بلغت الدولة العثمانية في عهده أعلى درجات الكمال في 27 أفريل 1495م، مدة حكمه 48سنة، توفي في 20 صفر سنة 974هـ/5 سبتمبر 1566م. أنظر: فريد بك المحامي: مرجع سابق، ص 200.

[6] أحمد سالم: مرجع سابق، ص 98.

وبهذا أنشأ العثمانيون أسطولا بحريا قويا نسبيا في زمانه، وأصبح الأسطول العثماني لا يقل بحال من الأحوال عن الأساطيل الدولية الأخرى وأصبحت له قواعد بحرية مهمة في البحر المتوسط، والبحر الأسود، والبحر الأحمر، وبحر العرب، والخليج العربي [1]، وإلى جانب هذا فإن الجدير بالذكر أن النواة الأولى للأسطول البحري العثماني، وبداية إنشائه كانت في عهد السلطان العثماني مراد الأول[2]، الذي بنى عددا من السفن البحرية العسكرية، وقد نما هذا الأسطول، وتطور مع مرور الزمن في عهد السلاطين العثمانيين الأوائل الأقوياء، وصارت الحاجة الماسة لهذا الأسطول في ظل تطور الأوضاع السياسية، والبحرية في مناطق حوض البحر المتوسط، وشمال إفريقيا.[3]

استطاع العثمانيون انتزاع جزيرة رودس [4] من فرسان القديس يوحنا في نهاية عام 929هـ/1522م، في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني الذي اهتم اهتماما كبيراً بالأسطول العثماني.

وبهذا الأسطول العثماني هاجم العثمانيون السواحل الجنوبية لإيطاليا في عهده، وامتد نشاط الأسطول العثماني إلى جزيرة صقلية، والساحل الجنوبي لفرنسا، وسواحل إسبانيا.

ازداد نشاط الأسطول البحري فيما بعد، فقد حقق نجاحات كبيرة أمام البرتغاليين في بحار الهند، وأضعف سلطتهم، وأبعد خطر الاحتلال الأوروبي عن سواحل شبه الجزيرة العربية.[5]

بالإضافة إلى تحقيق نجاحات كبرى أمام إسبانيا هي الأخرى في مناطق شمال إفريقيا دفاعا عن الإسلام، والمسلمين في الجزائر، وتونس، والمغرب الأقصى بعد أن اشتد الصراع الديني بين المسلمين في تلك الديار، وبين النصارى الكاثوليك المعتدين على بلادهم في الأندلس، وظل الإسبان، والبرتغال

---

[1] عبد الفتاح حسن أبو علية: مرجع سابق، ص 176.

[2] هو أحد ملوك الترك التركمان، وهو ثالث السلاطين العثمانيين، ولد في سنة 726هـ/1326م، وتولى الحكم سنة 761هـ/1361م، بالغا من العمر 35 سنة، وكانت فاتحة أعماله هي احتلال مدينة أنقرة، مدّة سلطته 31 سنة، توفي عن عمر يناهز 62 سنة، في عام 791هـ/1388م. أنظر: أحمد بن محمد المكناسي: **درة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور: مكتبة دار التراث، القاهرة، ب س ،ج 3 ، ص 16، وفريد بك المحامي: مرجع سابق، ص 129، وإبراهيم بك حليم: مرجع سابق، ص 39.

[3] عبد الفتاح حسن أبو علية: مرجع سابق، ص 177.

[4] رودسRodhos: جزيرة صغيرة تقع في بحر الأبيض المتوسط عند مدخل بحر إيجة جنوب غرب بلاد الأناضول، أنظر: فريد بك المحامي: مرجع سابق، ص 180.

[5] محمود السيد دغيم: مرجع سابق، ص25.

يشنون حروبا بحرية ضد شمال إفريقيا لأنهم كانوا ضد هؤلاء المتسلطين الذين ما فتئوا يهاجمون ديارهم مستغلين ضعفهم، وانقسام زعاماتهم.[1]

وأمام هذا الوضع السياسي الذي آلت إليه بلاد المغرب، والتي كانت تتسم بالتمزق، والتناحر بين الحين، والآخر على كراسي الحكم، والحروب الأهلية المدمرة عاملا مساعدا، ومشجعا للتطلعات، والمطامع الأجنبية في المنطقة.[2]

حيث كانت خطة البرتغال، والإسبان إقامة مستعمرات برتغالية، وإسبانية تنتشر في مناطق شمالي إفريقيا، وذلك في مجال إستراتيجيتهم العامة في السيطرة على البحر المتوسط، وسواحل المحيط الأطلسي ليتسنى لهم التصدي فيما بعد للدولة العثمانية الفتية ذات الهجمات الناجحة في مناطق شرق أوربا.[3]

ولقد كان لظهور المجاهدين البحريين أمثال عروج وخير الدين بربروس، ومن خلفهم تأثير كبير على تطور الأسطول العثماني، سواء من ناحية الكم أو الكيف، وإحكام سيطرتهم على البحر المتوسط، خاصة في الأجزاء الغربية من حيث الشواطئ الإيطالية، والإسبانية، ولقد كان تمركز أجزاء كبيرة من الأسطول العثماني في الجزائر، وقيادته من قبل رجال البحر المحترفين عاملا مؤثرا في السيطرة على الطرق الملاحية في ذلك الجانب بالإضافة إلى السيطرة على أجزاء من سواحل أوربا الغربية.[4]

وإلى جانب هذا فإن امتلاك الأتراك العثمانيين لأسطول بحري قوي كان من بين الأسباب التي مكنتهم من الاستقرار في الجزائر، وما إن استقروا في مدينة الجزائر حتى حولوا هذا الأسطول إلى مؤسسة شكلت محورا أساسيا في قوتها العسكرية، وجعلت منها قوة مكنتها من صد الهجمات الأوربية المتكررة على المنطقة من جهة، وخدمة الإستراتيجية العثمانية من جهة أخرى.[5]

ويقول في هذا الصدد كارل بروكلمان: «...**وحتى إذا رقي سليمان العرش زاد سفنه إلى ثلاثمئة، وفي عهده وفق القرصان خير الدين بربروسا إلى أن يحمل الهول الذي كان ينطوي عليه اسم العثمانيين، حتى الشواطئ الإسبانية، ولكن الأسطول العثماني كان يعوزه ذلك**

---

[1] عبد الفتاح حسن أبو علية: مرجع سابق، ص 174.

[2] جمال قنان: معاهدات الجزائر.....، مرجع سابق، ص 15.

[3] عبد الفتاح حسن أبو علية: مرجع سابق، ص 174.

[4] أحمد سالم: مرجع سابق، ص99.

[5] يحي بوعزيز: علاقات ... مرجع سابق، ص 10 وما بعدها.

العمود الفقري الذي مكن للأساطيل اللاتينية المعادية في البحر، وأمدها بقوة فائقة...أي بحرية تجارية قوية...».[1]

إلا أن عروج يعتبر أول من وضع أسس الأسطول الجزائري الذي كان يخضعه لإمرته منذ البداية،[2] لكن منذ أن أعطى السلطان العثماني لأهل الجزائر سفنا بعد موافقته على ما اقترحوه، وأمر السلطان العثماني بمنح خير الدين لقب البايلرباي، أي أمير الأمراء، وأرسل له سلاحا، وذخيرة، وزوده بالمدفعية، كما أرسل إليه ألفي جندي من جنود الانكشارية. [3]،وسمح بتجنيد ما يقرب من أربعة آلاف مجاهد،ومتطوع من الأناضول حيث أصبح هناك جيش بحري نظامي منذ إعلان خيرالدين قيام الدولة الجزائرية، وارتباطها مع الخلافة العثمانية.[4]

وعلى غرار هذا فقد أضاف خير الدين للأسطول الجزائري أول مفرزة من المسحيين الذين اعتنقوا الإسلام، حيث كانت هذه الأخيرة مشكلة من ستمائة رجل كلفوا بمهمة الحراسة، وعرفوا باسم الأعلاج، وهم الأوربيون الذين اعتنقوا الإسلام، وتمكنوا من خلال التحاقهم بالأسطول الجزائري بمهاراتهم البحرية من إدخال التقنيات الجديدة في بناء السفن، وإحداث تجديدات ,خاصة في مجال التجديف.

وبفضل التشجيع تزايد عددهم إلى ستة آلاف، وقد أسند إليهم خير الدين مهمة التدريب، والإشراف على هذه القوة تحت إشرافه تدريبا وتجهيزا.[5]

وباعتبار أن التنظيم الخاص بالقوة البحرية، وطاقم السفن كان مستقلا عن الجيش البري، فكل قائد سفينة يختار طاقمه من الأشخاص حسب رغبته فكانت فرصة لهؤلاء للانضمام للعمل

---

[1] كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص 469.

[2] كليل صالح: مرجع سابق، ص 173.

[3] يطلق عليهم اسم ياني سيري بالتركية، وبمجرد وصولهم إلى الجزائر من طرف السلطان سليم الأول سنة1518م، شكلوا طبقة شعبية منفصلة تميزت باحتقارها للسكان الآخرين، أنظر: كورين شوفالييه: مرجع سابق، ص64.

[4] كليل صالح: مرجع سابق، ص 172.

[5] نفسه :ص ص173،172.

العسكري.[1]

وكل هذا يدل على أهمية الأسطول العثماني ودوره في تلك الفترة خاصة منذ تولي المجاهدين البحريين أمر هذا الأسطول، وأمر الجهاد البحري ضد القوى الصليبية في البحر المتوسط التي أعطت سيطرة شبه مطلقة للقوات العثمانية على الطرق البحرية، ومن الأدلة التي تؤكد سيطرة الأسطول العثماني على الملاحة في الحوض الغربي للبحر المتوسط هو استغاثة فرانسوا الأول [2] ملك فرنسا الذي اشتعلت الحرب بينه وبين عدوه الإمبراطور شارل الخامس بالسلطان سليمان القانوني لتخليص ثغر نيس من قوات شارل الخامس[3]، والذي استطاع خير الدين تخليصه عام 1543م.[4]

وهذا إن دّل فإنما يدّل على القوة التي وصل إليها الأسطول العثماني في أبعد نقطة عن الدولة العثمانية في البحر المتوسط، فلم يكن الأسطول العثماني يرتبط ارتباطا مباشرا بالمركز فيإسطنبول كارتباط باقي الأساطيل الدول الأوربية بالدولة الأم، وإنما أصبح الأسطول العثماني تحت إمرة

---

[1] كليل صالح: مرجع سابق: ص 174.

[2] ولد هذا الملك سنة 1494م، وتولى الملك سنة 1515م، وكانت كل حروبه بسبب إدعائه أن له حقوقا على ولاية ميلان بإيطاليا من جهة جدته، فسار عقب توليه الملك إلى هذه الجهة لفتحها، وفتحها بعد أن انتصر على السويسريين في واقعة مارينيان، ثم لما أنتخب شارلوكان ملك إسبانيا إمبراطورا لألمانيا، ومايتبعها بعد موت ماكسمليان جدّه لأبيه في سنة 1520م ابتدأت الحروب بينه وبين فرانسوا الأول ملك فرنسا بسبب إدعاء كل منهما الأحقية في ولاية ميلان، وكانت الدائرة فيها على فرنسا، فانتصر عليها شارلوكان عدّ مرات وأخيرا في بافيا عام 1525م، حيث أخذ بموجبها فرانسوا أسيرا إلى إسبانيا، و لم يفرج عنه إلا بعد إمضاء معاهدة مع شارلوكان، توفي سنة 1547م، أنظر: فريد بك المحامي: مرجع سابق، ص203.

[3] هو ابن فليب ابن الإمبراطور الألماني ماكسيمليان الأول من ناحية الأب وخوانا المجنونة بنت فرناندو الكاثوليكي ملك الأراغون، وإيزابيلا ملكة قشتالة، امتد حكم هذا الإمبراطور من عام 1516–1554م، استطاع أن يتخطى العقبات التي اعترضت سبيله في حكم إسبانيا، و لم يكن يومئذ قد تخطى السابعة من عمره عندما آل إليه حكمها عام 1516م، أنظر: زينب عصمت راشد: **تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن 16م إلى نهاية القرن 18م**، دار الفكر العربي، القاهرة،ج1، ص 112، ومولود قاسم نايت بلقاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م**، ط1، دار البعث قسنطينة 1985م، ج1،ص 135.

[4] للإطلاع أكثر أنظر: محمود السيد دغيم: مرجع السابق، ص26.

رياس البحر[1] يصول ويجول دون ارتباطه مباشرة بالعاصمة العثمانية.[2]

وتوالت انتصارات الأسطول في عهد السلطان سليمان، والذي اعتمد هو الآخر على قيادة رؤساء البحر في تكوينه للأسطول العثماني حتى بعد موت خير الدين الذي توفي سنة 1547م، فقد كان معظمهم من رؤساء البحر المتمرسين في العمل البحري ضد القوى الصليبية، والذين وهبوا حياتهم للجهاد باسم الإسلام، فجاءت انتصاراتهم حاسمة، وبالغة الأثر ضد النفوذ الصليبي في البحر المتوسط.

ولذلك كان على السلطان سليمان توليته من ينوب عنه نيابة مباشرة في غربي المتوسط حتى يتسنى له التصنيف على شارلوكان في أملاكه في إسبانيا وإيطاليا، وجز المتوسط الغربية، وتشتت جهوده بين صد الهجمات العثمانية بقيادة السلطان في شرق أوروبا، ووسطها، وبين هجمات الأسطول العثماني على سواحل إسبانيا، وإيطاليا في الغرب.

كان السلطان سليمان القانوني دائما على رأس جيوشه المشغولة بفتح أوربا والتوسع تجاه الغرب على حساب مملكة المجر، وبلاد البلقان، والنمسا التي كانت هي الأخرى تحت حكم شارل الخامس العدد الأول للدولة العثمانية.[3]

ومما يلاحظ أن خير الدين قام بمهمته على خير وجه، واستطاع مواجهة التحالفات الصليبية، والتي تتمثل في أساطيل الدول الأوروبية أهمها أساطيل شارلوكان، والبندقية، والبابا، والبرتغال، لكن خير الدين استطاع التصدي لهم، وهزيمتهم، في عدة معارك أشهرها معركة بروزة.[4]

ومن كل هذا فإن بعد الجهود التي قام بها حسن آغا هو الآخر بإنشاء أول أسطول جزائري فعلي مستندا على مخطط لخير الدين، وأحرزت به الجزائر السيادة البحرية وأنشأ لها مصانع للسفن

---

[1] هم مجموع الذين يعيشون على الجهاد في البحر، اختلفت أصولهم، فمنهم الأندلسيون، والأعلاج والأقلية منهم سكان إيالة للجزائر، أنظر: حمدان بن عثمان خوجة: **المرآة**، تعريب: محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت، الجزائر 1983م، ص155.

[2] أحمد سالم: مرجع سابق، ص100.

[3] نفسه : ص ص 101، 102.

[4] وقعت هذه المعركة في خليج بروزة في 28 سبتمبر 1538م بين التحالف الأوربي المسيحي بقيادة أندري دوريا، وبين الأسطول العثماني بقيادة خير الدين بربروس، وانتهت هذه المعركة بانتصار العثمانيين، مما مكنهم من فرض سيطرتهم على حوض البحر المتوسط لمدة 30 عاما تقريبا. أنظر: خير الدين بربروس: مصدر سابق، ص186.

الصغيرة في شرشال، وبجاية، وغيرها، كما كان بالعاصمة مصنعان أساسيان، مصنع بباب الواد للسفن الكبيرة، ومصنع بباب عزون للسفن الصغيرة، ومصنع آخر بباب البحر.

وأصبحت البحرية الجزائرية بفضل جهود التصنيع ووجود ميناء تتوفر على عشرات السفن، وطاقم مدرب تدريبا جيدا قادرة على الصمود ومقاومة الحملات الصليبية، وفرض سيادة الدولة على البحر.

وبعد أن أصبح خير الدين قائدا للبحرية الجزائرية العثمانية نمت البحرية الإسلامية، وشكلت قوة ضاربة، وخطرا دائما على الدول المسيحية بسياستها الجهادية البحرية، والتي مكنتها من فرض سيطرتها على الحوض الغربي للبحر المتوسط،[1] ومن بين العوامل التي أسهمت في بناء قوة البحرية الجزائرية هي: الموقع الجغرافي الممتاز للجزائر، وطبيعة سواحلها المفتوحة على أوربا، والمتحكمة في الحوض الغربي للمتوسط، مما جعلها منذ التدخل العثماني محط أنظار، وصراع بين دول شمال إفريقيا وجنوب البحر المتوسط حتى أطلق عليها اسم الجزائر المحروسة، ودار الجهاد[2].

رفعها راية الجهاد البحري ضد المسيحيين، وحماية المسلمين الأندلسيين وحملهم على سفنهم، وحماية سواحل الشمال الإفريقي من الغارات الإسبانية بصفة خاصة، والغارات الأوربية بصفة عامة.[3]

تجنيد الأوربيين في البحرية الجزائرية، والمعروفين بالأعلاج، وهذا ما جعل الكثير منهم يصل إلى مراتب عالية في الحكم، بعد اعتناقهم الإسلام، وارتباطهم بالدولة العثمانية.[4]

---

[1] كليل صالح: مرجع سابق، ص ص 173، 174.

[2] حنيفي هلايلي: " **التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني** "، **في مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية**، العدد 24، دار الهدى للطباعة، عين مليلة، الجزائر 2007م، ص255.

[3] كليل صالح: مرجع سابق، ص ص 174.

[4] جمال سهيل: "**ملامح من شخصية الجزائر خلال القرن 11هـ/17م**"، **في مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، العدد 13، المطبعة العربية، غرداية 2011م، ص 144.

مهارة البحارة الجزائريين، وكفاءاتهم الحربية، ومقدرتهم القتالية التي مكنتهم من تحقيق انتصارات حاسمة بفضل رياس البحر أضحت البحرية الجزائرية من خلالها مدرسة للبحرية الإسلامية.[1]

وفي الأخير نستنتج أن خير الدين بربروس استطاع تكوين جيش كامل لمجابهة العدو الصليبي، حيث أصبح عدد وحدات الأسطول العاملة عند منتصف القرن 16م أربعين سفينة كبيرة كل هذه الأمور أدت بالبحرية الجزائرية إلى مشاركتها في العديد من العمليات البحرية إلى جانب الدولة العثمانية، وحليفتها فرنسا.

وهكذا استطاع الأسطول العثماني في ظل رئاسة خير الدين، ومن تبعه من رؤساء البحر المجاهدين تدعيم السيطرة العثمانية على غربي البحر المتوسط، وبفضل الجهاد البحري الذي تزعمته الجزائر منذ أوائل القرن 16م، ساعد ذلك على توطيد صفوف المسلمين لوضع حد للتوسع الإسباني بالسواحل الشمال الإفريقي، فاكتسبت الجزائر من كل هذا مكانه خاصة جعلتها بمثابة القلعة الأمامية في مواجهة المد الصليبي الذي يهدد سواحل المغرب.

[1] حنيفي هلايلي: **بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني** دار الهدى، عين مليلية، الجزائر 2007م، ص ص 45، 46.

2 هياكل البحرية الجزائرية:

1 أنواع السفن:

لقد تعددت أنواع المراكب والسفن في أسطول دار الجهاد الجزائر تبعا للظروف، والتطورات التي عرفتها البلاد، وعرفها العصر الحديث، حيث كان منها ما يصنع في الجزائر، البعض يشترى من الخارج، أو يصادر، ويغنم في البحر، أو يقدم لها في شكل هدايات أو من البلدان الأوروبية، والأمريكية، ومن الدولة العثمانية كهدايا خالصة، وذلك في إطار المعاهدات والاتفاقات الثنائية وفي هذا الجانب ماهي أنواع السفن المستعملة في القرن 16م بالنسبة للبحرية الجزائرية؟

وللإجابة على هذا التساؤل يمكن أن نميز مجموعة من السفن، وهي كالآتي:

1. **قاليتة:** هي إحدى السفن الحربية التي كانت مستعملة قبل إكتشاف السفن البخارية، تحتوي على 20-25 مقعدا، تستعمل على وجه الخصوص لمطاردة سفن العدو.[1]

2. **الشباك** (Le chebeck): وهو مركب ذو ثلاث صواري،يحتوي على ثلاثين مجدافا، وتتسع إلى أقل من 200 طن، محملة بطاقم من 30-20 رجلا، ومجهزة بأربعة إلى 24 مدفعا.[2]

3. **الإبريقات، والزوارق:** وهي ذات عشرة إلى ستة عشر مقعدا للتجديف، وكانت أكثر تسليحا، جاء بها البحارة المشارقة.[3]

4. **القالير** (La galére): وهي أكثر أنواع السفن في أسطول دار الجهاد، طولها 50 مترا، وحمولتها متوسطة، وسرعتها خفيفة، وتحتوي على 25 إلى 26 مصطبة، كل منها يجلس عليها من 2-8 أشخاص.[4]

5. **الغاليوطة** (La goélette): سفينة حربية ذات أشرعة هوائية يقوم بدفعها الجدافون من أسرى الحروب، كانت تستعمل قبل اكتشاف السفن البخارية [5]، وهي ذات أشرعة طويلة، تصنع لتكون سريعة، وسهلة القيادة، وذات مرونة في توجيهها[6]، وهي تتمتع من 19-24 مجدافا.[7]

---

(1) خير الدين بربروس: مصدر سابق، ص 37.

(2) كورين شوفالييه: مرجع سابق، ص 50.

(3) جون .ب. وولف: مرجع سابق، ص 182.

(4) يحي بوعزيز: **الموجزفي تاريخ الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007م ،ج2، ص 414.

(5) خير الدين بربروس: مصدر سابق، ص 32.

(6) عائشة غطاس: الدولة الجزائرية... مرجع سابق، ص 98.

(7) عزيز سامح ألتر: مرجع سابق، ص 155.

6. **باشارده:** وهي نوع من السفن القارغة، ولكنها أكثر قوة، وتسليحا، تحتوي على 23-26 مقعدا مزدوجة التجديف، يعمل على المجداف الواحد 5-7 أشخاص.[1]
7. **قادرغة:** إحدى السفن الشراعية الحربية التي كانت مستعملة قبل اكتشاف السفن البخارية تشتمل على 25 مقعدا، كل مجداف يقوم برفعه 4-5 جدافين، تمتاز بطولها، وخفتها، يتكون طاقمها من 35 بحارا، و196 جدافا، وتحمل 13 مدفعا.[2]
8. **الفرقاطة:** وهي مراكب حربية[3]، ومسلحة بـــ6-10 مقاعد تجديف، وبمجاديف يجدف بها نفس الرجال الذين يحاربون، وكانت ضحاياهم هي مراكب الصيد الصغيرة، والزوارق الساحلية الصغيرة، والسفن التجارية[4].
9. **الطرادات:** جمع طراد أو طرادة، وهي سفن حربية صغيرة الحجم سريعة الجري لم تزل معروفة إلى الآن، والطرادات في البحرية العثمانية أنواع، وهي من السفن غير المدرعة ، فمنها الطراد الطوربدي، والطرادات ذات رفاس، وطرادات درجة أولى وطرادات درجة ثانية.[5]
10. **الفوستة** (La fuste): مركب سريع الحركة، مزدوج يسير بالأشرعة، والمجاديف، وبها ما بين 2 و14 مصطبة.[6]
11. **الشيني:** تتميز بكونها طويلة، وسريعة الحركة، سهلة التوجيه ذات صارية واحدة تسير بالأشرعة، والمجاديف، يتراوح عدد مقاعدها ما بين 24 و28، ولكل مقعد مجدافات، ويقوم على كل مجداف أربعة إلى خمسة رجال، ونظرا لاستوائها، وعدم ارتفاعها فهي معرضة أثناء هيجان البحر، وإضطرابه، وقد شبهها بعضهم بالعصافير بسبب خفتها التي جعلتها تتزلق فوق الماء.[7]

---

(1) كليل صالح: مرجع سابق، ص 135.

(2) خير الدين بربروس: مصدر سابق، ص 50.

(3) التمكروتي:**التحفة المسكية في السفارة التركية1589م**، ط1،دار السويدي أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة2007م، ص114.

(4) جون .ب. ولف: مرجع سابق، ص 181.

(5) عبد الفتاح عبادة: **سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها في الإسلام**، مطبعة الهلال، مصر 1913م، ص 7.

(6) يحي بوعزيز: الموجز ... مرجع سابق، ص ص 414، 415.

(7) عائشة غطاس: الدولة الجزائرية ... مرجع سابق، ص 98.

12. **أغربة:** جمع غراب، وهي من أقدم أنواع السفن الحربية كانت معروفة عند القرطاجيين والرومان، وغيرهم، و لم تزل معروفة حتى الدولة العثمانية [1]، وهي تسير بالقلوع أو المجاديف [2] وسميت بالغراب لأن القدماء كانوا يصنعون بعض سفنهم على أشكال الطيور، فيجعلون رأس السفينة أو مقدمتها على شكل رأس الغراب أو شكل طير من الطيور.[3]

وهناك سفن أخرى تعددت أنواعها وهي كالآتي: سفينة شراعية بصاريين، وهي سفينة إنتقالية بين السفينة ذات المجاديف، والسفينة الشراعية ذات الصاري الواحد فقط، بها 16 مجدافا، بحيث يوجد رجل واحد على كل مجداف.[4]

بالإضافة إلى البيرقانتين، والكورفيت، والبريك، والبريك قوليت، والكرافيل، والبولاكر، والشاطية، والعشارية، والشالوب، والبطشات[5]، والصنادل.[6]

وعل غرار هذا هناك العديد من السفن ظهرت كذلك منذ القرن 16م وهي: الجفن، واللنشون، والبلاتدرة، واللنجور...الخ.[7]

وهكذا نلاحظ أنه بحلول القرن 16م أصبحت مدينة الجزائر تتوفر على أحواض لصناعة السفن تمكنها من صنع الغليوطات وغيرها.

وبمرور سنوات قليلة أصبحت المراكب والزوارق، وغيرها من السفن تصنع في المراسي الجزائرية الأخرى، و لم يكن ميناء خير الدين موجها لأن يكون ملجأ السفن فقط، بل أصبح ترسانة لصناعتها أيضا، حيث كانت المراكب الكبيرة تصنع على ساحل باب الواد، في حين تنشأ السفن الأقل كبرا على ساحل باب عزون.[8]

---

[1] عبد الفتاح عبادة: مرجع سابق، ص 9.

[2] يحي بوعزيز: الموجز ... مرجع سابق، ص ص 415.

[3] عبد الفتاح عبادة: مرجع سابق، ص 9.

[4] كورين شوفالييه: مرجع سابق، ص 50.

[5] Les pataches: وهي مراكب بحرية صغيرة. أنظر:علي بن محمد التمكروتي: مصدر سابق، ص113.

[6] Les Cobots: وهي عبارة عن زوارق صغيرة. أنظر نفسه: ص114.

[7] يحي بوعزيز: الموجز ... مرجع سابق، ص ص 415.

[8] وتذكر المصادر ترسانة باب عزون بشيء من التفصيل، إذ هي عبارة عن حوض مستدير الشكل تقريبا، يصل قطره حوالي80 قدما، ويبعد عن الرصيف بحوالي 300 قدم، وتوجد هذه الترسانة الصغيرة للآن بعد إمتداد مدينة الجزائر في المكان المعروف بساحة السلطة، أنظر: عائشة غطاس: الدولة الجزائرية ... مرجع سابق، ص99.

أما الترسانة الواقعة داخل الميناء بجوار رصيف السفن قبالة باب الواد، فكانت في بادئ الأمر عبارة عن شاطيء صغير حوّل إلى ترسانة لصنع السفن.

وبالإضافة إلى ترسانة باب الواد، وباب عزون وهناك ترسانة قريبة نسبيا من مدينة الجزائر هي ترسانة شرشال التي تبنى فيها السفن من نوع فرقاطة، والتي كان ينشئها الأندلسيون، كما كان بميناء الأزقاق المجاور لساحل مدينة عنابة ترسانة أخرى لصناعة السفن أقل أهمية من ترسانة الجزائر، حيث لا تصنع فيها سوى السفن البسيطة كالقوارب التجارية.[1]

نستنتج مما سبق أن القرن 16م ومطلع القرن 17م قد شكل عهد البطولات العسكرية من خلال مقومات الأسطول، والنظام القائم عليه لأن النبوغ كان واضحا لديهم من خلال العقلية العسكرية البحرية، أكثر من أي جانب آخر، حيث مثل الجيش البحري هو الآخر دورا هاما في الشمال الإفريقي.

2 طائفة رياس البحر:

إن طائفة رياس البحر هي مجموع الذين يعيشون على الجهاد في البحر، أو القرصنة كما يسميها المؤرخون الغربيون، حيث عرفوا هؤلاء الرياس على أنهم قراصنة، حيث كانت تشمل هذه الأخيرة بالدرجة الأولى الرياس مالكي السفن، وكذلك البحارة، وقد استعملت هذه الكلمة خلال الفترة العثمانية بالجزائر للدلالة على بحرية إيالة الجزائر، وعبرت عن كل من له صلة بالبحر.

في حين قد لعبت هذه الطائفة دوراً أساسياً في تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة[2]، وينبغي في هذا الشأن معرفة الفرق بين القرصان، ورياس البحر؟.

وفي هذا الصدد يشير "جون ب وولف" من خلال كتابه (الجزائر وأوروبا) أن القرصان هو الشخص الذي كان حرا في النهب، ولا يعترف بأي سلطة، فوق إرادته الخاصة، فقد كان يهاجم بدون تمييز سفن أية دولة، وكان هدفه الوحيد هو النهب، ولكن رياس البحر كانوا أشخاصا موكلين من غيرهم للقيام بهذه المهنة، وكانت مهمة سفينة رياس البحر، مثل مهمة سفينة القرصان، عبارة عن القيام بعملية مغامرة أكثر مما هي مهمة للصالح العام، غير أن رايس البحر كان يقوم بمهمة تعطي طابع الشرعية لنشاطه.[3]

---

[1] عائشة غطاس: الدولة الجزائرية .....مرجع سابق، ص ص 100، 101.

[2] نفسه :ص 95.

[3] جون. ب. وولف: مرجع سابق، ص 181.

وتشير كورين شوفالييه: « **إن القرصنة ظاهرة إستطان البحر الأبيض المتوسط، قديمة قدم التاريخ، هي تتألف عادة من النشاط الذي يعقد على المصادفة**» [1]. وقالت أيضا: «**وأن القرصنة هي حرب مشروعة تتم بواسطة بيان صريح للحرب أو ترخيص يتم بموجبه تجهيز سفينة حربية... وتعليمات، والقرصنة لها قوانينها وأنظمتها، وعاداتها الحية، وتقاليدها...أما بالنسبة للمسلمين فإن القرصنة قبل كل شيء هي شكل من أشكال الجهاد في الحرب**»[2].

ويشير محفوظ قداش في هذا الجانب إلى ما يلي: « **وأنا أعتقد بأن من الضروري القول بأن هذه الظاهرة التي تدعو إلى الأسف هي ظاهرة إشترك فيها جميع البلاد الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، وليست ظاهرة خاصة بالجزائر فقط، وإذا كانت مصارعة السفن في البحر نوع من العراك، والقتال في البحر، قبل به المسلمون، والمسيحيون معاً، وهو شيء يدعو إلى الأسف من وجهة نظر أخلاقية، فإن هذا الصراع يقود إلى عمليات للنهب، والسلب ...**»[3].

أمّا بالنسبة لأصل رياس البحر، فإن التركيبة البشرية للبحرية الجزائرية غنية، ومختلفة المشارب، حيث تكونت عناصرها من خليط ممتاز من العناصر المحلية، إضافة إلى أعلاج أوربا [4]، ويضاف إليهم بحارة من المشرق الإسلامي، وآخرون قدموا من الأندلس رفضاء اعتناق المسيحية [5]، والمسلمون من المناطق الإمبراطورية العثمانية الأقلية، وهم الجزائريون من سكان الإيالة[6].

فالبحارة المحليون، والأندلسيون، والمشارقة الذين تولوا الحروب المحلية قبل إلتحاق الجزائر بالدولة العثمانية شكلوا حقا العمود الفقري لقوة سفن القرصنة، أمّا الأعلاج، والذين ينتمون لكل الأمم المسيحية، فقد بدأ توافدهم على الإيالة إبتداءا من القرن(10ه/16م)، ويلاحظ المؤرخون الغربيون أنه خلال القرن 16م، كانت غالبية الأعلاج من بلدان البحر الأبيض المتوسط مع أكثرية من المدن الإيطالية [7]، حيث كانوا يشكلون ثلثي الشخصيات القيادية في أسطول البحارة فمن جملة 36 رايسا يقودون السفن بأكثر من 15 مجدافا، كان 22 منهم من الأعلاج وهذا يبرهن على وجود بعض الرياس الأعلاج،[8] .

---

[1] كورين شوفالييه: مرجع سابق، ص 48.

[2] Corine Chevallier : **Les trente premières Annts de l'état D'Alger 1510-1541**, office des publications universitaires, Alger 1988, p 48.

[3] محفوظ قداش: **الجزائر في العهد التركي، في مجلة الأصالة**، العدد52، مطبعة البعث، الجزائر، ديسمبر 1977م، ص13.

[4] وهم الأوروبيون الذين أسلموا وانضموا إلى بحرية الجزائر.

[5] Devoulx **: La Marine de la régence d'Alger in R.A**.N°13 , 1969, p386

[6] حنيفي هلايلي:بنية الجيش.....مرجع سابق، ص96.

[7] نفسه: ص ص 96، 97.

[8] جون .ب. وولف: مرجع سابق، ص 183.

وإلى جانب هذا فكان الإجراء العادي للبحار أن يختاره مالكوا السفن التي يستعملونها في معاركهم [1] ولكن قبل أن يعينه كقبطان كان عليه أن يختار بنجاح امتحان يجريه عليه ديوان الرياس، إذ يجب في هذا الإطار على طائفة الرياس أن تكون على معرفة ببعض القواعد النظرية لفن الملاحة، كمعرفة حركة النجوم، وقراءة البوصلة، وإتجاهات حركة الرياح، وفهم الخرائط الملاحية .[2]

وعلى غرار هذا يشير المؤرخ الفرنسي دوغرامون: «... **لقد أخذت جرأة الرياس الجزائريين تتطور، وتزداد باطراد، وهكذا حجزوا على عباب المحيط الأطلسي السفن الإسبانية، المسلحة تسليحا ثقيلا، والمحملة بالذهب، والفضة... وهي راجعة من أمريكا اللاتينية، كما فاجئوا أكثر من مرة سكان شواطيء خليج غسكونيا، وسواحل المنش، وبحار إنجلترا... ما كان أحد يستطيع أن ينجو من ملاحقتهم...**».[3]

ويشير حمدان خوجة من خلال كتابه المرآة: «.. **وهناك أمثلة رائعة عن إستعداداتهم الطبيعية، ومنهم من يستولون على السفينة بعد رحلتهم الأولى، وهم يجهلون مبادئ الملاحة الأولية، وسيما أنهم يعرفون الجبال، وقممها معرفة جيدة، فقد كانوا يتمكنون من التمييز بدقة بين نقطة وأخرى...**»[4]

وأمّا هايدوا فيذكر: «**أن رجال البحرية الجزائرية كانوا يجوبون البحار من الفجر إلى الغروب، وخلال الشتاء، والربيع دون خوف، ويسخرون من السفن المسيحية، وكأنهم يخرجون لصيد الأرانب**»[5]

وهذا إن دّل فإنما يدّل على ذكاء أولئك الرياس، وكفاءتهم، وسرعة تعلمهم، وإستعداداتهم البحرية لمواجهة الأساطيل البحرية القوية التي تجوب البحار من حين إلى آخر.

وكذلك يقول بعض الكتاب الغربيون أنه على عهد الإخوة بربروسة كان بحارة الجزائر يشكلون إحدى قوى الحوض الغربي للمتوسط الرئيسية، وقد تزايدت سطوتهم بعد 1560م، بحيث شكلوا أساطيل حقيقية تمكنوا بواسطتها من مهاجمة سواحل غرب الأندلس، صقلية، نابولي، ليفورن[6]...الخ.

---

[1] حنيفي هلايلي: بنية الجيش ... مرجع سابق، ص ص 48،

[2] أحمد شريف الزهار: **مذكرات شريف الزهار نقيب أشراف الجزائر** ، تحقيق: أحمد توفيق المدني، ش. و.ن.ت، الجزائر 1980م، ص118.

[3] مولود قاسم نايت بلقاسم: **لمحة عن مجد الجزائر وديمومة شخصيتها البارزة عبد العصوروالأعاصير** ، **في مجلة الثقافة** ، العدد 85، ب س، ص 32.

[4] حمدان بن عثمان خوجة: مصدر سابق، ص155.

[5] عائشة غطاس: الدولة الجزائرية... مرجع سابق، ص 96.

[6] نفسه: ص97.

أمّا بالنسبة للتمكروتي[1] من خلال كتابه النفحة المسكية في السفارة التركية أثناء إقامته بمدينة الجزائر سنة 1584م، حيث يصف الرياس بقوله: «و **رياسها موصوفون بالشجاعة، وقوة الجأش، ونفوذ البصيرة في البحر، يقهرون النصارى في بلادهم، فهم أفضل من رياس القسطنطينية بكثير، وأعظم هيبة، وأكثر رعبا في قلوب العدو...**»[2]

بالإضافة إلى ذلك يذكر حمدان بن عثمان خوجه: « **بأنهم كانوا يحاربون بشجاعة، وإقدام موقنين بأنهم إنما يستشهدون في سبيل الله**»[3]

ويقول دوغرامون كذلك: «**أن رياس الجزائر لا نظير لهم في الحرب التي كانوا يخوضونها فقد أظهروا حماسة لا تتوقف، وجسارة كانت تكلل في الأغلب بالنجاح، ويضيف أن سفنهم كانت تشكل القسم البحري الغربي للسفن العثمانية، ولم يقتصر هذا الأسطول على الجهاد البحري، والدفاع عن السواحل بل مثل دورا في السياسة الأوربية**»[4]

أمّا بالنسبة لوليام شالر من خلال مذكراته بأن رياس الجزائر يتصفون بروح جرأة خارقة [5] وكذلك يشير دوغرامون أن الرايس يعتبر القائد الأوحد على متن السفينة التي يقودها، سواء كان موريسكيا أو أسودا أو كرغليا، كان الجميع يخضع له حتى الإنكشاريون الذين على ظهر السفينة.[6]

وهكذا نلاحظ أن كل هذه الأوصاف بالنسبة لرياس البحر جعلت من مدينة الجزائر، ومن سفنها أداة حرب جد متفوقة مقارنة بالتي تملكها بقية الأمم التي كانت تمتلك أسطولا قويا خاصة الأوربية منها.

---

[1] ذهب التمكروتي من المغرب الأقصى على رأس سفارة إلى إسطنبول، وقد مر على الجزائر أثناء ذهابه، وبعد إقامة مطولة باسطنبول حملته سفينتان إلى الجزائر ليكمل بعد ذلك سفره إلى المغرب الأقصى على متن سفينة جزائرية، وأثناء عودة السفينتين التركيتين إلى إسطنبول وقع على متنها تمرد للمسيحيين الذين كانوا يعملون على متنها، وإستولوا عليهما، وعلى ما بهما من عباد وأموال، أنظر: عائشة غطاس، الدولة الجزائرية ... مرجع سابق، ص105.

[2] التامكروتي: مصدر سابق، ص 159.

[3] حمدان خوجة : مصدر سابق، ص 155.

[4] عائشة غطاس: الدولة الجزائرية... مرجع سابق، ص96.

[5] وليام شالر: **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر (1816–1824م)**، تعريب: إسماعيل العربي، ش. و. ن. ت، الجزائر 1982م، ص48.

[6] عائشة غطاس: الدولة الجزائرية... مرجع سابق، ص97.

3 رتب طاقم السفن والمراكب:

كان لكل سفينة من سفن الأسطول الجزائري طاقم معين من الرجال قد يكون كبيراً، وقد يكون صغيراً، وعادّة يتألف من الرتب التالية:

1. **قبطان رايس**[1]: وهو قائد السفينة [2]، وقد يكون مالكها أحيانا، ويعتبر الرايس القائد الأوحد على متن السفينة، كان الجميع يخضع له حتى الإنكشاريون [3]، الذين يعملون على ظهر السفينة.[4]
2. **الباش رايس**: وهو نائب القبطان قائد السفينة [5]، ومساعده الأول، وتنحصر مهامه في توزيع الأعمال على البحارة والسهر على الإنضباط داخل السفينة.[6]
3. **صوصو رايس**: وهو نائب ثاني لقائد السفينة.
4. **رايس العسة أو الورديان**: وهو مفتش المركب، والمشرف على صيانته، والعناية به.
5. **الباش طبجي** : وهو ضابط المدفعية في المركب يشرف على صيانة المدافع، واستعمالها في الحرب.[7]
6. **باش دومانجي**: وهو ضابط الأشرعة في المركب يشرف على كيفية إستعمالها.
7. **الخوجة**: وهو الكاتب الذي يضبط الأمور المركب فيما يخص ما يحمله من الأمتعة والذخائر.[8]
8. **الخزناجي**: وهو محافظ خزينة الذخيرة الحربية، والأموال اللازمة للصرف والأغذية.
9. **باش جراح**: وهو الطبيب الجراح الذي يرافق المركب لمعالجة المرضى والمعطوبين خلال السفر، والمعارك الحربية البحرية.

---

(1) ويقولون أحيانا قبودان وهي تحريف لكلمة كبتن Capitaine الفرنسية التي معناها قائد السفينة، إذ جاء لأمور تتعلق بالبحر بصفته ممثلا للسلاح البحري: أنظر: خير الدين بربروس: مصدر سابق، ص 32، والشناوي: مرجع سابق، ص 350،و فريد بك المحامي: مرجع سابق، ص 227.

(2) كورين شوفالييه: مرجع سابق، ص 53.

(3) حصل الإنكشارية على حق التواجد على متن السفن سنة 1569.

(4) عائشة غطاس: مرجع سابق، ص 97.

(5) يحي بوعزيز: الموجز ... مرجع سابق، ص 416.

(6) حنيفي هلايلي: التنظيم العسكري .... مرجع سابق، ص 261.

(7) يحي بوعزيز: الموجز ... مرجع سابق، ص 417.

(8) حنيفي هلايلي: التنظيم العسكري .... مرجع سابق، ص 261.

10. **باش الطريق**: وهو ريس فرقة الإنكشاريين المرافقين للمركب، ومهمته الإشراف على المجدفين، والهجوم على مراكب الأعداء خلال المعارك، والمواجهات البحرية [1]، حيث يبقى المجدفون مربوطين إلى أماكنهم ولا يتحركون أثناء عملية التجديف، ولا يسمح لأحد منهم بالتحرك من مكانه ما عدا إبن الباشا، وكانوا يطبقون أوامر الباشا وفق نظام صارم.[2]

11. **الآغا**: وظيفته الرسمية غير معروفة، ولكنه ضابط ذو رتبة عالية على أي حال.[3]

12. **الإمام**: ومهمته تلاوة القرآن الكريم، وإمامة البحارة في الصلاة، والدعاء لهم بالنصر خلال المعارك، وهذا ما يدل على تأصل الروح الدينية بين الجنود البحارة.[4]

13. **قلفاط**: مسؤول على دهن المركب بالقطران حتى لا يتشقق، ويتكسر فتدخل إليه المياه، وكانت كذلك السفينة عند الخروج إلى البحر تنظف وتلمع كليا، وتشحم حتى تبدو في غاية الجدّة.[5]

14. **الصندال رايس**: وهو المسؤول على معدّية القارب، وقد جرت العادة أن يطلق على جنود مقدمة السفينة.[6]

أما بالنسبة للقيادة المسؤولية على الأسطول فتتألف من:

1. **وكيل الحرج**: أو وكيل حرج البحرية، وهو الرئيس الأعلى لكل المراكب والسفن الجزائرية، ويعتبر بمثابة وزير البحرية حاليا، ويتولى رئاسة دار صناعة السفن [7]، وقد تحول هذا المنصب منذ القرن 16م من وظيفة المحتسب للمستودعات،و مخازن الترسانة البحرية إلى أهم شخصية في البحرية

---

(1) يحي بوعزيز: الموجز ... مرجع سابق، ص 417.

(2) كورين شوفالييه: مرجع سابق، ص 51.

(3) الآغا أعجمية مستعملة في اللغات التركية والكردية، والفارسية، فعند الأكراد تطلق على شيوخهم، وكبارهم، وتطلق عند الأتراك على الرئيس والسيد، وتطلق في الفارسية على رئيس الأسرة، وصارت كلمة آغا أيام الدولة العثمانية، أنظر: سهيل جمال: مرجع سابق، ص 164.

(4) يحي بوعزيز: الموجز ... مرجع سابق، ص 417.

(5) عائشة غطاس: الدولة الجزائرية ... مرجع سابق، ص 97.

(6) في هذا المجال قد جرت العادة أن يطلق على جنود مقدمة السفينة إسم بحري، وعلى جنود مؤخرة السفينة إسم سوطة رايس، وتحمل عادة حتى إلى 500 بحاراً. للإطلاع أكثر أنظر:

Moulay Belhamissi **: Histoire de la Marine Algérienne (1 516 -1830),** ENAL ; Alger, p79.

(7) يحي بوعزيز: الموجز ... مرجع سابق، ص 418.

الجزائرية[1]، بالإضافة إلى ذلك فقد كان يتولى وكيل الحرج ورشة البناء والإصلاح، ورئاسة طائفة رياس البحر، وتجهيز المراكب البحرية للحرب وبناء السفن الجديدة [2]، وإصلاح السفن القديمة، بالإضافة إلى إدخال تعديلات عليها، حتى تصبح صالحة للعمل العسكري البحري.[3]

2. **قائد المرسى** : وهو المسؤول على الميناء، وشرطته، والمخازن، والمراكب الداخلة والخارجة، التجارية والحربية، تحته ثلاث ضباط هم:

أ -**خوجة قائد المرسى**: وهو الكاتب الذي يتولى تسجيل كل شيء مما يدخل ويخرج.

ب -**وردیان باشا**: وهو مفتش الميناء الذي يراقب، ويحرس كل شيء من الرجال، والسلع، وكل ما يجري في الميناء.[4]

ج - **المزوار**: وهو رئيس شرطة الأخلاق العامة ومستخلص الضرائب.[5]

وإلى جانب رؤساء البحرية الذين برزوا في العصر الحديث، فإننا عندما نفكر في البداية في أوائل البحارة المسلمين تقفز إلى أذهاننا صورة عروج رايس أو خير الدين بربروس أو درغوت رايس،[6]

---

[1] حنيفي هلايلي: بنية التنظيم .... مرجع سابق، ص 51.

[2] يحي بوعزيز: الموجز ... مرجع سابق، ص 418.

[3] كليل صالح: مرجع سابق، ص 173

[4] يحي بوعزيز: الموجز ... مرجع سابق، ص 419.

[5] وهناك أيضا مجموعة من الحراس لمخازن الخشب، والبضائع التجارية، ونقط الحراسة، كلهم تحت سلطة قائد المرسى يضاف إليهم الأوراباشي والبولكباشي، والآغا باشي، والكاهية، والآغا، والخزندار، وخوجة الخيل، أنظر: نفسه: ص419.

[6] ظهرت هذه الشخصية بعد وفاة خير الدين بربروس سنة 1547، حيث أصبح حاكما لطرابلس بعد ما عزل مراد آغا، ولد سنة 1485م، في مقاطعة Menteshe على السواحل الغربية للأناضول، وإنصرف منذ شبابه إلى القرصنة في بحار الشرق، عمل مع البحارة العثمانيين، الذين كانوا يهاجمون سفن البندقية في بحر إيجة، وفي سنة 1533م، إنتقل إلى العمل تحت قيادة خير الدين بربروس، وفي سنة 1540 فاجأه جنتيانو دوريا عند سواحل كورسيكا فأسره، وباعه إلى أسرة لومللييني من جنوة، وقد إستخدموه في التجديف فوق مراكبهم، أفتدي سنة 1544م، بناءا على طلب من خير الدين مقابل 03 آلاف دوكة، أنظر: مارمول كربخال: مصدر سابق، ص ص 71، 72، وإيتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م**، ترجمة وتقديم: خليفة محمد التليسي، ط1، الدار العربية للكتاب، الاسكندرية 1974م، ص ص 169، 170، وجون رايت: **ليبيا منذ أقدم العصور** ، تعريب: عبد الحفيظ المليار وأحمد اليازوري، ط1، دار الفرجاني، ليبيا 1972م، ص 93.

وصالح رايس[1]، وغيرهم، أولئك البحارة الكبار الذين ذاع صيتهم في كل انحاء العالم سواء الإسلامي أو الأوربي [2]، وفي هذه الأثناء قد تم ترقية هؤلاء الرياس على الكيفية التالية: يبدأ الواحد منهم العمل على ظهر المركب كخادم لقبطان سفينة ثم بعد مدة يرقى إلى رتبة بحار، ثم إلى رتبة زميل، ثم إلى رتبة رايس، وأخيرا إلى رتبة قبودان رايس [3]، وقد رقي الكثير منهم خلال القرن 16م، إلى منصب قبطان باشا، على رأس الأسطول البحري للدولة العثمانية، وكان إلى جانب عروج، وخير الدين بربروس كذلك حسن بن خير الدين وإسحاق...الخ.[4]

4 الأسرى والغنائم البحرية:

إن قوة البحرية الجزائرية في العهد العثماني قد وفرت للدولة مداخيل معتبرة كانت تأتي من عدة مصادر تموين وهي كالآتي:

أ -**الأسرى:** إن الحروب والهجمات، والغارات التي قامت بين الجزائر، وقراصنة أوربا منذ مطلع القرن 16م قد أدت إلى وقوع العديد من الأشخاص في الأسر من كلتى الطرفين، إذ تمكن البحارة الجزائريون من أسر الآلاف من الرجال، والنساء، والأطفال، وماآت من المراكب البحرية المختلفة الأنواع، والأشكال، والأحجام [5]، فالأسرى كانوا البضاعة الرائجة الأكثر قيمة، وهي التي تكررت كثيرا في غنائم القراصنة، ففي سنة 1533م كان يوجد في مدينة الجزائر 7000 من العبيد، حيث

شكلت عملية أسرهم، ومعاملتهم، وبيعهم، وشرائهم، قطاعا قويا هاما في النشاط التجاري.[6]

---

[1] أصله من الإسكندرية، وقد تعلم فنون الحرب والبحرية في سن مبكرة أثناء أسفاره العديدة مع عروج وخير الدين، وقد سبق للسلطان العثماني أن عينه على رأس أسطوله البحري قبل أن يوجهه إلى الجزائر، وصل إلى الجزائر في نهاية أفريل1552م، يحمل لقب بايلرباي إفريقيا، أنظر: مبارك الميلي: مرجع سابق، ص ص80، 81.

[2] يحي بوعزيز: علاقات ..... مرجع سابق، ص24.

[3] وهي أعلى رتبة في سك هؤلاء الضباط البحريين.

[4] يحي بوعزيز: علاقات ..... مرجع سابق، ص 420.

[5] نفسه: ص 442.

[6] كورين شوفالييه: مرجع سابق، ص 63.

وعملية استرجاع الأسرى لا سيما العبيد المسيحين الذين هم من الرهبان أو مهربين أوربيين أو يهود دائما ثابتة مقابل مبالغ باهضة جدّا، والتي تشكل مدخولا نقديا ذا أهمية كبيرة للدولة.[1]

فالحديث عن تعداد الأسرى هناك تقديرات تشير على أن عدد الأسرى قبل مطلع القرن 17م، والذين كانوا يمثلون كل من الأسرى الفرنسيين، والإسبان، والمالطيين قرابة 25 ألف أسيرا[2]، أمّا "جون.ب. وولف" فيشير بأن عدد الأرقاء المسيحيين الذين كانوا يباعون في أسواق مدينة الجزائر منذ مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن 17م، كان يتراوح ما بين 500 ألف و600ألف[3].

وإلى جانب هذا فقد كان بيع وتوزيع الأسرى يشكل القسم الأكبر من مداخيل خزينة الدولة، فالمصادر الأوربية تشير إلى هؤلاء الأسرى على أنهم عبيدا أرقاء في كامل أراضي الدولة العثمانية، بينما تعتبرهم الجزائر أسرى حرب، إن الأسرى الذين لا يختارهم للعمل كحراس أو خدم، ولا يشتريهم الباعة، يصبحون ملكا للدولة، فيستعملون للخدمة في الحجارة عبر طرق الإيالة، وفي ضيعات الدولة، أو في دار الصناعة بالجزائر، وورشات بناء السفن.[4]

ففي عام 1556م أسر الجزائريون 28 مركبا في مالقا و 50 مركبا أمام جبل طارق، وفي عام 1608م هاجموا، وأسروا 42 سفينة و860 شخصا.[5]

وفي عام 1609 أسروا 36 سفينة، وأسروا 632 شخصا.

وفي عام 1610 أسروا 32 سفينة وأسروا 384 شخصا.

وفي عام 1611 أسروا 20 سفينة وأسروا 384 شخصا.

وفي عام 1612 أسروا 20 سفينة وأسروا 3804 شخصا إسبانيا.

وفي عام 1613 أسروا 16 سفينة واسروا 0230 شخصا.

وفي عام 1614 أسروا 35 سفينة وأسروا 0467 شخصا.

وفي عام 1616 أسروا 34 سفينة وأسروا 767 شخصا.

---

[1] كورين شوفالييه: مرجع سابق، ص ص 54، 55.

[2] حنيفي هلايلي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1، دار الهدى، الجزائر 2008م، ص ص 68، 69.

[3] جون .ب. وولف: مرجع سابق، ص 206.

[4] وليام سبنسر: مرجع سابق، ص 131.

[5] نفسه: ص ص 131، 132.

وفي عام 1617 أسروا 36 سفينة وأسروا 1763 شخصا.

وفي عام 1618 أسروا 19 سفينة وأسروا 1468 شخصا.

أي مجموع 339 سفينة + 12239 شخصا.[1]

أمّا بالنسبة لهؤلاء الأسرى فكانوا من جنسيات مختلفة، فمنهم أعلى النبلاء، وكبار الملكيين، وضباط السفن، والتجار، والمسافرون، بالإضافة إلى رجال البحر العاديين، والفلاحين الفقراء، وكان الأغنياء وأصحاب الوجاهة يفتدون، أمّا البقية فمعظمهم يبقى مسترقا مدة السنوات الباقية من حياته [2]، وكانوا إما إسبانا وبرتغاليين، وفرنسيين، وإنجليزًا، ودنماركيين، وإسكتلانديين، وهولنديين، وإرلنديين، وجنويين، وبنادقة، ومن مملكة نابولي، وأمريكيين، وصينيين، ويابانيين، ومصريين، ومن الشام... الخ.[3]

ولقد كان الواجب للقناصل الأوربيين هو الإفتداء المباشر للأسرى أو التدخل لدى السلطات الجزائرية من أبناء وطنهم، ويتم اعتماد وسطاء أوربيين من الدوبلوماسيين حاليا ما يكونوا من الفرنسيين، كان القنصل الفرنسي بالجزائر هو الحامي غير الرسمي لهؤلاء القساوسة المغتصبين في عملية الفداء، وهي جماعة الثالوث المقدس التي كانت تشرف على أهم عمليات الفداء بالجزائر.[4]

وفي نهاية القرن 16م وصل عدد كبير من الأسرى المسيحيين الذين أسلموا، وحسن إسلامهم إلى مراتب عليا في الأسطول الجزائري، وأصبحوا رياسا، وقباطنة للمراكب البحرية الجزائرية، ومنهم مراد رايس الفرنسي، ومراد رايس الألباني، وفيرير رايس الجنوي، وحسين رايس الكريتلي (كريت)، ومامي الصقلي...الخ.[5]

---

[1] يحي بوعزيز: الموجز ... مرجع سابق، ص 443.

[2] جون .ب. وولف: مرجع سابق، ص 208.

[3] يحي بوعزيز: الموجز ...، مرجع سابق، ص 444.

[4] حنيفي هلايلي: بنية الجيش ... ،مرجع سابق، ص65.

[5] يحي بوعزيز: الموجز ...، مرجع سابق، ص 444.

وإلى جانب هذا فإن القرصنة البحرية، وما كانت تحصده من غنائم، وبغض النظر عن مشروعيتها أم عدمها كانت نشاطا مربحا على كل المستويات حيث كان الخروج للقرصنة خاضعا لتنظيم محكم فهو يفضل في فصول الربيع، والصيف، والخريف، أمّا الغنائم فكانت بعد دخولها الميناء تخضع أولا لإحصاء دقيق من طرف جهاز وكيل الحرج أو وزير البحرية، إن المداخل الأساسية لغنائم الجهاد البحري كانت تتحول للدولة التي تأخذ الخمس، ويوزع الباقي على أصحاب السفن المساهمين في تجهيز السفن.[1]

ولقد كانت إستراتيجية الجزائر اتجاه بلدان أوربا، تقوم على أساس منع قيام أي تحالف ضدها فيما بينها، وطبقت أسلوب المطالبة بالضرائب السنوية، والدورية، ومنع المعاملات المتميزة للبعض منها فيما يخص إفتداء الأسرى وتبادلهم، وإبرام معاهدات السلم والصداقة، وتقديم إمتيازات للبعض منها دون الأخرى في المجالات الاقتصادية، والقنصلية والتجارية، وإختيار أهداف البحارة أحيانا أخرى، وقد نجحت الجزائر في هذه السياسة إلى أبعد حدّ، نظراً للخلافات، والصراعات التي كانت قائمة بين البلدان الأوربية.[2]

وإلى جانب هذا فإن الغنائم في مجملها كانت تأتي من ثلاثة مصادر أساسية حمولات السفن بالغنائم التي تؤخذ من البحر، ومبالغ الافتداء الأسرى، والهدايا، والإتاوات [3] التي تدفعها مختلف الدول الأوربية تحت تدابير ثنائية، وشكلية لحماية سفنها، وهناك مصدر رابع كان يحصل عليه من المؤسسة البحرية ذاتها، وذلك من خلال الإذن بالإرساء، ورسوم إعادة ترميم وتصليح السفن، وورشات البناء السفن.

وهكذا نلاحظ أن غنائم الجهاد البحري هي مهنة مربحة في نظر الكثير من المؤرخين في هذا المجال، إذ تنال الدولة من غنائمها حصة تتراوح من السبع، والعشر، وتحظى بـــ 12% من أسعار السفن المحتجزة، وتنال قسطا وافرا من المبالغ التي تدفع لافتداء الأسرى الأوربيين.[4]

---

[1] حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ ...، مرجع سابق، ص73.

[2] يحي بوعزيز: الموجز ... مرجع سابق، ص 446.

[3] للإطلاع أكثر حول الإثاوات والهدايا، أنظر: محمد بن عبد القادر الجزائري: **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر**، تعليق ممدوح حقي، مؤسسة الأمير عبد القادر، الجزائر 2001م، ج1،ص158.

[4] حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ ... مرجع سابق، ص72.

وفي هذا السياق فإن إسبانيا وحدها تدفع سنويا ما قيمته 60 ألف قرش لافتداء أسراها البالغ عددهم ما بين 200 و 300 أسير.[1]

3 -نشاط البحرية الجزائرية:

– في التصدي للحملات الإسبانية:

أ)–حملة هجودي دمونكادا :عزم الإسبان على تجديد محاولاتهم للقضاء على القوة التركية الجديدة بالجزائر فشنوا ضدها حملة عسكرية كبيرة في صيف عام 1519م،بقيادة نائب حاكم صقلية هوجود دمونكادا don Hugo de Moncadeكانت تتألف من خمسة الاف رجل ونزلت بواد الحراش وكان مصيرها الفشل والهزيمة ،كسابقاتها حيث قتل منها ثلاثة الاف رجل وأسر عدد اخر.[2]

وفي ظل هذه الظروف أعاد خير الدين تنظيم مملكة الجزائر، فقسمها إلى قسمين: قسم شرقي يمتد من شرقي العاصمة الجزائرية حتى حدود المملكة الحفصية بتونس، وتشمل بلاد القبائل الجبلية، ووضع على رأس هذا القسم أخاه في الجهاد، وصديقه أحمد القاضي [3] الغبريني سلطان كوكو [4] ببلاد زواوة، أمّا القسم الغربي فكان يمتد من الجزائر إلى حدود دولة بني زيان.

وظن خير الدين أن باستطاعته الإعتماد في إدارة القسمين على الزعيمين المحليين لحكم البلاد، وترك لمدينة الجزائر السلطة العليا، ومباشرة أمور، والسياسة. غير أن هذا التنظيم أثار نقمة عبد العزيز ملك قلعة بني عباس، والعدو اللدود لأحمد بن القاضي [5]، إذ إن هذا التنظيم وضع عدوه أميرا عليه، وحاكما في جهته فحمل لواء العصيان، وأعلن تبعيته للملك الحفصي بتونس.

غير أن التهديد الخطير لم يظهر من ملك قلعة بني عباس بقدر ما ظهر من أحمد بن القاضي ذاته، والذي ما إن شعر بقوته حتى انقاد لتيار المؤامرات، فأعلن تمرده على خير الدين، وانضم إلى الحفصيين ملوك تونس معتمدا على ما يقدمونه له من الدعم، والتأييد.[6]

---

[1] حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ ... مرجع سابق، ص 74.

[2] يحي بوعزيز :علاقات.....، مرجع سابق، ص، 37.

[3] أحمد بن القاضي: تولى قضاء بجاية في عهد الحفصيين، وقيل أنه منهم وإتصل بعروج، وخير الدين، وكاتبهما صحبة ابن التومي الثعالبي أمير الجزائر، وسهلا عليهما إحتلال الجزائر، وقيل أنه كاتب الخليفة بعد إحتلال الإسبان للشواطيء الجزائرية، أسس إمارة بالقبائل الكبرى كانت قاعدتها جبل كوكو، وقتل في بعض المعارك بثنية بني عائشة، أنظر: محمد بن يوسف الزياني: مصدر سابق، ص 176.

[4] تقع على بعد 18 كيلومترا في الجنوب الشرقي من مدينة بني براثن (بجاية)، أنظر: بسام العسلي: مرجع سابق، ص113.

[5] نفسه: ص 113.

[6] نفسه: ص 115.

في هذه الأثناء أسرع خير الدين بعد أن استقر به المقام في الجزائر إلى إعداد مشروع للقضاء على الفتنة، بأن قضى على رؤساء الطوائف المتمردة وكانوا حوالي 20 رئيسا، وهو الأمر الذي ساعده على مجابهة قوات الحفصيين المتحالفة مع ابن القاضي التي إنطلقت لتصل في موقع قرب دراع بن خدة، وإلتحمت مع الجيش الجزائري بقيادة خير الدين الذي استطاع ردها إلى الحدود، وما إن بدأت فيه الجيوش التونسية بالانسحاب حتى ظهرت فجأة جيوش ابن القاضي [1]، ودارت معارك ضارية في جبال زواوة المنيعة.

واضطر خير الدين للتراجع حتى عنابة ثم تلقى ابن القاضي دعما من السلطان الحفصي بتونس، فطور أعماله القتالية، وأثار سكان الجبال ضد خير الدين، وتدهور الموقف إلى درجة خطيرة، بحيث وجد خير الدين نفسه مرغما على الخروج بنفسه لقتال صديقه القديم، و لم يكن يمتلك من القوى ما يساعده على مجابهة قوات الحفصية المتحالفة مع ابن القاضي [2]، فاضطر خير الدين إلى الانسحاب منها، واللجوء إلى جيجل[3]، ليجد فيها ملاذه الوحيد، في حين تابع ابن قاضي [4] تقدمه في سهل متيجة متوجها نحو الأمام حتى وصل إلى الجزائر، فجعلها قاعدة له، واستمر في حكم الجزائر لمدة ستة أعوام (1521-1527م).[5]

أمّا بالنسبة لخير الدين فقد تمركز بمدينة جيجل، وشرع في تنظيم جيشه، والإستلاء على المدن المتبقية من الجزائر، القل، وقسنطينة عام 1521م، وعنابة 1522م، والحضنة، والقبائل، ومتيجة عام 1525م، و 1529م، قام خير الدين بشن هجوم عنيف على برج الفنار استغرق 15 يوما، وبعد معركة ضارية استطاع استرجاع الجزر الموالية لميناء الجزائر يوم 21 ماي 1529م؛

---

[1] كليل صالح: مرجع سابق، ص 131

[2] بسام عسلي: مرجع سابق، ص 114.

[3] كليل صالح: مرجع سابق، ص 131.

[4] بفضل مساعدة السلطان الحفصي الذي جهزه بالجنود، والسلاح، تمكن من التغلب على الجيش التركي بمنطقة فليسات أم الليل، أنظر: عمار عمورة: مرجع سابق، ص 90.

[5] بسام العسلي: مرجع سابق، ص 114.

واستسلم له ما بقى من الحامية الإسبانية [1] بقيادة مارتان فرغار فطرد الإسبان، لكنهم لم يفشلوا، وكرروا هجوماتهم على الجزائر.[2]

وهكذا بعد انضمام المدن الشرقية إلى جانب خير الدين، والتفاف جموع الشعب المجاهد مؤيدة، ومناصرة، سار بها بعد ذلك خير الدين إلى الجزائر، وقاد الشيخ أحمد بن القاضي قواته بسرعة، فغادر الجزائر لملاقات خصمه بين مرتفعات جبال القبائل، والتقت عند ثنية بني عائشة فتمزقت على إثرها قوات ابن القاضي حتى لم يبق معه إلا قلة من أنصاره الذين أدركوا ما خسروه من خلال التمزق الذي صنعه قائدهم ابن القاضي، فقرروا التخلص منه، وجاءت فئة منهم، وخيمته عند غروب الشمس فقتلوه، وانتهت بذلك الفتنة التي أضعفت الجزائر إلى حد كبير.[3]

ب)–حملة أندري دوريا في جويلية 1531م: هاجمت القوات الإسبانية المقدرة بـــ 20 باخرة تحمل 1500 جندي بقيادة الإيطالي الأميرال "أندري دوريا" على مدينة شرشال، وتمكنت من إطلاق سراح الأسرى الذين كانوا يعملون بالميناء، ولكن المدفعية الجزائرية تصدت لهم، وأرغمتهم على الرجوع[4]، في حين كانت مدينة شرشال مسكونة في الأغلب من قبل المهاجرين الموريسكيين الذين يعرفون كيف يحاربون، وبعد هذه الأحداث، ونظرا لقوة الأسطول خير الدين أبحر أندري دوريا بعيدا تاركا جنوده في المدينة أرقاء منهوكي القوى[5]

ولما بسط خير الدين نفوذه على الجزائر توجه سنة 1534م إلى تونس[6] بعد أن عرض على العثمانيين فتح تونس، منتهزا فرصة قيام فتن أهلية، وحروب داخلية بين مولاي الحفصي آخر سلالة

---

[1] قرر خير الدين بعد أن تم له تنظيم أمور العمل على تحرير ميناء الجزائر، وتخليصه من الحامية الإسبانية، وهكذا أخذت المدفعية الجزائرية بقذف قنابلها في سنة 1529م، وأمر خير الدين بتجهيز كل السفن الحربية، وشحنها بالرجال، والعتاد، وأذاع في كل مكان أنه سيبحر إلى السواحل الإسبانية من الغزو، والجهاد، وهاجموا الحصن بإغارة مباغتة، وتمكنوا من إقتحامه، بعد أن دارت معارك قصيرة وحاسمة سقط فيها 65 مقاتلا من الإسبانيين، وخسرت قوات المسلمين 11 تركيا، و35 عربيا، وهكذا قام خير الدين وصل جزيرة جزيرة الصخرة، صخرة الجزائر بالبلاد، وأصبحت نواة لمدينة الجزائر، أنظر: أحمد إسماعيل ياغي: مرجع سابق، ص 63، وبسام العسلي: مرجع سابق، ص ص 116، 117.

[2] عمار عمورة: مرجع سابق، ص 90.

[3] بسام العسلي: مرجع سابق، ص 115.

[4] عمار عمورة: مرجع سابق، ص 90.

[5] جون .ب. وولف: مرجع سابق، ص ص 40، 41.

[6] كارل بروكلمان: مصدر سابق، ص454، وشوقي عطاالله الجمل وعبد الرزاق إبراهيم: مرجع سابق، ص88، وأندريه ريمون: **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، ترجمة: لطيف فرج، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة 1991م، ص 22.

بني حفص، وبين إخوته على الملك، بالإضافة إلى كراهية أهل تونس لمولاي الحسن لاعتقادهم بأنه ألعوبة في يد شارل الخامس، وفي هذه الأثناء قام السلطان العثماني بمساندة خير الدين وزوده بمائتين وخمسين سفينة حربية [1]، حيث استولى على حلق الوادي [2]، ومدينة تونس، وبترت، وعزل سلطانها، لكن هذا الأخير استنجد بالإمبراطور الإسباني شارلوكان الذي سير له سنة 1535م أسطولا بحريا يحمل 27 ألف عسكري بقيادته.[3]

وفي هذا الصدد يشير ابن أبي الدينار بقوله: «... **ولما تمكن خير الدين بتونس جاءت عمارة من بلاد النصارى استنجد بها الحسن من قبل الإمبراطور فيها 100 ألف مقاتل، ولما نزلت النصارى قابلتهم الأتراك، ومن انحاز إليهم من المسلمين، وعددهم 18 ألف، والتقى الجمعان بجربة، وانتشب القتال بينهم، وكانت مقتلة عظيمة...إلا والخبر أتاه أن القصبة أخذت، وأن الأعلاج الذين بها فتحو الباب، ففر خير الدين من وقته ومن معه...**»[4]

أمّا بالنسبة لحسن الحفصي فقد أعيد إلى منصبه، وعندما لم يتمكن خير الدين من مواجهة إسبانيا عاد إلى عنابة[5]، حيث يشير "مارمول كربخال": «... **وقعت تطورات في تونس بعد ذهاب الإمبراطور، ذلك أن باربروس عجل بعد وصوله إلى مدينة الجزائر أعمال أراد أن يحسن بها سمعته، فجهز جميع السفن التي استنفذها من عنابة، وأخرى استطاع جمعها فانطلق إلى مينورقة، وأخذ مدينة مارون على حين غرة، ولم يأت لها الدفاع عن نفسها، فقد كان الإمبراطور أصدر أمره إلى حاكم عنابة بأن يرسل أربعمائة من جنوده إلى هذه الجزيرة، ولكن هذا الحاكم اعتذر بأنه تلقى خبر بأن حاكم قسنطينة قادم لمهاجمته، وبأن مدينته تتطلب دفاعا قويا... قام بربروس بإفساد كثير في سواحل البلاد النصرانية، وغنم عددا من المتاع والعبيد بدون مانع ولا رادع....**»[6]

---

[1] أحمد إسماعيل ياغي: مرجع سابق، ص64.

[2] وما إن وصل خير الدين إلى مدينة تونس حتى خرج الأهالي لاستقباله، وأنزل قواته إلى البر، وتمكنت قواته من الاستلاء على القلعة وفي 16 أوت 1534م، هرب مولاي الحسن، أمّا أنصاره الذين رغبوا بالمقاومة فألقي القبض عليهم ووضعوا في القلعة في حين قتل بعض الشيوخ ممن وضعوا ترتيبات المقاومة، أنظر: سامح عزيز الترا: مرجع سابق، ص112.

[3] عمار عمورة: مرجع سابق، ص 91.

[4] أبي عبد الله محمد أبي القاسم الرعيني القيرواني ابن أبي الدينار: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط1، المطبعة التونسية،تونس 1986م، ص 154.

[5] عمار عمورة: مرجع سابق، ص 91.

[6] مارمول كربخال: مصدر سابق، ص 56.

رغم هذا النصر الذي حققه الملك الإسباني بتونس لم يأنس له بال لعدم تمكنه من القضاء على خير الدين، وبالحجة نفسها فرض سيطرته على صفاقس وسوسة وغيرها، وكلف "أندري دوريا" بملاحقته إلى عنابة التي لجأ إليها من أجل الاستعداد للمواجهة والجهاد، وعند وصوله إلى هناك وجد أن خير الدين قد رحل بإتجاه الجزائر، قام هذا الأخير باحتلال عنابة التي اعترف السلطان الحفصي لهم بالسلطة عليها عام 1535م، وأقام بها حامية التي تحولت إلى قاعدة لتسيير الحملات ضد القبائل العربية،[1] في هذه الأثناء استدعى السلطان العثماني عام 1535م خير الدين إلى القسطنطينية وعينه قائدا عاما للأسطول البحري التركي.[2]

ومع هذه الأوضاع بدأت الثورات والانتفاضات تعم تونس ضد المولاي الحسن الذي لم تسامحه على إستعادة حكمه بمساعدة المسيحيين وأصبحت مدينة القيرون خلية للمقاومة. فشعر الإسبان بخطورة الحكم الجديد، فقامت الحامية الموجودة في حلق الوادي بقلب نظام حكم مولاي أحمد ومنحوا العرش لعمه، لكنه بدوره قرر بعد مدة الوقوف مع ابن أخيه الذي أصبح سلطانا نهاية عام 1542م، وتميزت فترة حكم مولاي أحمد بالنضال ضد القبائل المتمردة، والإسبان الذين يهددونه باستمرار في هذه المدينة المحصنة تحصنا جيدا.[3]

أمّا بعد إحتلال الإسبان لمدينة تونس وحلق الوادي [4]، وجد الإمبراطور شارل الخامس أن إنتزاعه لتونس من يد العثمانيين لم يؤد إلى نتيجة جذرية، بل إزداد الأمر سوءا بازدياد الغارات التي يقوم بها المجاهدون على السواحل الأوربية، فوجد أنه من الضروري التوجه إلى عمل عسكري حاسم من شأنه إنتزاع شأفة العثمانيين من الشمال الإفريقي نهائيا وأن هذا العمل العسكري لا بد أن يكون في الجزائر مركز الغارات البحرية ومأوى الهاربين من الأندلس وقاعدة السلطان سليمان القوية والحصينة تجاه السواحل الإسبانية خصوصا بعد نجاح السلطان سليمان في أوربا في الإستلاء على بعض المدن منها.[5]

---

[1] كليل صالح: مرجع سابق، ص54.

[2] عمار عمورة: مرجع سابق، ص 91، وكارل بروكلمان: مصدر سابق، ص 454

[3] De la Primaudaie Elie : op.cit., p 234,236.

[4] عبد العزيز الدولاتي: **" أضواء تاريخية على بجيرة تونس"**، **في المجلة التاريخية المغاربية**، العدد 3، تونس 1975م، ص33.

[5] عبد الجليل التميمي:" **رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541م**"،**في المجلة التاريخية المغاربية**،العدد3،تونس ،جانفي1975م، ص30.

أصر شارل الخامس على التوجه بأكبر أسطول قام على الإشراف عليه و إحضاره، ويبدو أنه من أكبر المجتمعات البحرية المقاتلة التي ظهرت في القرن 16م حيث كان البحارة والجيش خليطا من مختلف أصقاع الإمبراطورية الإسبانية، وكان هدف هذه الحملة هو الإستلاء على الجزائر وإجتثاث العثمانيين من البحر المتوسط، فقد كان الإسبان يعتقدون أن لولا بروز العثمانيين بالمغرب لأمكنهم إنشاء مملكة مسيحية على السواحل المغربية.[1]

ج)- حملة شارلكان 1541م:

وإلى جانب هذا عمل شارلوكان على إجراء اتصالات سرية مع خير الدين الذي كان أنذاك هو القائد العام للأسطول الجزائري [2]، فعرض عليه بحكم شمال إفريقيا، إذا أعلن تبعيته للإسبان، كما اعتقد شارلوكان أنه إذا تم خضوع شمال إفريقيا له فإن الهدوء والاستقرار سيعم مختلف مناطقها.[3]

لكن خير الدين تظاهر بقبول العرض، واستمرت الاتصالات السرية بين شارلوكا ن، وخير الدين عامين كاملين، وكان خير الدين يتظاهر خلالها بقبوله للعرض الإسباني، ووقوعه في الفخ، وكان يبحث مع مبعوثي الإمبراطور كل التفاصيل إلى درجة أن أولئك المبعوثين، وهم: الأستون دي ألاركون، والكابتان قيرقارا، والدكتور روميور، كانوا يعتقدون أن خير الدين قبل نهائيا بالعرض.[4]

بدأ الإمبراطور شارل الخامس الإعداد للحملة، ولكن الملاحظ أن هذه الحملة لم تحظ بالتأييد اللازم من جانب الفاتيكان، إذ طلب البابا بولس الثالث (1534-1549) من الإمبراطور بالعدول عن شن حملته هذه، وكتب إليه قائلا: «...**إنك سترتكب خطأ فادحاً إذا ما خرجت غازيا لإفريقيا في نوفمبر... فأنتظر الربيع**...»، وشاطره الرأي أندري دوريا، و لم تجد طلبات أخيه الملك فيرديناند الأول (1526-1564م) بخصوص أن الخطر العثماني محدق أكثر من أي وقت مضى ببلاد المجر، وفيينا، لكن كلامه لم يجد نفعا فقد كان شارل الخامس مصمما على شن الحملة.[5]

---

[1] عبد الجليل التميمي: رسالة من مسلمي ....مرجع سابق، ص ص40، 41.

[2] مبارك الميلي: مرجع سابق، ص 63.

[3] سامح ألتر: مرجع سابق، ص155.

[4] مبارك الميلي: مرجع سابق، ص 64.

[5] علي العبيدي: "**الحملة الإسبانية على مدينة الجزائر 1541م وأثرها على توازن القوى في غرب المتوسط**"، **في مجلة العصور التاريخية**، العدد16-17، مخبر مصادر وتراجم، وهران، ب سنة ،ص 11.

وقد حاول شارل الخامس سنة 1534م عقد هدنة مع خير الدين، إلا أنه خاب أمله، مثلما خاب في محاولته السابقة عندما عرض على خير الدين سرا الاعتراف به حاكما لشمال إفريقيا مقابل جزية بسيطة، إذ كان شارل الخامس يأمل في قيام تحالف إسباني جزائري يجابه به التحالف الفرنسي العثماني.

في أكتوبر 1535[1] إستجاب خير الدين لأوامر السلطان سليمان [2]، فتوجه إلى إستانبول بعد أن عين خليفة له على الجزائر، وهو حسن آغا[3]، وحين أسر هذا الأخير في إحدى غزوات القراصنة الجزائريين من سواحل سردينيا،تم توزيع الغنائم كان الطفل من نصيب خير الدين بربروس.

تبنى خير الدين الطفل، وعلمه ودربه كأحد أولاده، وكان حسن آغا ذكيا، وعاقلا و لم يقم بعمل إلا وأتمه على أحسن وجه، ولهذا عينه خير الدين وكيله [4] على الجزائر لاعتقاده الأكيد بأنه سيدير الجزائر إدارة جيدة وناجحة.[5]

وقد كانت مهمة صعبة تلك التي واجهها حسن آغا، فالحملة الإسبانية التي كان يجري أعدادها ضد الجزائر، سبقتها أنباء انتصارات قوات شارلوكان في تونس، وفي عنابة إلى أندري دوريا بعد أن خرج منها خير الدين، و لم تكن هذه الأنباء مما يسهل مهمة حسن آغا خصوصا وأن دوريا قد مهد للحملة الإسبانية القادمة بتعزيز المواقع الإسبانية في عنابة، وبتنظيم عدة حملات جزئية ضد البواخر، والموانئ الجزائرية.[6]

لكن شارلوكان عقب إخراج الأتراك من تونس سنة 924هـ/1535م وتنصيبه لمولاي الحسن حاكما عليها، حاول مهاجمة الأتراك في الجزائر.

وبقية المواقع الأخرى، وكان من أهم الأسباب التي دفعت شارلوكان للتفكير بذلك خروجه في حرب تونس منتصرا، ولو أنه تابع هجومه أنذاك على الجزائر لربما تمكن من تحقيق هدفه، وأمنيته، وقد حالفه الحظ في ذلك الهجوم، ولكن نشوء النصر، وظهور علائم التعب، والإنهاك على جيشه،

---

[1] مبارك الميلي: مرجع سابق، ص 60.

[2] خير الدين بربروس: مصدر سابق، ص 193.

[3] مولاي بلحميسي: "**غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر بين المصادر الإسلامية والمصادر الغربية**" ، **في مجلة الأصالة**، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 08، الجزائر، ماي –جون 1972م، ص 11.

[4] عزيز سامح ألتر: مرجع سابق، ص ص 154.

[5] مبارك الميلي: مرجع سابق، ص 63.

[6] عزيز سامح ألتر: مرجع سابق، ص ص 154، 155.

وأسطوله، ومعرفته من عدم قدرة قواته على متابعة الهجوم، أرغمته على الإنسحاب إلى بلاده يحمل تباشير النصر باستعادة تونس من الأتراك.[1]

ويعمل على فصل شمال إفريقيا عن إسطنبول، على أمل أنه إذا تحقق ذلك فلن تستطيع شمال إفريقيا إبداء مقاومة قوية، ويكون من السهل سقوطها.[2]

وفي نهاية شهر أوت 1541م أبحر شارل الخامس باتجاه مايوركا[3] حيث احتشد كامل أسطوله المؤلف من مائة سفينة محملة بالجنود من الأراضي الألمانية، والإيطالية، ومائة وخمسين سفينة أخرى محملة بجنود الإسبان من صقلية، ونابولي، ومائة سفينة قادمة من إسبانيا تحمل المدافع، والعتاد، والمعدات، ونحو 24 ألف رجل ما بين مشاة، وفرسان [4]، وقرر فرسان مالطة أن لا يفوتهم شرف المساهمة في هذه الحملة فأرسلوا فيها مائة وأربعين من أبرع فرسانهم، و400 من أمهر مقاتليهم[5]، وبعد هذا اتجه شارلوكان من جنوة إلى جزر الباليار لتمضية وقته هناك اعتقاده بأن الاستعدادات تستغرق زمنا طويلا [6]، حيث بلغ قوام هذه الحملة من خلال ما ذكره خير الدين في مذكراته: «...**نحو 516 سفينة منها مائتان، وأربع وسبعون قادرغة، وأما بقيتها فكانت عبارة عن سفن حربية معدّة لخوض المعارك البحرية**...»[7]

أما عزيز سامح ألتر فيذكر أنها 516 سفينة شراعية و25 غاليوطة كبيرة تحمل 12330 بحارا و23900 جنديا.[8] في حين تعتبر هذه الأخيرة أكبر قوة عسكرية في القرن 16م. وقد شارك فيها نبلاء إسبانيا، وإيطاليا، وألمانيا كجنود متطوعين.

---

(1) عزيز سامح ألتر: مرجع سابق، ص ص155، 156.

(2) عيسى الحسن: مرجع سابق، ص 154.

(3) Menorc: وهي إحدى الجزر التي تؤلف جزر الباليار الواقعة إلى الشرق من إسبانيا، أنظر: فريد بك المحامي: مرجع سابق، ص 208.

(4) علي العبيدي: مرجع سابق، ص 11.

(5) مبارك الميلي: مرجع سابق، ص 65.

(6) عزيز سامح ألتر: مرجع سابق، ص 156.

(7) خير الدين بربروس: مرجع سابق، ص ص 198، 199.

(8) عزيز سامح ألتر: مرجع سابق، ص 157.

وبدأ وكأن غالبية القادمين في الأسطول قادمين للحصول على مكافآت أعدت لهم في حال نجاح هذه الحملة. [1] وكانت قيادة الأسطول للإمبراطور الذي لقبه المسلمون في كتبهم بالطاغية، وملك النصارى، وملك الإسبان، وصاحب إسبانيا [2]، وأندري دوريا، بينما تولى "دوق ألبا" قيادة القوات البرية[3]، في حين كان عدد الأتراك لم يتجاوز 800 تركي، ونحو 05 آلاف من مهاجري الأندلس[4] حسب ما ذكره مبارك الميلي.

أما بالنسبة للمؤرخ مولاي بالحميسي فيشير إلى 800 تركي و8000 أندلسي قدموا من بلنسية، وغرناطة و1400 من الأعلاج، و200 من الأعراب.[5]

أما خير الدين من خلال مذكراته يشير إلى 600 بحار تركي، وألفي فارس عربي متطوع [6] بقيادة حسن آغا الذي بقي يدافع عن المدينة بدلا من خير الدين الذي كان في العاصمة العثمانية إسطنبول.[7]

وفي اليوم الذي خرج فيه شارلكان لغزو الجزائر كتب رسالة إلى حسن آغا[8]، وكانت الرسالة باللغة التركية يقول: «...**إن القوة التي تراها ليس أنت فحسب، بل إن سيدك الكبير لا يقدر على صدها، فإذا كانت لك عينان مفتوحتان، وتمتلك ذرة من العقل، ألق سلاحك وأربط رأسك بمنديل، واتني بمفاتيح قلعة الجزائر، وإذا قدمت علي، وقبلت الأرض بين يدي سوف أعفو عنك، فأنا ملك إسبانيا، ونابولي، وصقلية، وهولندا، وبلجيكا، وأمريكا، وإمبراطور ألمانيا، إن أباك، وسيدك بربروس فر فزعا مني بتونس لا يلوي على شيء، فحذار أن تفقد عقلك، وتشهر السلاح في وجهي، لأنك إن فعلت ذلك فإنني أقسم بعيسى بأني سوف أمزقك، وأعلق أشلائك على أبراج الجزائر...**»[9]. فرد عليه حسن باي قائلا: «...**إن قلعة الجزائر ليست ملكا لي حتى أسلمها**

---

[1] عزيز سامح ألتر: مرجع سابق، ص 159.

[2] مولاي بلحميسي: مرجع سابق، ص11.

[3] يحي بوعزيز: علاقات الجزائر... مرجع سابق، ص 46.

[4] مبارك الميلي: مرجع سابق،ص 67.

[5] مولاي بلحميسي: مرجع سابق، ص 11.

[6] خير الدين بربروس: مرجع سابق، ص199.

[7] العبيدي: مرجع سابق، ص 12.

[8] يحي بوعزيز: علاقات الجزائر .. مرجع سابق، ص46.

[9] خير الدين بربروس: مرجع سابق، ص 199.

لك... ولن أمكنك من بلد مولانا السلطان سليمان، لأبوء بخسارة الدنيا والآخرة، ولتكن معلوما لديك بأن قلبي لا يحمل ذرة خوف منك، فأنت قد أمضيت حياتك تلقى هزائم شنيعة أمام والدي خير الدين باشا، وأن على يقين بأن الله تعالى سوف ينصرني عليك..»[1]

خرج شارلكان على رأس الحملة الإسبانية من ماهون يوم 18 أكتوبر 1541م، ووصل أمام ساحل الجزائر يوم 23 أكتوبر من نفس السنة، ونزل بجنوده على الضفة اليسرى لواد الحراش [2]، وفي اليوم الموالي، وكان يعتقد، ويظن واهما أن حسن باي سيسرع لتسليم المدينة له دون قتال، بعد أن يشاهد قواته الكبيرة والضخمة[3]، التي وصفها صاحب كتاب غزوات عروج وخير الدين بضخامتها من حيث العدد والعدة بقوله: «... **وخيل لأهل الجزائر حين طلعت هذه العمارة عليهم أنها جبل يسير في البحر...**».[4]

في هذه الأثناء كان الجو غائما، والبحر هائجا، وأمواجه متلاطمة مما أدى إلى هبوب رياح عاصفة، وزوابع بحرية قوية مصحوبة بأمطار غزيرة، وأحدثت هذه الأخيرة في جنود الحملة الإسبانية إرتباكاً، وفوضى كبيرة[5]، أدت إلى فشل السفن في الإنزال القوات البرية خلال الفترة ما بين 20-23 أكتوبر بسبب هياج البحر نتيجة للعاصفة مما اضطرها للإلتجاء إلى رأس ماتيفو [6]، وأعتقد أن هذا التأخر في نزول القوات البرية والإلتجاء إلى مكان بعيد عن مدينة الجزائر، أعطى الوقت الكافي لحسن باي لتدارك الموقف، والقيام بالاستعدادات اللازمة لمواجهة الخطر المحدق بالمدينة. [7] وفي الخامس والعشرين من أكتوبر إكتمل إنزال القوات البرية، وتحركت نحو مدينة الجزائر بثلاثة محاور وبالأشكال التالية:

القوات الإسبانية تتحرك من جهة المناطق المرتفعة، القوات الألمانية تتحرك من جهة السهل. القوات الإيطالية تتحرك من جهة الساحل.

---

[1] يحي بوعزيز: علاقات الجزائر .. مرجع سابق، ص46.

[2] نفسه، ص 48.

[3] مجهول: **غزوات عروج وخير الدين**، تصحيح وتعليق : نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية،الجزائر1934م، ص116.

[4] كورين شوفالييه: مرجع سابق، ص 92.

[5] يحي بوعزيز: علاقات الجزائر ... مرجع سابق، ص 46.

[6] يبعد عن مدينة الجزائر بـــ 12 ميلا، ويمتد على الساحل بطول 20 ميلا، أنظر" عزيز سامح ألتر: مرجع سابق، ص 157.

[7] علي العبيدي: مرجع سابق، ص ص 12، 13.

و لم تتمكن قوات الحملة من تحقيق أي تقدم يذكر نتيجة مقاومة حامية المدينة بقيادة حسن باي[1]، في حين ظهرت بطولات رائعة من القائد الحاج البشير [2]، والحاج مامي، والحاج بكير، والأخضر، وغيرهم[3]، الذين استطاعوا بجنودهم أن يحصدوا رؤوس النصارى بشجاعة فائقة، وبسالة نادرة، وبطولة رائعة[4]، ثم رجع النصارى إلى رأس تفورة، ونزلوا بها، وأخذت تلك الوعور، وشرعوا في قتال المدينة، وصعدوا بألوية منشورة إلى الكدية المعروفة بكدية الصابون[5]، وقاموا بالهجوم عليها، وتمكنت بعد هجوم مكثف من احتلالها، وعلى الفور أمر الإمبراطور شارلوكان بنقل مقر القيادة إلى كدية الصابون، وهناك شكل القيادة من جديد.[6]

أعطى توقف القتال بين الطرفين فرصة مواتية لأن يتخذ حسن باي بعض التدابير السريعة لمواجهة الخطر المحيط به، فقرر إرسال جواسيس تمكنوا من التغلغل بين صفوف القوات الغازية. وجمع المعلومات عن أحوالها، والظروف التي تحيط بها، وتبين من خلال المعلومات التي نقلها الجواسيس أهمية أخذ زمام المبادرة من جانبه، ومباغتة العدو قبل حلول الصباح اليوم الموالي، وبالفعل وضع حسن باي خطة تقوم على مباغتة العدو من خلف مواقعه القتالية، فشن هجوما مباغتا على رأس قوة ضمت 600 إنكشاري، و100 فارس محلي، وتمكن من قتل أعداد كبيرة من صفوف شارلوكان.[7]

و من بين العوامل التي ساعدت على إلحاق هذه الهزيمة بشارلوكان، القيادة الرشيدة، والتفاف الشعب الجزائري حولها، وتدفق رجال القبائل إلى ساحة القتال طلبا للشهادة في سبيل الله، ودفاعا عن الإسلام والمسلمين، وقد شبه أهل الجزائر هذه الهزيمة بهزيمة أصحاب الفيل التي ورد ذكرها في القرآن

---

[1] علي العبيدي: مرجع سابق، ص 14.

[2] عيس الحسن: مرجع سابق، ص 156.

[3] آغا مزاري بن عودة: مصدر سابق، ص221.

[4] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص 156.

[5] آغا مزاري بن عودة: مصدر سابق، ص221.

[6] سامح ألتر: مرجع سابق، ص 158.

[7] علي العبيدي: مرجع سابق، ص ص 13، 14.

الكريم فقالوا في رسالة وجهوها إلى السلطان سليمان: «... **إن الله سبحانه وتعالى عاقب شارل الخامس، وجنوده بعقاب أصحاب الفيل، وجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم ريحا عاصفا، وموجا قاصفا، فجعلهم بسواحل البحر ما بين أسير، وقتيل، و نجا منهم من الفرق إلا قليل...**»[1]

لقد كانت الهزيمة منكرة حقا، إذ لم يتمكن جنود الحملة من الوصول إلى سفنهم إلا بعد خمسة أيام، ولكن سرعان ما هبت عاصفة أخرى أغرقت العديد من السفن، وشتت البقية في البحر[2]، ولما رأى شارلوكان ما حصل بجنوده من الغرق، والعطب، انكسرت شوكته، وضعفت قوته، وأخمدت ناره[3]، وكانت خسائر شارلكان في هذه الحملة 200 مركب، وأكثر من 12 ألف شخص قتيل، وجريح، وأسير.[4]

وهكذا كانت هزيمة شارلوكان، ويشير في هذا الصدد عزيز سامح ألتر بقوله: « **لقد شوهد شارلوكان ولأول مرة في تاريخه يبكي على الخسائر التي حلت بجيشه، وأسطوله...**»[5]

لقد تسبت هذه الهزيمة في فقدان كل ما لديه من سفن ومدافع، وعتاد، وخيول، ومات من جنوده ما لا يحصى عددهم [6]، فقرر شارلوكان العودة، وبما أن العاصفة ظلت مستمرة حتى صباح 26 أكتوبر من نفس السنة، ولهذا أمر القوات بالتوقف للاستراحة، بعد الإنهاك، والتعب الشديد الذي عانته خلال الأيام الماضية، وبقي على شارلوكان مهمة تأمين الطعام، فأمر بذبح الخيول الموجودة لديه، ولتشجيع المتطوعين قام بذبح حصانه أولا.[7]

وعلى غرار هذا، ما إن وصلت أنباء الحملة الإسبانية إلى العاصمة إسطنبول حتى تقرر تكليف خير الدين بربروس بتجهيز أسطول بحري قوي لمواجهة الموقف ولكن قصر وقت الحملة حال دون ملاقات خير الدين للحملة الإسبانية.[8]

---

[1] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص 156.

[2] علي العبيدي: مرجع سابق، ص 14.

[3] آغا مزاري بن عودة: مصدر سابق، ص222.

[4] يحي بوعزيز: علاقات الجزائر... مرجع سابق، ص46.

[5] عزيز سامح ألتر: رجع سابق، ص 162.

[6] علي العبيدي: مرجع سابق، ص 14.

[7] خير الدين بربروس: مصدر سابق، ص 205، وكورين شوفالييه: مرجع سابق، ص 98، وعزيز سامح ألتر: مرجع سابق، ص 163.

[8] علي العبيدي: مرجع سابق، ص 15.

بعد مغادرة الأسطول الإسباني لمياه الجزائر، وهدوء العاصفة، بدأ الجزائريون بإخراج السفن الغارقة، فعثروا على مائة وخمسين مدفعا من البرونز، كما حصلوا على معدات، وأسلحة قيمة، أكملوا بها تحصين مدينتهم، وتسليحها، ويشير في هذا الجانب خير الدين من خلال مذكراته: «**إزدادت مدينة الجزائر غنى بغنائم هذه الحملة، ووقع عد كبير من الجنرالات، والأميرالات، والدوقات، والأمراء، والأميرات، والنبلاء، والفرسان، وغيرهم من أبناء القصور، والعائلات الكبيرة في الأسر، لقد قدم هؤلاء جميعا من مختلف عواصم أوربا ليستمتعوا بمشاهدة إحتلال الجزائر...**»[1]

ونزلت أنباء هزيمة شارلكان نزول الصاعقة على أوربا، وتطورت الأحداث هناك بسرعة، وبقي رعب المسلمين في قلوب أهل أوربا لمدة طويلة، و لم يعد شارل الخامس قادرا على التفكير في حملة أخرى ضد الجزائر. [2] وهكذا إنتصر خير الدين على أندري دوريا [3] قائد الأرمادا الصليبية التي شاركت فيها 52 سفينة للإمبراطور شارلوكان، و80 سفينة للبنادقة، و30 سفينة لبابا روما، و106 سفينة لقراصنة مالطة، و 80 سفينة إسبانيا، وبعد هذا الانتصار أصبح خير الدين قائدا عاما للبحرية العثمانية فحقق إنتصارات عظمى على إثر هذا الإنتصار، وأضحت مدينة الجزائر تتمتع بأهمية كبيرة[4] وفي هذا الميدان يشير صاحب كتاب غزوات عروج وخير الدين بقوله: « **أصبحت الجزائر كالعروس العذراء تختال في حليها، وحللها من رخاء الأسعار، وأمان الأقطار، ولم يبق لهم عدو يخافون منه، وشاعت هذه القضية في مشارق الأرض، ومغاربها، وبقي رعب المسلمين في قلوب الكفار مدة طويلة بقدرة العزيز القهار**».[5]

---

[1] خير الدين بربروس: مصدر سابق، ص206.

[2] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص158.

[3] هو قائد بحري شهري من عائلة جنوية الأصل عريقة في المجد والشرف كان ضد الفرانساويين وبين حروب إيطاليا التي أثارها شارلوكان وفرانسوا الأول ملك فرنسا ثم انحاز إلى فرنسا وحارب سفن شارلوكان، وانتصر عليها وحصلت بينه وبين مراكب العثمانيين، عدة وقائع ثم ترك فرنسا وإنحاز إلى شارلوكان مقابل إرجاعه مدينة جنوة إلى استقلالها الأصلي في سنة 1528م، وحارب مراكب فرنسا والدولة العثمانية، ولد سنة 1468م، وتوفي سنة 1560م، أنظر: جون .ب. وولف : مرجع سابق، ص41، وأحمد توفيق المدني : حرب ثلاثمئة، مرجع سابق، ص ص 220، 221،وفريد بك المحامي :مرجع سابق ،ص ص 218،219.

[4] محمود السيد دغيم: مرجع سابق، ص 27.

[5] غزوات: مصدر سابق، ص 121.

وفي هذه الأثناء وبعد هزيمة شارلوكان في أكتوبر 1541م، سارع فرانسوا الأول إلى إرسال مبعوث عنه للبلاط العثماني ليهنئه بالانتصار ملتمسا منه المساعدات العسكرية الضرورية البرية منها والبحرية في الحرب التي سيعلنها ضد خصمه شارل الخامس خاصة وإن موقفه تحرج بعد الانتصار الذي حققه شارل الخامس باستمالة إنجلترا إلى صفه، ورغم هذا التحالف الذي كان يضمن لهذا الأخير التفوق البحري في مياه المانش، فإن الأسطول الفرنسي استطاع أن يظهر بالمياه الإيطالية بمظهر المتفوق بفضل مساعدة خير الدين.[1]

بعد هذه الحروب العنيفة، والشاقة، قرر خير الدين استكمال تقوية أسطوله، وفي سنة 1543م أمر الخليفة سليمان للإبحار إلى فرنسا لمساعدة فرانسوا الأول ملك فرنسا ضد شارل الخامس، فوضع تحت تصرفه أسطولا مكونا من 110 سفينة أبحر بها من قاعدته [2] إسطنبول سنة 948هـ 1543م[3]، مار بمضيق ميسين في 25 أفريل 1543 ليصل إلى ميناء طولون في 12 جويلية من نفس السنة[4]، ثم توجه إلى مارسيليا، وأقلع منها مع الأسطول الفرنسي إلى مدينة نيس [5] بسواحل فرنسا الجنوبية التي كانت تحت سلطة شارل الخامس، غير أنه إضطر إلى رفع الحصار نظرا لتردد قائد الأسطول الفرنسي ورفضه لحظة الرفض، والإنزال.

وقد أراد خير الدين تنفيذ نفس المخطط الذي إتبعه في إسترجاع قلعة البينون غير أن ظهور الأسطول الإسباني الذي كان يمول المدينة تحت رأسه الأميرال ماركي دي قاست Mark de Guast، وتمكنه من إلحاق هزيمة بالأسطول الفرنسي، دفعه إلى مراجعة خطته، فأعاد خير الدين المحاولة [6] قصد تخليص مدينة نيس، التي بقيت خاضعة إلى دوق منطقة الصافوا " Le Duc de Savoie"، وأثناء مرور أسطول خير الدين بالسواحل الإيطالية عاثبها وكبدها خسائر فادحة، واستطاع فرانسوا الأول

---

(1) عائشة غطاس: **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع (1619-1694م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف الدكتور مولاي بلحميسي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر 1985/1984م، ص14، وأنظر: كذلك: خليل إينالجيك: **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار** ، ترجمة: محمد، م، أرنارؤط، ط 1، دار الكتب للوطن، بنغازي، ليبيا 2002م، ص 57، 58.

(2) كليل صالح: مرجع سابق، ص146.

(3) محمود السيد دغيم: مرجع سابق، ص26.

(4) كليل صالح: مرجع سابق، ص146.

(5) محمود السيد دغيم: مرجع سابق، ص26.

(6) ابن أبي زيان أشنهو: مرجع سابق، ص ص 172، 173.

بفضل دعم خير الدين استرجاع مدينة نيس [1]، ثم انتقل إلى طولون المرسى الحربي الفرنسي، وبسط سيطرته عليه،[2] وملك بها حتى أبرم الصلح بين فرانسوا الأول وشارل الخامس سنة 1544م، ثم عاد إلى القسطنطينية[3]، إلى أن توفي سنة 953هـ/1546م[4]، تاركا للسلطان العثماني أسطولا مجهزا تجهيزا حسنا، وبحارة تمرست بالمعارك بعد أن حقق انتصارات عظيمة.[5]

– تحرير المدن الجزائرية من الإسبان:

استمرت سياسة الدولة الجزائرية في دعم حكام تلمسان، الذين أبدوا استعدادا للتعاون معها ضد الإسبان، غير أن ظهور خطر السعديين بالمغرب الأقصى، و سعيهم إلى توسيع نفوذهم نحو تلمسان منذ حملة محمد المهدي عليها، سنة 457هـ/1550م، لكن حسن باي تمكن من هزيمتهم، وإرغامهم على الانسحاب إلى داخل أراضي المغرب الاقصى، مما دفع حكام الجزائر إلى وضع حد نهائي للدولة الزيانية.[6]

وعقب هذا استلم صالح رايس إدارة الولاية الجزائرية[7] في أفريل سنة 959هـ/1552م[8]، حيث ارتاح السكان إلى توليته لمهامه، وحسن سيرته [9]، إذ قام بمهاجمة الإسبان المحتلين في صخرة باديس (قلعة) في الريف المغربي قرب سبتة، كما هاجم السواحل الأندلسية، وشارك في إجلاء الكثير من المسلمين الأندلسيين المطرودين، غزوا جزيرة ميورقة عام 1553م، وإعترض مراكب برتغالية وأسرها.[10]

---

[1] عائشة غطاس: العلاقات الجزائرية ... مرجع سابق، ص15.

[2] ابن أبي زيان أشنهو: مرجع سابق، ص ص 172، 173.

[3] محمود السيد دغيم: مرجع سابق، ص26.

[4] دفن في إسطنبول في منطقة بشكطاش وفيما بعد أقيم قرب قبره المتحف البحري وتوجد حول قبته حديقة فيها العديد من المدافع القديمة، ويتوسط الحديقة نصب تذكاري لأمير البحر خير الدين، أمّا عن سنة وفاته يشير هايدوا أنها في شهر ماي 1548م، بعد حمى دامت 14 يوما، أنظر: نفسه: ص27.

[5] كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص545.

[6] الشافعي درويش: مرجع سابق، ص51.

[7] الأعرج السليماني: مرجع سابق، ص 206.

[8] أحمد توفيق المدني: حرب ثلاثمئة... مرجع سابق، ص338.

[9] الأعرج السليماني: مرجع سابق، ص 206.

[10] يحي بوعزيز: الموجز ... مرجع سابق، ص423

بالإضافة إلى ذلك فقد تعاون سكان تلمسان مع قوات صالح رايس، وردوا عنها قوات السعديين، والقوات الإسبانية الطامعة فيها، وضموا المدينة، والدولة إلى حكومة الجزائر المركزية عام 1554م، ووضعوا حدا نهائيا لأطماع الإسبان فيها، وتلاعبهم بمصيرها [1]، وتعاون سكان بجاية مع قوات صالح رايس كذلك واستطاعوا تحرير بجاية والقضاء نهائيا على الدولة الزيانية في عام 1555م، كما قضى صالح رايس على التمردات الداخلية [2]، وتوسيع نفوذ السلطة المركزية حتى الأقاليم الصحراوية.[3]

وكان استرجاع بجاية انتصارا عظيما حيث فقد الإسبان قاعدة إستراتيجية على الساحل الشرقي، ومنذئذ انحصر الاحتلال في مدينة وهران، وكان استرجاع بجاية حافزا على الشروع في تحضير حملة عسكرية لتحرير وهران لكنه وافته المنية بينما كان ببرج تامنفوست يترقب وصول الإمدادات من إسطنبول عام 1556م.[4]

وبعد الإنتصارات التي حققها الجزائريون ضد الإسبان حاول الإسبان إحتلال مدينة مستغانم لما لها من أهمية للدولة الجزائرية، فقد أصبحت قاعدة متقدمة لتهديد الوجود الإسباني في وهران [5] سنة 1556م، وفي أعقاب وفاة صالح رايس عين الباب العالي حسن بن خير الدين للمرة الثانية، فوصل في جوان 1557م، وكان من أهم التحديات التي تنتظره التصدي للإسبان، وللخطر السعدي، ففي المعركة التي دارت بين جيوشه، وجيوش الإسبان [6]، لقي القائد دالكودايت حتفه، وأسر إبنه دون مارتان في حين استسلمت بقايا الجيش الإسباني في يوم الجمعة 26 أوت عام 1557م، وعاد حسن باشا بنحو ستة آلاف أسير، وبذلك حقق حسن باشا إنتصارا عظيما على الإسبان الذين فقدوا كل شيء في هذه

---

[1] يحي بوعزيز: الموجز ... مرجع سابق، ص194.

[2] عائشة غطاس: الدولة الجزائرية ... مرجع سابق، ص46.

[3] بعدما ساهم في توحيد الدولة الجزائرية، وتوسيع نفوذها حيث ضم كل من تقرت وإمارة ورقلة، أنظر: درويش الشافعي: مرجع سابق، ص 51.

[4] عائشة غطاس: الدولة الجزائرية ... مرجع سابق، ص35.

[5] تقع على مسافة 54 ميل في الشمال الشرقي من مدينة تلمسان، أنظر: وليام شالر: مدرجع سابق،ص35.

[6] الشافعي درويش: مرجع سابق، ص 52.

المعركة[1]، في حين إستطاع تحطيم الحصن الأعلى من برج المرسى الكبير، واقتحامه مما أدى إلى فرار الأسبانيين.[2]

وحين تولى حسن باشا السلطة للمرة الثالثة عمل على وضع أسس التنظيمات الإدارية العسكرية من خلال تقسيم البلاد إلى مقاطعات عرفت بالبايلكات [3]، وعمل على طرد الإسبان من وهران حيث وجه حملة في سنة 1563م حاصرها، وأوشك على تحريرها، لكن الجيش الإنكشاري ثار ضده فغادر حسين بن خير الدين نهائيا في أوائل سنة 1567.[4]

ونستنتج مما سبق أن حسن بن خير الدين استطاع بفضل جهوده في القضاء على الإسبان وفي رد هجومات السعديين، حتى وإن أخفق في تحرير وهران، إلا أنه استطاع إضعاف قواتها.

وبعد هذا استمرت المحاولات من طرف الدولة الجزائرية من أجل تحرير المرسى الكبير، ومدينة وهران إلى أن تم تحريرها نهائيا سنة 1792م، بعد استعمار دام قرنين، وثلاث وستين عاما، وسجلت الجزائر شعبا وقيادة، صفحة مشرقة في تاريخها العسكري الحديث واستطاعت مجابهة القوة الإسبانية.

---

[1] عائشة غطاس: الدولة الجزائرية ... مرجع سابق، ص 35.

[2] الأعرج السليماني: مرجع سابق، ص207.

[3] دار السلطان وتشمل في الأصل مدينة الجزائر، المتيجة، والساحل من تنس غربا إلى دلس شرقا، وبايلك التيطري الذي يحده من الشمال الجزائر، ومن الشرق الزاب ومن الجنوب بلد الجريد، ومن الغرب معسكر، وبايلك الشرق الذي يحدّه من الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب الصحراء الكبرى، ومن الشرق الحدود التونسية ومن الغرب جبال البيبان، ومن الجنوب الغربي المناطق التي تفصله عن بايلك التيطري، وبايلك الغرب وعاصمة مازونة، أنظر: عائشة غطاس: الدولة الجزائرية... مرجع سابق، ص 144 ومابعدها.

[4] نفسه: ص 35.

ومما سبق نستخلص:

1. أن العثمانيين استطاعوا من إنشاء أسطول قوي لا يقل خطورة عن الأساطيل الأوربية، حيث أصبح لهذا الأسطول قواعد بحرية مهمة خاصة في غربي البحر الأبيض المتوسط، والذي كان بدوره من الأسباب الرئيسية التي أدت بالعثمانيين للاستقرار بالجزائر.
2. فبفضل الجهود التي بذلها خير الدين ومن تبعه من رؤساء البحر المجاهدين من تكوين جيش كامل لمجابهة العدو الصليبي، مما أدى إلى تزايد عدد وحدات الأسطول في منتصف القرن 16م إلى حوالي أربعين سفينة.
3. أصبح للبحرية الجزائرية بفضل مقومات الأسطول، وهياكله دور كبير في التصدي للحملات الصليبية، إضافة إلى الغنائم والتي كانت متمثلة في افتداء الأسرى، والإتاوات، والهدايا والتي بدورها وفرت مداخيل معتبرة للدولة خاصة بعد الإستراتيجية التي إتبعتها الجزائر إتجاه الدول الأوربية من خلال المطالبة بالضرائب السنوية والدورية، ومبالغ إفتداء الأسرى، وتبادلهم وتقديم امتيازات وإبرام معاهدات السلم والصداقة وغيرها.
4. لقد حققت الجزائر إنتصارات عظمى في الحوض الغربي للبحر المتوسط خاصة في التصدي للعديد من حملات والتي كان من أبرزها حملة شارلوكان عام 1541م التي منيت بهزيمة كبرى بلغ صداها إلى كامل أرجاء أوربا والعالم العربي.
5. إن حروب خير الدين برّ وبحرا قد كشفت عن الملامح الشخصية لسيرة خير الدين، في حين قد واجه خير الدين العديد من الصعوبات والعقبات إلا أن ثقته بنفسه دفعته إلى مجابهة القوى المعادية، وإستطاع إحباط خطر المشروع الإسباني الهادف إلى السيطرة على الشمال الإفريقي عامة، والجزائر خاصة.
6. إستطاع حسن آغا وصالح رايس من تحقيق الوحدة الإقليمية، والسياسية للدولة الجزائرية التي إمتد نفوذها، وسيطرتها إلى كل جهات الشرق، والغرب، والجنوب، كما استطاع صالح رايس أن يقضي على كل الإمارات، والسلطات المحلية بتلمسان، والإمارات في قلعة بني عباس، وقسنطينة وعنابة، وإمارة كوكو بالقبائل، أمّا على المستوى الدولي قد إستطاعت الجزائر بفضل إمتلاكها لأسطول بحري قوي ان تفرض إرادتها على كل الدول الأوربية وترغمها على دفع الأتاوات مقابل ضمان الأمن والسلام لمراكبها في حوض البحر المتوسط.
7. إن الجهود البحرية الجزائرية قد مكنت هي الأخرى من تحرير برج الفنار عام 1529م من طرف خير الدين.

الفصل الثالث:

الأندلسيون الموريسكيون عقب سقوط غرناطة 1492 م.

أولا– التعريف بالأندلسيين الموريسكيين.

ثانيا– تدهور أوضاع الأندلسيين.

ثالثا– هجرات الأندلسيين إلى الجزائر.

يقدم إلينا تاريخ الأندلس في مراحله الأولى، صفحات باهرات من ضروب المجد الحربي، والسياسي، وآيات ساطعات من ضروب التمدن، والعرفان، ولكنه يقدم إلينا في مراحله الأخيرة، صفحات مشجية مؤثرة من تقلب الحدود، وتعاقب المحن، والانحدار البطيء المؤلم إلى معترك الهزيمة، والذلة، والسقوط.

ولا تمثل قصة وجود العرب في الأندلس، سوى الحقيقة التاريخية الخالدة، وليس مجرى التاريخ سوى تعاقب الأجيال، والأمم، وتبدل الحضارات، والدول، ولكن الصراع الطويل المضطرم، الذي خاضته الأمة الإسلامية في الأندلس، قبل أن تستسلم إلى قدرها المحتوم، ويبدو فضلا عما يحف به من ألوان البطولة الخالدة، صفحة رائعة من الاستشهاد المؤثر، قلما يقدمها إلينا تاريخ أمة من الأمم، التي اشتهرت بتاريخها الحضاري على مدى السنين.

فرغم الفترة الطويلة التي قضاها العرب المسلمون في بلاد الأندلس، إلا أن الاسبان استطاعوا إخراجهم نهائيا منها، وذلك بسقوط آخر معقل لهم، وهو مدينة غرناطة في أيدي الجيوش القشتالية في الثاني من ربيع الأول 897هـ / الثاني من يناير 1492م، وبينما كان المسلمون يتجرعون حرارة الهزيمة حتى الثمالة كان النصارى يحتفلون بإنتصارهم احتفالا عظيما مهيبا، لكن مصيبة المسلمين في الأندلس لم تكن تنتهي بزوال سلطانهم السياسي، وسقوط آخر معقل إسلامي بيد سلطات اسبانيا النصرانية المتحدة، بل إن مصيبة جديدة تبدأ، إنها مأساة الأمة هناك، مأساة تمثل فيها الثبات، والتصارع ضد الفناء الذي كان يريده لهم السلطان الاسباني لإفناء الأفراد، بل قبلة فناء، وإفناء العقيدة، وإلغاء كل ما يتصل بذلك وبقي السلمون يقاومون ما يزيد على قرن دفاعا عن عقيدتهم المتمثلة في وجودهم، وكل الأمور المتعلقة بهم حتى الثماري الفكري، والإنتاجي الحضاري بمظاهره المختلفة لذلك كانت محاكم التفتيش التي كان لها أثر بالغ على الموريسكيين، ومن جراء ذلك أن أظهر عدد من المسلمين النصرانية، وأبطنوا الإسلام وأطلق عليهم مصطلح الموريسكيين بعد ما هاجر العرب منهم إلى البقاع الإسلامية.وفي هذا الجانب السؤال الذي يطرح نفسه: ما هو أصل تسمية الموريسكيين؟.

وما هي الأوضاع التي آل إليها الموريسكيون عقب سقوط غرناطة؟.

ولماذا هاجر الأندلسيون الموريسكيون؟.

أولا- التعريف بالأندلسيين الموريسكيين:

إن سقوط غرناطة في يد اسبانيا لم يكن مجرد نهاية حكم، وبداية حكم آخر، ولا مجرد تغيير في النظام السياسي، بل مثل سحقا لدولة الإسلام في الأندلس [1]. فبعد أن فقد المسلمون سيادتهم، وأملاكهم، وشربوا كأس الذل السياسي منذ سقوط مملكتهم، وطعنوا في كرامتهم، وفقدوا تسميتهم، التي عرفوا بها منذ الفتح الإسلامي للأندلس [2]، دخلوا حقبة تاريخية جديدة تحت زعامة الملكين الكاثوليكين[3] حيث كان أول عمل اهتم به كل من إيزابيلا، وفرناندو هو تصفية الوجود الإسلامي من شبه جزيرة إيبيريا.[4]

وأمام هذه الظروف أصبح المسلمون يسمون بالموريسكيين [5]، ذاك المصطلح الذي بدأ يظهر جليا بعد سقوط غرناطة، والسؤال الذي يطرح نفسه ما هو أصل تسمية الموريسكيين؟ ولماذا أطلقه الاسبان على المسلمين بالأندلس؟

الموريسكيون أو الموريسكوس، مصطلح اسباني "Moriscos"، وقد اختلف المؤرخون في تحديد معنى المصطلح، واشتقاقه، وتعددت المفاهيم حتى وإن اتفق الجميع على المعنى العام لهذه الكلمة.فالكثير من المؤرخين يرى أن أصل الكلمة لاتيني إغريقي مشتق من كلمة موري Mauri،

---

[1] «وبلاد الأندلس أيضا من المغرب وداخله فيه لإتصالها به، ويليها المجاز الأعظم، الذي يسمى الزقاق، وفيه مصب البحر الكبير الذي يسمى المحيط، ويقال له بحر الظلمات...»، وأطلق لفظ الأندلس في بادئ الأمر على شبه جزيرة إيبيريا، وذلك نتيجة لسيطرة المسلمين على أجزاء كثيرة منها، وبعد ذلك أطلقت لفظ الأندلس على مملكة غرناطة الصغيرة لأنها كانت آخر معقل للمسلمين، وكانت تقع في الركن الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة الإيبيرية، وكلمة الأندلس، ترجع في أصولها إلى الوندال أو "الفاندال" وهم مجموعة قبائل جرمانية إستقرت في المناطق الجنوبية لشبه جزيرة إيبيريا في القرن05هـ، ونتيجة لفتح العرب لإسبانيا تم تعريب الإسم. أنظر: ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق وتعريب: ج.س كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963م، ص27، وإبراهيم فرغلي: مرجع سابق، ص13.

[2] أي فقدانهم لتسميتهم التي كانت قبل سقوط غرناطة، وهي لفظة المسلمين لأنه منذ فتح الأندلس وسكانها يسمون بمسلمين الأندلس، أنظر: جمال يحياوي: مرجع سابق، ص41.

[3] نفسه: ص 41.

[4] عمر بكر محمد قطب: مرجع سابق، ص18.

[5] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص119.

وتطلق على مجموعة ذات البشرة سوداء، وأصل الكلمة مشتق من الكلمةالإغريقية Amaurus[1]، ومنها اشتقت كلمة "Moro"، ويقصد به شديد السمرة.

أما "ليفي بروفنسال" فيرى بأن الموريسكيين Morisco كلمة اسبانية تطلق على المسلمين الذين بقوا في البلاد بعد أن استولى عليها الملكان الكاثوليكيان، وفي مهجر الأكاديمية الملكية الاسبانية نجد تعريف الموريسكي كلمة تطلق على المغاربيين الذين بقوا، وتعمدوا بعد استعادة اسبانيا.[2]

أما المؤرخ "حنيفي هلايلي" فيشير أن الإسبان أطلقوا لفظة موريسكي على المسلمين الذين فرض عليهم التعميد الإجباري، وأطلق على هؤلاء Les Moriscos أي المسلمون الصغار[3]، وأن هذا المصطلح أطلق من طرف الإسبان على سكان شمال إفريقيا وبالخصوص على سكان منطقة موريتانيا الطنجية.

وتتفق معظم الدراسات التاريخية على أن مصطلح الموريسك Moriscos استعمل بعد سقوط غرناطة للدلالة على المسلم الذي دخل إلى المسيحية حديثا أي المسيحيون الجدد.[4]

ويذهب الدكتور "حسين مؤنس" بعيدا في تحديد أصل الكلمة إذ يعود إلى العهد الروماني، فمورو مشتقة من Mauri وتعني الداخلين تحت سلطان مسيحي، ومنها جاءت موريطانيا Mauretania[5]، وتطورت كلمة موري إلى مورو الإسبانية، وأصبحت تعني عربي أو مسلم، وتعليل ذلك بالإضافة كلمة Vasallos لمورو "Vasallos Moros"، ومعناها العرب التابعون.

ومهما يكن فإن الموريسكيين مصطلح خاص يطلق على بقايا المسلمين بالأندلس[6] بعد 1492م، وكلمة مورو Moro الإسبانية، والتي تقابلها الكلمة الإنجليزية Moorish لم نجد لها استعمالا قبل تاريخ 1492م سواء في اسبانيا أو خارجها.

---

(1) باللغة الاتينية القديمة، ومعناها داكن البشرة.

(2) جمال يحياوي: مرجع سابق، ص 42.

(3) حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص119.

(4) علي حسين الشطشاط: مرجع سابق، ص97.

(5) التسمية التي أطلقت على سكان شمال إفريقيا الداخلية تحت سلطنة الرومان.

(6) عمار جحيدر: "**الجهاد البحري في العصر الحديث**":**في مجلة كلية الدعوة الإسلامية**، مجلة إسلامية وثقافية، العدد5، طرابلس 1988، ص418.

أما من حيث المعنى فإن الإجماع يكاد يكون عاما لدى المؤرخين المهتمين بتاريخ مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة، ولا نجد مؤرخا واحدا يعطي للمصطلح معنى مغايراً ا للمعنى العام المقصود به المسلمون الذين بقوا في اسبانيا بعد استيلاء الملكان الكاثوليكيان عليها، أو الذين هاجروا أو هُجروا من اسبانيا بين (1492- 1610م).[1]

وإلى جانب هذا فقد كان هناك تضارب بين المؤرخين بالنسبة للتاريخ الذي تم فيه تحديد هذا المصطلح، فجل الدراسات تشير على أن الموريسكيون هو لفظ يرادف المسلمين الذين أجبروا على التنصر في أوائل القرن 16م في ممالك اسبانيا (قشتالة، أراغون، ونابارا...)، والتي بدورها تعني المسلمين الصغار، وهو ما أطلقه الاسبان عليهم تحقيرا لهم.[2]

لكن الباحث "سيمون الحايك" يرى أن هذه الظاهرة برزت سنة 1463 وتذهب الباحثة الفرنسية "إيفات هرموسيلا" إلى أن التأريخ الموريسكي يبدأ مع سقوط غرناطة، وبداية حركة الاسترداد، حيث لوحظ استبدال لفظ مدجن Mudéjares[3] بكلمة موريسكي في وثائق محاكم التفتيش، والتي أطلقت على الموريسكيين بالمسيحيين الجد د Cristiano nuevo de Moro، وهذا خلال القرن 16م.[4]

وهناك العديد من الدراسات تشير أن مصطلح الموريسكيين تسمية أطلقت سنة 1499م، على كل من هو عربي أو مسلم، واستعملت رسميا في الغات محاكم التفتيش عام 1520م، وأصبح مصطلحا إسلاميا شاع استعماله في الملفات الأوروبية بصيغ متقاربة، وهو الآن مستعمل في اللغة العربية، وأخضع لتصريفاتها.[5]

---

[1] وهي الفترة من سقوط غرناطة وبداية التسمية الجديدة إلى تاريخ النهائي للمسلمين من الأندلس في عهد الملك فليب الثالث، أنظر: جمال يحياوي: مرجع سابق، ص44.

[2] عمر بكر محمد قطب: "**الأبعاد النفسية للمحنة الموريسكية**"،**دورية كان التاريخية**،العدد9،سبتمبر 2010م، ص16.

[3] **المدجنين** ظهر هذا العنصر عندما سقطت الحواضر الإسلامية بالأندلس، ودب الضعف في دول الطوائف، وهم المسلمون الذين افتكت أراضيهم، وإندمجوا في وسط، وحياة الممالك المسيحية، وحافظوا على مساجدهم، وتقاليدهم وأعتبرت طليطلة مركزا لهم: أنظر: حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص120.

[4] نفسه: ص 119، 120.

[5] جمال يحياوي: مرجع سابق، ص44.

وقد حدد المؤرخ الاسباني "دي ايبالزا "وجود ثلاث مراحل للإطار الديني، والإجتماعي للأندلسيين من وجهة نظر القانون الإسباني، وتشمل المراحل التالية: مرحلة المدجنين: قبل التعميد القسري (1502–1525م)، والمرحلة الموريسكية: والتي اعتبر فيها المسلم منصرا أو مسيحيا.
مرحلة الطرد النهائي: (1609-1614م)، وهي مرحلة عودة الأندلسيين إلى ديار الإسلام.وهذا إن دل فإنما يدل على أن استعمال مصطلح الموريسكيين كدلالة تاريخية للتعريف بآخر مسلمي الأندلس، أو العرب المتنصرين الذين فرض عليهم التنصير القسري ما بين (1499-1526م).[1]

وأطلق هذا المصطلح على المسلمين الذين بقوا في الأندلس تحت السلطة النصرانية، وواجهوا عبث محاكم التفتيش[2]، ومن المؤكد أن التسمية لم تستخدم عقب السقوط مباشرة بل بعد السنوات الأولى من السقوط.

أما بالنسبة للمؤرخ "كارديك لوي" فيشير أن مصطلح الموريسك ظهر بهذا المفهوم سنة 1560 ليشمل كل المسلمين الذين مكثوا بشبه جزيرة ايبيرية بعد سقوط غرناطة واعتنقوا الدين المسيحي.[3]

ومن خلال هذا المعنى العام لكلمة الموريسكيين نرى أن هدف السلطات النصرانية الاسبانية من إطلاق هذه التسمية على المسلمين في غرناطة ثم باقي المقاطعات بعد سقوطها هو محاولة لإجتثاث شوكة المسلمين نهائيا من اسبانيا لتخصيص الأقلية الإسلامية دون غيرها بهذه التسمية، وإعفاء باقي الأقليات والطوائف مثل طائفة اليهود.

أما بالنسبة للدكتور عبد الله عنان يرجع هذا المصطلح إلى معنى كلمة موريسكي إلى المسلمين الأصاغر، وذلك كدليل على ما وصلت إليه الأمة الإسلامية من إنحطاط وربما هذا ما دفع المؤرخ "لابير" إلى اعتبارهم مسلمين لكنهم ليسوا كالمسلمين فهم إذن طائفة إسلامية جديدة.[4]

---

[1] محمد حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص120.

[2] ويطلق عليها الأستاذ محمد عبد الله عنان إسما آخر وهو ديوان التحقيق أو محاكم التحقيق أو دواوين محاكم التفتيش، أنظر: محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، ص328 ومابعدها.

[3] كارديك لوي: **الموريسكيون الأندلسيون المسيحيون**، ترجمة وتعريب: عبد الجليل التميمي، ط1، منشورات المجلة التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجزائرية، تونس 1983م، ص150.

[4] جمال يحياوي: مرجع سابق، ص 46.

وعلى غرار هذا فإننا نلاحظ أن اسبانيا سعت إلى فرض العقيدة النصرانية على المسلمين لتسهيل عملية القضاء على النفوذ الإسلامي بالأندلس، واستئصال جذور المسلمين الثقافية، والدينية، وإطلاق هذا المصطلح على من تبقى منهم بعدما هاجر العديد منهم إلى شمال إفريقيا.[1]

أما بالنسبة للمؤرخ "عادل سعيد البشتاوي" فكان موقفه على خلاف المؤرخين الذين سبق ذكرهم حيث يشير أن المقصود بالأندلسيين «المواركة» العرب الذين بقوا في قشتالة، ومملكة غرناطة، إثر صدور مرسوم التنصير سنة 1502، والأندلسيين البلنسيين الذين نصرهم الرعاع بالقوة سنة 1521م، وكلمة "المواركة" هي تعريب لكلمة Moriscosالقشتالية التي تعني « النصارى الجدد » أو النصارى الصغار، وبسبب اختيار «المواركة» هو محاولة التفريق بينهم، وبين الأندلسيين الذين سكنوا شبه جزيرة إيبيرية قبل سقوطها جزء خلف لآخر طوال عدة قرون، واستخدم بعض المؤرخين وصف "المتنصرين" على الأندلسيين الغرناطيين، ولكن هذا الوصف لا يتماشى مع واقع الأمور في حين استخدم البعض الآخر وصف الموريسكيين. [2]

بالإضافة إلى ذلك فإن المسلمين بالأندلس بعد سقوط غرناطة استعملوا تسمية أخرى على غرار تسمية موريسكيين، حيث أطلقوا على أنفسهم مصطلح الغرباء، وذلك في نداء الإستغاثة الذي وجهوه إلى السلطان العثماني سليمان القانوني عام 1541.

وحسب" ابن منظور" فإن كلمة " الغرباء" تعني الأباعد، وتعني المنفيين أو الذين يشعرون بغربة وسط محيط مغاير لهم.[3]

وفعلا فإن هذه التسمية التي اختارها الموريسكيون تحمل أكثر من دلالة تاريخية، ودينية، فتاريخيا أصبح الموريسكيون غرباء، دينيا، وحضارة على الوسط النصراني الذي يعيشون فيه، فهم من جهة يحملون ديانة إسلامية راسخة في الصدور، ومن جهة ثانية فرضت عليهم عبادة نصرانية جديدة.[4]

---

[1] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص121.

[2] عادل سعيد البشتاوي: مرجع سابق، ص7.

[3] جمال يحياوي: مرجع سابق، ص ص45،46.

[4] وقد أطلق الغرباء كذلك مفتي وهران أحمد بن جمعة المغراوي في رده على أسئلة المورسيكين عام1504م، حيث ردّ بقوله: «**إن لم تخافوا دخول شر عليكم من إعلام عدوكم، فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس..**» أنظر : نفسه: ص265.

ومهما اختلفت التسمية، ومعانيها، فإن الموريسكيين هم تلك البقايا العنيدة المجسدة لشخصية الحضارة العربية الإسلامية على الأرض الأندلسية، فهم شعب بقي عازما في الحفاظ على هويته، وثقافته رغم مصاعب المرحلة، وخطورتها، ولو حاولنا الآن تجنب مصطلح الموريسكيين فإن ذلك ليس بالأمر السهل لأن هذا المصطلح تجسد في الكتابات التاريخية المختلفة، وهكذا أصبحت كلمة الموريسكيين مستعملة في اللغة العربية، وقواعدها.[1]

غير أن حقيقة المشكلة ليست في التسمية في حد ذاتها وإنما في المحنة التي عاشها هؤلاء " الغرباء" طيلةأكثر من قرن، وفي المعاناة التي قابلها الغرناطيون باستماتة، لقد أدرك الموريسكيون منذ البداية أن الملكان لا يفيان بوعودهما، وإن إتفاقية غرناطة لم تحترم فبالنسبة لوعود الملكين، واتفاقية ما كانت لتصمد أمام الكنيسة الكاثوليكية، والتي كان هدفها الأساسي تنصير المسلمين، فمنذ دخول الملكين إلى غرناطة، وإحكام سيطرتها على الأمور، بدأت سياسة الإنتقام تحتث من طريقها كل ما هو إسلامي، وتوالى خرق بنود المعاهدة الواحد تلوى الآخر، وأنشئت محاكم التفتيش بدعوى حماية الدين المسيحي الكاثوليكي من المارقين المسلمين، والكفار، وإذا كانت هذه المحاكم أنشئت في الأصل في مختلف أنحاء أوربا لمطاردة الكفار، والخارجين عن المسيحية، فإنه أصبح مقتصرا على متابعة المسلمين في اسبانيا منذ سقوط غرناطة.

وعلى ضوء هذا ما هي الأوضاع الاجتماعية للموريسكيين الأندلسيين عقب سقوط غرناطة؟.

[1] جمال يحياوي: مرجع سابق، ص48.

2)- تدهور أوضاع الأندلسيين:

لم تكن المحاولات الحثيثة للسلطات القشتالية النصرانية لتنصير مسلمي الأندلس قسرا، طيلة القرن 16م، كافية لتشفي غليل رجال الكنيسة، وتضع حدا لجرائمهم ضد المسلمين الذين سقطت آخر دولهم بشبه الجزيرة الإيبيرية سنة 1492م[1]، فمعظمهم أجبروا على إعتناق الكاثوليكية، ومنذ ذلك الوقت بدأت محنة المسلمين ضد العنف الاسباني الذي يهدف إلى تحقيق أهدافه بجميع الوسائل[2]، و لم يكن لهؤلاء سلطة سياسية ترعى شؤونهم، وإنما ظلوا مجرد رعايا يخضعون للسلطة المسيحية، يتعرضون لشتى قوانين الإضطهاد حتى صدرت ضدهم في النهاية العديد من الأساليب، والتي كان من بينها [3] ديوان التحقيق أو ما يعرف بمحاكم التفتيش هذا الأخير الذي استخدمته الكنيسة لاضطهاد الموريسكيين.[4]

وعلى ضوء هذا ما هي الأسباب التي أدت بالكنيسة إلى اتباع هذه السياسة في حق مسلمي الأندلس؟ وهل كان الصراع القائم بين الإسبان والموريسكيين صراعا دينيا فحسب؟.

وللإجابة على هذا التساؤل يجدر بنا أولا الإشارة إلى الأسباب التي دفعت إلى اتباع هذه السياسة والتي تمثلت في:

1)- الاضطهاد الديني ودواوين محاكم التفتيش:

ظهرت فكرة محاكم التفتيش منذ أوائل القرن 13م، حيث كان البابوات يعهدون إلى الأساقفة بمعاقبة المارقين، والملحدين، وتأسست هذه الدواوين في اسبانيا في عهد الملكين الكاثولكيين إزابيلا، وفرناندو (1474- 1516م).[5]

فبعد أن عقد زواج فرديناند الكاثوليكي حاكم أراغونة على إيزابيلا حاكمة قشتالة سنة 1469م، وتم توحيد التاجين طلبا من البابا سكستوس الرابع (1481- 1484م) ،الإذن لهما في إدخال نظام محاكم التفتيش في بلادهما لمكافحة المسلمين، واليهود في شبه جزيرة إيبيريا، ولقى هذا الطلب استجابة فورية من البابا في نوفمبر 1477م، ومارست هذه المحاكم نشاطها بكل همة، ولقيت معاونة فعالة من ملوك

---

(1) حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص91.

(2) محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، ص315.

(3) حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص92.

(4) أسعد حومد: مرجع سابق، ص 9.

(5) حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص93.

اسبانيا ووقف الشعب الاسباني إلى جانب محاكم التفتيش [1] فكانت أولى محاكم التفتيش في إشبيلية عام 1480م.[2]

وفي سنة 1481 لم يبق أمام الأندلسيين سوى أمرين إما التنصر أو الجلاء فآثروا الثاني، إلا أن ديوان التفتيش لم تأخذه بهم رحمة كما لم يشفق على المسلمين.[3]

وبفضل جهاز محاكم أضحى الموريسكيون عبيدا بدون سيادة، وبدأت عمليات الإستلاب الثقافي، والتغريب بعد مصادرة أملاكهم [4]، فقد تعرضوا لكل أساليب الإبادة، والإفناء، بأوحش الصور، وأنكرها على يد الصليبين فكان من أولها، وأنكرها تحويل مساجدها إلى كنائس، وجرى ذلك رغم وجود معاهدة موقعة من ملوك اسبانيا، وسلطاتها السياسية، والكنسية،و الاجتماعية، وتعهد البابا بالوفاء بها.[5]

لكن في هذا الإطار فإن روح المعاهدة التي بموجبها سقطت غرناطة 21محرم 897هـ/ 25 نوفمبر1492م) لم تحترم بنودها التي وقعت بين الطرفين، بل سرعان ما تنكر لها الطرف المسيحي فبدأ المسؤولون السياسيون، والدينيون الاسبان في عملية جديدة تقضي ليس بإسترداد المدن فقط بل أيضا باسترداد روحي، وحضاري لكافة السكان بالأندلس.[5]

وفي ظل هذه الظروف أصبح ملوك الاسبان يرون أن خرقهم لبنود المعاهدة هو إنقاذ لأرواحهم، ومحافظة على سلامة ممتلكاتهم [6]، لذلك اشتد ديوان التفتيش في مراقبتهم، وكانوا يرون في عمل هذا الديوان الديني سلامة عنصرهم، وسلامة دينهم،ولذلك كانوا شاكرين لعمله مهما قسا، وعزم.[7]

---

(1) عبد العزيز محمد الشناوي: **أوربا في مطلع العصور الحديثة**، ط4، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة 2011م، ج1،ص445.

(2) حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص93.

(3) محمد عبد الكريم علي: **غابر الأندلس وحاضرها**، ط1، المطبعة الرحمانية، مصر 1923م، ص42.

(4) حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص93.

(5) عبد الرحمان علي حجي: **مع الأندلس لقاء ودعاء**، ط1، دار القلم، دمشق وبيروت 1400هـ-1980م، ص26.

(5) حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص93.

(6) جمال يحياوي: مرجع سابق، ص 90.

(7) عبد الكريم علي: مرجع سابق، ص142.

وفي هذا الإطار لا يمكن أن ننسى دور الكنيسة الكاثوليكية في انتهاج هذه السياسة في حق الإنسانية، فكان دورها الموجه، والمحرض، والدافع إلى إبادة العرب، وإلى اضطهادهم، وإلحاق الأذى بهم فقد دفعت الكنيسة الملوك الاسبان إلى خرق حرمة معاهدات الاستسلام التي كفلت للمسلمين حياتهم، وأموالهم، وحرياتهم في العبادة، وللتعبير، والمعتقد، والتقاضي، بحسب الشريعة الإسلامية.[1]

لكن إذا كان للكنيسة دور في اتباع سياسة التنصير القسري فإن ذلك لا يمكن أن يمر دون ذكر دور القس خمينيس سيسنيروس [2] الذي عرف بجبروته، وإصراره على تنصير الموريسكيين بكل الوسائل، هذا الشخص الذي نال حصة الأسد، وسجل حضورا قويا في التاريخ الديني الاسباني في عهد الملكين، ساهم بتعصبه في تنفيذ مشاريع الكنيسة الكاثوليكية، فيما يتعلق بتنصير المسلمين، وقد اختلف عن غيره من القساوسة، والأحبار.[3]

وإلى جانب ما ذكرناه فإن الكنيسة ليست المسؤولة الوحيدة عن سياسة التنصير القسري، وإن كان لها الدور الأكبر في تنفيذ هذه السياسة، فهناك أيضا الملوك الكاثوليكيون الذين تعاقبوا على المملكة[4]، منذ سقوط آخر حصن في الأندلس سنة 1492م[5]، فهؤلاء الملوك يتحملون مسؤولية كبرى فيما حدث للموريسكيين، لما ارتكبوه من مذابح وحشية، ونكث فاضح للعهود التي قطعوها على أنفسهم، ويأتي في مقدمتهم الملكان الكاثوليكيان فردناند، وإيزابيلا.[6]

ويجب أن نضيف أن هذا العمل الصالح لمحاكم التفتيش قد لاحظت الملكة "إيزابيلا" «...**مدى الجرائم التي ارتكبت تحت اسمها، وفي سبيله، بادعاء الحماس الديني الذي ذهب ضحيته الكثير من الناس الأبرياء لمجرد اتهام خصومهم لهم لتصفية حسابات شخصية، وحيازة أملاكهم، ما دامت الدولة تهدف إلى حيازة الأملاك من وراء هذه المحاكم المجرمة، فشكلت الملكة محكمة لتحاكم من**

---

(1) أسعد حومد: مرجع سابق، ص ص 8،9.

(2) الكاردينال خمينيس هو مرشد إيزابيلا الكاثوليكية، ملكة قشتالة ولد سنة 1436م، حكم إسبانيا بعد موت فرديناند الكاثوليكي سنة 1517م، وقد كان من أعظم من قضوا على العرب، ومدينتهم غرناطة، أنظر: عبد الكريم علي: مرجع سابق، ص142م.

(3) جمال يحياوي: مرجع سابق، ص90.

(4) نفسه: ص 92.

(5) عبد الرحمن علي حجي: مرجع سابق، ص25.

(6) جمال يحياوي: مرجع سابق، ص92.

حاكموا الناس، وسلبوا أموالهم لأنفسهم، ونالت منهم، وأعادت هذه الأموال لسلطة التفتيش كي تعطيها للدولة حتى لا يجرؤ أحدا على سرقة السارق الأكبر،الكنيسة، والدولة،...».[1]

واستنادا على ما وصفه أغابيدا بقوله: «**إنه كان لملوك الكاثوليك أتباعهم المخلصين في كل مكان الذين يرفضون الزندقة، ويحمسون الإيمان، لذلك أمرهم الملك بتشكيل أشد اللجان لتحدي سلوك الناس....**» فأرسلت «**محاكم التفتيش إلى مناطقهم لأجل هذا الغرض وباشرت عملها بحماسها المعهود، ونتج عن ذلك إدانة الكثير من العائلات بالزندقة في الدين، والممارسة اليهودية سرا، والذين قبلت منهم التوبة في الوقت المناسب بأن فضحوا سواهم، أعيد تعميدهم ثانية، بعد تعذيبهم بشدة حتى لا يعذبوا أكثر بجهنم، وأنزلت بهم أشد الإهانات، أما الآخرون الذين فضحوا، فقد تم حرقهم في المحارق العامة " Auto de fés" أمام كل الناس، وصودرت أموالهم لصالح الدولة....».**[2]

وهكذا بسبب استمرار كل من إيزابيلا، وفرناندو في سياستهما التعصبية بدأت محنة المسلمين تتبلور، وأدت في النهاية إلى قيامها بثورة عام 1499م، والتي استمرت إلى سنة 1501م[3]، هذه الأخيرة التي قامت بسبب السياسة التي أدخلها الكاردينال خمينيس الذي أخرج من جعبته كافة السبل لتنصير المسلمين، بعدما أعطت له الملكة جميع الصلاحيات الكاملة لذلك [4]، كما أيقن بأنه لم ينجح في مهمته التنصيرية، إلا بقطع هذه الأمة عن جذورها، وماضيها التاريخي.[5]

إذ في هذا الصدد يمكن القول إن محنة المسلمين بدأت في التعقل للخطر الجديد، وقامت بثورتها للحفاظ على وجودها القديم في البلاد ،تلك الثورة التي خرجت من حي البيازين أحد أحياء غرناطة في عام 1499م، والتصدي لأفعال الكاردينال العنصرية.[6]

وانتشرت الثورة في كل أنحاء غرناطة، فأرسلت الملكة إيزابيلا أول جيش لإخضاع الثورة، فلم تفلح في إخضاعها، مما دفع الملك فرناندو إلى إسناد المهمة إلى القائد الاسباني الشهير " لونزودي

---

(1) واشنطن إيرقنغ: مرجع سابق، ص ص 303، 304.

(2) نفسه: ص303.

(3) عمر بكر محمد قطب: مرجع سابق ،ص16.

(4) نفسه: ص18.

(5) عادل سعيد البشتاوي: مرجع سابق، ص113.

(6) عمر بكر محمد قطب: مرجع سابق، ص16.

أغويلار" في محاولة لصد الثورة، والقضاء عليها، لكن هذا الأخير لقي حتفه على يد أحد الفرسان المسلمين.[1]

هذا الأمر الذي دفع بالملك فرديناند بأن يتدخل بنفسه سنة (905هـ/1500م) حيث أجبرهم على طلب السلم مقابل 50 ألف دوكة ذهبية، وتسليم جميع الأسلحة، والحصون، التي كانت بحوزتهم[2]، إلا أن هذه الإجراءات لم تساعده على تحقيق هدفه.

وقد صحبه بموجب هذه الثورة حوالي 80 ألف من الرجال للقضاء عليها لكن دون جدوى، ورغم الخسارة التي تعرض لها الملك إلا أنه استطاع محاصرة الثوار في أماكن ثوراتهم مثل: أندرش، وحدود المرّية.[3]

وعقب هذا قام الملكان الكاثوليكيان سنة 1501م بإصدار مرسوم يجبر الأندلسيين على التنصر أو الرحيل[4]، واعترافا منه ومن الملكة إيزابيلا، هذه الأخيرة التي أمهلتهم مدة لذلك، وخلال هذه المهلة رحل من غرناطة حوالي 300.000 شخص، ولكن الباقين اعتبروا متنصرين بموجب المرسوم، وأطلق عليهم إسم النصارى الجدد أو الأندلسيون المواركة[5]، أو الموريسكيين، ذلك اللفظ الذي أطلق عليهم بعد احساسهم بأنهم ليسوا نصارى خلص، ولكنهم نصارى بموجب مرسوم الملكة إيزابيلا.[6]

وفي سنة 1502م تنكر فرناندو لوعوده السابقة، وقرر أن اسبانيا لم تعد تتسع لغير الكاثوليك، وأن على المسلمين أن يتحولوا إلى الكاثوليكية أو أن يغادروا، وطنهم إلى العدوة الأخرى، لم يكن من السهل أن يغادر المسلمون وطنهم الذي ولدوا، وعاشوا فيه، ولم يكونوا يريدون كذلك ترك دين لم يقتنعوا بغيره، إزاء هذه توجهوا إلى علماء المغرب

---

[1] عمر بكر محمد قطب: مرجع سابق، ص16.

[2] البشتاوي: مرجع سابق، ص116.

[3] عمر بكر محمد قطب: مرجع سابق، ص17.

[4] أسعد حومد: مرجع سابق، ص9 ومابعدها.

[5] البشتاوي: مرجع سابق، ص16.

[6] عمر بكر محمد قطب: مرجع سابق، ص17.

الإسلامي يطلبون منهم الفتوى، وكان أن وجه إليهم أحمد بوجمعة [1] الوهراني الفتوى التي كانت مؤرخة في أوائل شهر رجب 910هـ/ ديسمبر 1504م[2]، التي تبيح لهم قبول المسيحية ظاهرا، وممارسة شعائر الإسلام في الخفاء اعتبارا من ذلك العام بدأ ما يمكن أن نطلق عليه «**التاريخ الموريسكي**» أي تاريخ الأندلسيين الذين فضلوا البقاء في بلدهم، ومارسوا شعائر الإسلام سرا.[3]

إن محتوى هذه الفتوى ذو فائدة مضاعفة، وقد قدمت ليس بشكل نظري، ولكن بالرجوع إلى الممارسة في وسط مسيحي، وقد جاء في هذه الفتوى تذكير بوحدانية الله، والاعتراف بمحمد صلى الله عليه وسلم كرسوله، ووجوب إقامة الشعائر الدينية، والقيام بالزكاة، والتطهر، والامتناع عن شرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، وكذلك منع المسلمات من التزوج بالمسيحيين.(4)

وعلى إثر ذلك تناولت الفتوى مشاكل العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، وماذا وجب على الموريسكي القيام به كلما أجبر على التنكر لعقيدته، وممارسة أخرى ليست له؟(5)

ولما قام الملوك الكاثوليك بسن القوانين الجائرة البالغة القسوة بحق العرب، وجعلوا عقوبة أتفه المخالفات الموت، والاسترقاق، والشغل في السفن مدى الحياة، ومصادرة الأموال (6)،وحرم عليهم التكلم باللغة العربية، وارتداء الألبسة الوطنية، والتردد إلى الحمامات، وفتح أبواب منازلهم أيام الحفلات، والجمعة، والسبت، وإقامة الشعائر الدينية، وعدم التسمية بالأسماء العربية، كما حولت جميع المساجد إلى كنائس ومنع المسلمين من حمل السلاح، كما فرض عليهم العيش في أحياء خاصة وارتداء ألبسة معينة، وأن يحملوا إشارة زرقاء على القبعة إذا ما بقوا على دينهم، وأمروا أن يسجدوا في الشوارع متى مر كبير الأحبار.[7]

---

(1) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن جمعة المغراوي الوهراني الفاسي، عرف بشقرون فاسمه محمد وكنيته أبو عبد الله، وأحمد إسم أبيه، والمغراوي نسبة إلى المغراوة وهي قبيلة من زناتة.

(2) كارديلك لوي: مرجع سابق، ص90.

(3) دون باسكوال بولوتان إي براتشينا: **الموريسكيون الإسبان ووقائع طردهم**، ترجمة وتعليق: كترة الغالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1433هـ/ 2012م، ص13.

(4) كارديلك لوي: مرجع سابق، ص91.

(5) نفسه: ص93.

(6) أسعد حومد: مرجع سابق، ص8.

(7) عبد الجليل التميمي: رسالة من مسلمي ... مرجع سابق، ص37.

كل هذه الأمور استلزمت من الموريسكيين اللجوء إلى البحث عن أسلوب ناجع للتخلص من اضطهاد محاكم التفتيش، والكنيسة، فالإهانة بلغت حدا لا يطاق[1]، فأجبروا على التظاهر بالنصرانية، وهم يبطنون الإسلام بداخلهم، حيث كانوا ظاهريا يعمدوا أبناءهم على يد القسيس ثم يتبعوا ذلك بإزالة ماء التعميد النصرانية، وتربية الطفل تربية إسلامية.[2]

وإلى جانب سياسةالانتقام، والتعذيب الوحشي من قبل النصارى جعل من التقية [3] آخر الحلول المتاحة للموريسكيين فقد اختاروا البقاء بعد أن التجأوا إلى التقية التي اتخذوها، وكأنها أملهم الوحيد للنجاة، وطريقهم الوحيدة للحفاظ على الحياة في إطار المجموعة المسيحية وهذا ما جعل أحد الموريسكيين الملتجئين إلى تونس يقول: « ... **اضطهدوا أمتنا الأندلسية بالسجون، وبالتعذيب، والقتل، ومع كل هذا فإن أتباعنا قد حافظوا بشدة على عقيدهم الصادقة، وتظاهروا باتباع عقيدة أخرى، في حين أنه قلوبهم تؤمن بشيء آخر، وهذا ما جعلهم يسخرون من حماقاهم،ومن ضعف عقيدهم المعروفة جدا لدينا...**».[4]

وعلى ضوء هذا ففي سنة 1526م أمر كارلوس (1517– 1555م)[5] بتأسيس محكمة تفتيش في غرناطة، لكن في هذا الإطار عمل الأندلسيون على تقرير مبلغ سنوي كبير لكي يبعد عنهم شرور محكمة التفتيش في غرناطة ولكن هذا لم يروع عمال المحكمة عن التسبب في إحراق أول ضحايا من الأندلسيين سنة 1529م.

وعلى الرغم من الاضطهاد الديني الذي عانى منه الأندلسيون في عهد كارلوس (شارل الخامس) [6] فإنه لم يكن ليقارن مع اضطهاد خليفته[7] فليب الثاني (1556– 1598م) الذي خلفه، والذي لم يكن

---

[1] جمال يحياوي: مرجع سابق، ص 127.

[2] عمر بكر محمد قطب: مرجع سابق، ص17.

[3] وهي في التعريف اللغوي المداراة والكتمان والتظاهر بها ليس هو الحقيقة وهي أشبه بنظام سرّي، وإصطلاحا: تعني الإحتياط والكتمان والحذر والسرية فهي إذن الفعل الذي بواسطته يمتنع المسلم الذي يعيش وسط بيئة اجتماعية عدائية عن ممارسة دينه متظاهرا باعتناق الدين الذي فرض عليه فرضا، أنظر: جمال يحياوي: مرجع سابق، ص55.

[4] كارديك لوي: مرجع سابق، ص ص 93، 94.

[5] عمر بكر قطب: مرجع سابق، ص17.

[6] البشتاوي: مرجع سابق، ص16.

[7] عمر بكر قطب: مرجع سابق، ص17.

يقل تعصبا عن إيزابيلا، وكان يعتقد أن الحل الوحيد لمعالجة مشكلة الأندلسيين المواركة تكمن في إبادتهم.

وفي سنة 1567م أصدر فليب الثاني مرسوما جديدا استهدف خطر كل المقومات العربية، والدينية، والاجتماعية لدى الأندلسيين.[1]

بالإضافة إلى ذلك فقد نشبت في عهده الثورة الموريسكية الكبرى، واستمرت حتى أوائل عام 1581م، والتي كان من أسبابها هي الثورة الأولى من حيث سياسة التنصير التي اتبعها الحكام الاسبان [2]، وقتل ألوفا لا تحصى بحجج مختلفة [3]، وإضافة إلى تلك الأسباب هناك سبب قوي جدا ألا وهو محاكم التفتيش[4]، وما صدر عنها، حيث كانت هذه التصرفات الشاذة من آلة الاضطهاد الجهنمية التي انتهجها الكاثولكيين السبب المباشر للعديد من الثورات التي قام بها الأندلسيين دفاعا عن حقوقهم، وحرياتهم، ولغتهم.[5]

كل هذه الأوضاع آلت إلى حتمية نشوب الثورة الكبرى التي اشتعلت بقوة مع بدايات عام 1568م، وقد تزعمها عدد من الموريسكيين من بينهم محمد بن أمية، وكان له دور بارز في التصدي للحزب الاسباني الذي تمثل في "المركيز مونتخار" الحاكم العسكري العام لغرناطة"، و"الدون خوان"[6] أخو الملك فليب الثاني غير الشرعي، وقد كانت هذه الثورة ذات أثر كبير في مستقبل الموريسكيين بعد ذلك في اسبانيا.[7]

وفي هذا الصدد تصف الشاعرة غازي الذيبة الثورة الموريسكية قائلة:

كان البارود على (جبل البشارات)[8] ينام

---

[1] البشتاوي: مرجع سابق، ص17.

[2] عمر بكر محمد قطب: مرجع سابق، ص17.

[3] أسعد حومد: مرجع سابق، ص8.

[4] عمر بكر محمد قطب: مرجع سابق، ص17.

[5] أسعد حومد: مرجع سابق، ص9.

[6] هو ابن كارلوس الثاني، ولد سنة 1545م في مدينة راتبسون، وفي سنة 1570م كلفة الملك للكاثوليكي الإسباني فليب الثاني بإذلال المسلمين في الأندلس، فذاقوا منه أمرين حتى لم يترك أمامهم سوى أحد خيارين الموت أو الهجرة، وفي سنة 1576م قاد المعارك ضد القلمنك فقهرهم سنة 1578م، وتوفي في تلك السنة. أنظر: محمود السيد الدغيم: مرجع سابق، ص59.

[7] عمر بكر محمد قطب: مرجع سابق، ص17.

[8] جبال البشارات والبوجراس معقل ثورة عبد الله بن أمية ضد الإسبان.

كان الليل بلاعتم يستيقظ من وحشته.

كان (الدون خوان) يبحث عن (حقبي)[1]

يجرف لوعته منذ معاوية بن أبي سفيان

حتى آخر نسل الأمويين بـــ (غرينادا).[2]

كان الدمع قصيرا.

وتماما مثل يد تقطعها العقلة

وتثير غوايتها بالطعنات

كان (إيرناندوديبالور)[3]

أو عبد الله ابن أمية في كتب النسيان.[4]

وإلى جانب هذا وبعد قمع السلطات القشتالية لثورة الأندلسيين سنة 1570م، والتي تزعمها محمد بن أمية[5] الذي قتل من طرف الحزب الاسباني من طرف الدون خوان المتزعم للحزب، والذي كان هدفه الرئيسي هو التخلص من زعماء الثورة بشتى الطرق [6]. كل هذا حتم على الموريسكيين أن يلتجؤوا إلى الملوك المسلمين في المشرق، والمغرب لاستنجادهم، وأن تنكر دعواتهم،ووفودهم، ورسائلهم إليهم للعمل على انقاذهم مما يعانونه من الظلم،وخاصة من رجال الكنيسة،وديوان التحقيق الذي عاث فسادا، وأحل لنفسه كل أنواع العقوبات، وتسليطها عليهم.[7]

وفي ظل هذه الأوضاع تم توزيع مسلمي هذه المملكة على باقي المماليك الإسبانية رغبة منهم في كسر شوكتهم، وتفريقهم للفت من قوتهم، عندما اعتقدت الكنيسة، والدولة أن مشكلة إسلام الأندلسيين في طريقها إلى الحل، لكن خيبتهم كانت كبيرة حيث جاءت النتائج عكسية فبعد بضع سنين على نفي الغرناطيين، ظهر أن هذا النفي ساعد المسلمين بمناطق أخرى على التشبث بالإسلام،

---

[1] الخائن الذي حاك مؤامراة لتخريب ثورة جبل البشارات.

[2] إسم غرناطة القشتالي.

[3] محمد بن أمية كما كشف عن نفسه إبان إطلاق ثورته.

[4] غازي الذيبة: آخر المورسيكيين، فلادليفيا الثقافة، ب ط، بدون سنة، ص61.

[5] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص101.

[6] عمر بكر محمد قطب: مرجع سابق، ص18.

[7] عبد الجليل التميمي: أول رسالة من مسلمي غرناطة... مرجع سابق، ص38.

وقوى عرضهم على المقاومة، فاستحكم اليأس في نفوس رجال الدولة،والكنيسة من تنصير المسلمين قبل أن ييأس الأندلسيون من تخليص أنفسهم من الاستعباد النصراني القشتالي الذي وقعوا فيه.[1]

فبعد إرغام الأندلسيين على التنصير، ومنعهم من التكلم باللغة العربية [2] وحرق كتبهم، ومسح ثقافتهم، واستعباد أبنائهم، ومصادرة أموالهم، واستعباد أبنائهم، ونسائهم، وقتل رجالهم، وقمع ثوراتهم ومتابعتهم لأتفه الأسباب، ومنعهم كذلك من عاداتهم، وأسمائهم، ومتابعة تشتيهم، وحرق زعمائهم، إلا أن كل هذه الأساليب أدت بالملوك الإسبان إلى التفكير في حلول أخرى تخرج اسبانيا من هذه الأوضاع[3]، فقد أصدر الملك فليب الثالث [4] الذي خلف أباه في الحكم عام 1598م بنفي الموريسكيين من البلاد بشكل تام، و جذري.[5]

وبالرغم من هذا فقد أصدرت حكومة فليب الثالث على نفي الأندلسيين لتحقيق مكسب سياسي يعطي مناهة إبرام هدنة مع الهولنديين والاستجابة لمطلب جماهيري قشتالي، أما الكنيسة القشتالية فأيدت قرار النفي لأنها يأست بعد أكثر من قرن من المحاولة المستمرة في كسب غالبية الأندلسيين المواركة في صف الكاثوليكية والتخلي عن دينهم، ودين أجدادهم،و لم يكن بإمكان محاكم التفتيش متابعة المشكلة الأندلسية، إذ اتخذت هذه الإجراءات للقضاء عليهم نهائيا.[6]

وهكذا استمر الاضطهاد متواصلا مدة مئة وعشرين عاما لم يتركوا خلالها صنفا من أصناف العذاب، والتنكيل، والنهب، والاستغلال إلا وصبوه على هذا الشعب المنكود الحظ، وكان من نتيجة ذلك كله أنه لم يبق في الأندلس كلها أحد من العرب في أواخر عام 1610م[7]،

---

[1] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص101.

[2] عبد الكريم علي: مرجع سابق، ص143.

[3] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق،ص101.

[4] هو ابن الملك فليب الثاني، وأصبح ملكا على إسبانيا عام 1598م، وكانت الأقلية الموريسكية في عهده تثير المخاوف، وأعتبرت غير قابلة للإندماج، فأصبحت أقلية مهمشة، ومطاردة، أنظر: حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات، ... مرجع سابق، ص103.

[5] عمر بكر محمد قطب: مرجع سابق، ص18.

[6] البشتاوي: مرجع سابق، ص332.

[7] أسعد حومد: مرجع سابق، ص ص 5، 6.

إذ غربوا وحملوا إلى إفريقية[1]، و لم تكتف اسبانيا بما قامت به من المظالم باسم الدين، وإحراق البشر، وقتلهم، وتعذيبهم، بل رأت أن توهم الناس أنه لا سبيل إلى قيام وحدتها إلا بنفي اليهود عام 1492م، ونفي العرب من الأندلس في سنة 1609م، فسار مئات الألوف منهم يهجرون بلادهم، وهلك العديد منهم.[2]

وإلى جانب هذا فإن المحنة الموريسكية كانت خطرا هي الأخرى على الإسبان من ناحيتين، على المسلمين، ومعارضتهم للسياسة الإسبانية من ناحية والذي على إثره قام الإسبان بمحاربة هذه الطائفة من خلال الاضطهاد المستمر، ومن ناحية أخرى فقد رأى الإسبان في الإسلام ذاته،وما يحمله من تعاليم خطرا على الكاثوليكية الإسبانية بشكل كبير، لذلك يجب أن يواجه هذا بعملية تطهير عرقي كامل لمن يحمل هذا الدين داخل اسبانيا.[3]

وفي الأخير نستنتج مما سبق أن دواوين محاكم التفتيش كانت سببا في ذبح عشرات الألوف، وإحراق أعداد كبيرة من الضحايا في ألمانيا،وهولندا وغيرها، و لم تنج منها قشتالة، وغيرها من المناطق الإسلامية في اسبانيا ،وإلى جانب هذا فقد كانت الملكة إيزابيلا التي أزالت آخر سلطة إسلامية سياسية في شبه جزيرة إيبيرية، والأداة التي مكنت قشتالة من اكتشاف العالم الجديد، كانت هي الأخرى مسؤولة عن قيام مؤسسة الاضطهاد الديني المتمثل في محاكم التفتيش، إلى جانب الملك كارلوس، وفليب الثاني، وغيرهم الذين كانوا مسؤولين عن تدمير أو نفي شعب أندلسي بكامله، فإن محاكم التفتيش كانت مسؤولة عن البطش بآلاف منهم ماتوا حرقا أو عذبوا، لأن دينهم كان يختلف عن دين عمال محاكم التفتيش، وربما كان أخطر ما حققته محاكم التفتيش هو تربية أجيال متتابعة على التعصب المقيت، وعلى إعلاء شأن الكاثوليكية مهما كان الثمن، والنظر إلى كل الأديان والمذاهب الأخرى، والقضاء عليها.

---

[1] عبد الكريم محمد: مرجع سابق، ص141.

[2] نفسه: ص ص 143، 144.

[3] عمر بكر محمد قطب: مرجع سابق، ص18.

هجرات الأندلسيين إلى الجزائر:

عرفت الجزائر كغيرها من بلدان المغرب الإسلامي هجرة أندلسية واسعة وهامة خلال مراحل الهجرات الثلاث الكبرى نحو المنطقة، حيث تميزت كل مرحلة من المراحل الثلاث بأحداثها التاريخية، كما ارتبطت معظم هذه الهجرات بظروف سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وحددتها طبيعة الهجرة التي كانت هي الأخرى لها تأثيرات على المغرب الإسلامي عامة، والمغرب الأوسط خاصة.[1]

ففي هذا الميدان قد شهدت الجزائر خلال **المرحلة الأولى** من الهجرة الأندلسية التي تمتد من **1212م إلى 1492م**، وصول موجات هامة من هؤلاء المهاجرين الذين تضاعف عددهم، وذلك موازاة مع حركة الاسترداد المسيحي Reconquista،[2] وسقوط الحاضرات الإسلامية الكبرى بالأندلس كقرطبة[3]1236م، بلنسية 1283م ، واشبيلية 1284م[4]، إلا أن حظ مدينة الجزائر في العصر الوسيط يبدو ضعيفا إذا ما قورن بمثيله في كل من المغرب، وتونس، فالتعقيدات التي صاحبت الوجود الأندلسي في القطرين الأخيريين تكاد تختفي هنا تماما، إذ أن الجزائر في الحقيقة في هذه الفترة لم تكن إلا ملجأ لمن فشل في إحدى القطرين أو كمحطة انتقال من قطر لآخر، ولعل ذلك يرجع أساسا إلى أن الإمارة الزيانية نفسها لم تستطع أن توفر لنفسها المجال الجغرافي الضروري لحمايتها [5]، لأن هذه الأخيرة اكتفت بالجزء الغربي من البلاد كقاعدة لها والذي تمثل في تلمسان.[6]

كل هذا أدى بالأندلسيين أن يفضلوا الاستقرار بمكان يستطيعون فيه تحقيق طموحاتهم العلمية، والسياسية، والاقتصادية.[7]

---

[1] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص7.

[2] هي حركة دينية ومعناها الإسترداد قام بها المسيحيون الإسبان لإسترجاع إسبانيا من المسلمين، والعودة إلى حظيرة النصرانية، أنظر: جمال يحياوي: مرجع سابق، ص137.

[3] مدينة عظيمة بقلب الأندلس ،تواجد بها ملوك بني أمية ،وتعتبر مركز علم تنتسب إليها جماعة وافرة من أهل العلم ،أنظر :شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي:**معجم البلدان**،د،ط ، دارصادر للنشر ،بيروت لبنان،ب،س،ص324.

[4] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص..

[5] محمد رزوق: **دراسات في تاريخ المغرب**، ط1، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء 1991، ص ص 48،49.

[6] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات، مرجع سابق، ص12.

[7] محمد رزوق: مرجع سابق، ص11.

ومن هنا نلاحظ أن مدينة الجزائر لم تحض على غرار المدن الأخرى بهجرة معتبرة، وذلك راجع للعديد من الأسباب، والسؤال الذي يطرح لماذا اختار المهاجرون الأندلسيون الاستقرار ببجاية وتلمسان؟ وللإجابة على هذا التساؤل هناك العديد من الاعتبارات دفعت بالأندلسيين للهجرة نحو هذه المدن منها: أن بجاية[1] تحتل موقعا جغرافيا ممتازا إلى جانب اعتدال مناخها، وخصوبة أرضها، وكانت مرفأ للسفن القادمة من المدن الأندلسية كالمرية، وبلنسية،وغيرها.[2]

أن الهجرة الكبرى إلى إفريقية الحفصية بعد سقوط مدن الأندلس، واتخاذ قرارات الطرد النهائي ضدهم هي التي دفعت جاليات مهمة هاجرت من شرق الأندلس إلى غرناطة أولا، ومن هنا إلى المغرب وإفريقية الحفصية خصوصا حيث كونوا جالية متميزة عن غيرها.

أما بالنسبة لجالية غرب الأندلس كانت تعتبر المقربة أكثر من الأولى من طرف أبي زكريا مؤسس الدولة الحفصية[3]، ومن طرف أبنائه من بعده حيث يروي بقوله « **كانت لأهل إشبيلية[4] خصوصا من بين الأندلس وصلة بالأمير أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص،وبينه منذ ولايته غرب الأندلس....**»[5]

وقد إعتبر الأندلسيون مدينة بجاية نقطة عبور نحو تونس،وبلاد المشرق بالإضافة إلى كون بجاية مركز إشعاع حضاري،وقاعدة للحكم فترة الحماديين، والموحدين والحفصيين.

وكان أفراد الجالية الأندلسية يطمحون إلى الوصول إلى مناصب قيادية بحيث دخلوا في اتصالات مع بلاطات المغرب العربي إما عن طريق الوسائط أو بصفة مباشرة، وتتميز هذه المرحلة

---

(1) مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، وكانت في الأصل ميناءا بحريا قديما يدعى: صلداي، يرد عليه البحارة منذ عهد الفينقيين، وعندما أسسها الناصر سماها الناصرية، ولكن الناس غلبوا عليها إسم أبقايث، البربري، الذي كان إسما لإحدى القبائل الأمازيغية القاطنة هناك حسب رواية ابن خلدون وماتزال هذه التسمية حتى اليوم، أنظر: التمكروتي: مصدر سابق، ص42.

(2) حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص ص12، 13.

(3) أبو زكرياء يحي بن محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص ملوك الدولة الحفصية، بويع له بعد وفاة أبيه سنة 675هـ. وثار عمه إبراهيم بن يحي، فخلع نفسه سنة 678هـ ثم إعتقله عمه وذبحه مع بنيه، وهو معروف بعد ذلك بالمخلوع، أنظر: التمكروتي: مصدر سابق، ص151.

(4) من أهم المدن الأندلسية تقع جنوب غرب إسبانيا تتصل بالمحيط الأطلنطي إلى نهر الوادي الكبير ،إتخذها الرومان عاصمة لمقاطعة بيتيكا وبنو بجوارها مدينة إتاليكا وأصبحت من أهم المدن أيام الوندالين، والقوط الغربيين ،أنظر :محمود محمد محفوظ واخرون :**الموسوعة العربية الميسرة** ،ط1،دار الجيل ،المجلد 1،بيروت 2001م،ص225.

(5) محمد رزوق: مرجع سابق، ص ص 30، 31.

بالاضطرابات السياسية، فكان لزاما على أمراء المنطقة الاسترشاد بذوي الرأي والمشورة، و لم يستغن حكام المغرب عن المشورة الأندلسية، لما عرفت به من نفاذ البصيرة في شؤون الحكم والسياسة.

أما تلمسان، فقد أصبحت أيضا مقصدا للمهاجرين الأندلسيين إثر إنقسام دولة الموحدين،وانكماش دولة بني الأحمر بغرناطة، وقد اتبع الملوك الزيانيون سياسة حسن الجوار إزاء حكام الأندلس ليتصدوا للأطماع الحفصية، والغارات المرينية، وبتروح الأندلسيين إلى تلمسان أضحت معهدا للتدريس، حيث توافدت إليها شخصيات أدبية،وعلمية منها: محمد بن أبي يوسف الثغري، والشاعر محمد بن علي ابن قاسم المرسي، وأبو عبد الله محمد بن جابر الواد آشي[1] الذي برع في النسخ.

بالإضافة إلى ذلك هناك العديد من العائلات الأندلسية التي استقرت بتلمسان والتي اشتهرت في الشؤون المالية في الدولة الزيانية، عائلة بني ملاح القرطبيين الذين استقروا بتلمسان، وقد اتخذهم بني زيان أمناء على بيت المال وفوضوا إليهم ضرب السكة من الدنانير، ودراهم، وهناك العديد من الأسر التي استقرت هي الأخرى،ومن بينها عائلة الآبلي، والتي استخدمها السلطان الزياني يغمراسن [2] في جيشه إلى جانب شخصيات علمية،ودينية مثل الشيخ شعيب بن الحسن الإشبيلي المعروف بأبي مدين [3]، وتتجلى صورة التأثير الأندلسي نتيجة لاستقبال الإمارة الزيانية لجاليات أندلسية أكثر من المرحلة السابقة بفعل سقوط عدد من الثغور الأندلسية، واكتظاظ الساحتين المغربية، والتونسية بالأندلسيين، فوجدوا في البحث عن أماكن شاغرة لاستثمار مواهبهم السياسية،والعلمية والاقتصادية في المغرب الأوسط.[4]

وهكذا نلاحظ أنه منذ القرن 12م،وحين كانت الكوارث التي نزلت بالمسلمين في غربي الأندلس سببا في تدفق سيل من المهاجرين نحو مدن المغرب الإسلامي ازدادت حركة للهجرة انتشارا بازدياد تفكك اسبانيا الإسلامية (الأندلس).[5]

---

[1] نسبة إلى وادي آش، وآش مدينة تقع شرق الأندلس.

[2] يغمراسن بن زيان مؤسسة الدولة الزيانية، بويع عام (631هـ/1234م) بتلمسان، وتولى الحكم سنة 633هـ/1236م إلى سنة 681هـ1283م، وتوفي سنة 1283م عن عمر يناهز 81سنة، أنظر: إسماعيل بن الأحمر : **روضة النسرين في دولة بني مرين**، المطبعة الملكية، الرباط 1926م، ص49. ومحمد بن عبد الله التنسي: **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية، 1985، ص125.

[3] سمي بالإشبيلي نسبة إلى إشبيلية، وهو فقيه وشخصية صوفية مشهورة، سكن بجاية، وإستقر بتلمسان، أنظر حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات... مرجع سابق، ص16.

[4] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص17.

[5] ج. س. كولان: مرجع سابق، ص142.

أما بالنسبة **للمرحلة الثانية** للهجرات الأندلسية إلى الجزائر فهي ما بين **(1492– 1609م)**، ويشير في هذا الصدد العديد من المؤرخين على أن هناك أنواع من الهجرات نحو بلدان المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوصا أولا الهجرة الطواعية التي بدأت منذ سقوط غرناطة،وحتى قبلها بسنوات في المدن الأخرى، وأخذت البحر نحو السواحل هذه البلدان، خاصة المغرب الأقصى، باعتباره الأقرب إلى الأندلس [1]، واستنادا على ما ذكره المقري بقوله « **خرجت ألوف بفاس، ألوف أخرى بتلمسان من وهران.....**»[2].

وبعد هذه الهجرات المتتالية للبلدان المغاربية، فهناك من يشير على أن هناك جاليات وصلت أكثر من ذلك، حيث وصلت إلى أمريكا اللاتينية.

ويفصل لنا صاحب كتاب " أخبار العصر في إنقضاء دولة بني نصر" الهجرة التي وقعت على إثر سقوط غرناطة، حيث عبر أهل مالقة إلى تلمسان وأهل الجزيرة الخضراء إلى طنجة، وأهل رندة، وبسيطة إلى تطوان.....إلخ، وهكذا نلاحظ تعدد طرق الهجرة حسب السبل المتاحة.[3]

ويذكر المؤرخون أن مدينة شرشال [4] الجزائرية قد عمرت تماما من طرف الموريسكيين، أما الملك فليب الثاني فقد أخبر سفير فرنسا أنه يوجد بالجزائر 15 ألف ممن يحسنون استعمال الأسلحة الناريةمن بينهم 10 آلاف ممن نزحوا من اسبانيا، وهم خيرةالجنود، والمعروف أن الموريسكيين عمروا السواحل الجزائرية خلال القرن 16م، وتركوا آثارا بارزة في الحياة الاجتماعية والثقافية، والاقتصادية[5]. كما نزح الكثير من المورسكيين إلى المغرب الأقصى، ويذكر في هذا الصدد المقري في كتابه نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: « **ولما استخدم سلطان المغرب الأقصى منهم عسكرا جرارا،وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور الآن.....**».[6]

---

[1] جمال يحياوي: مرجع سابق، ص144.

[2] المقري: مصدر سابق، ص 528.

[3] جمال يحياوي: مرجع سابق، ص 145.

[4] مدينة على الساحل تقع على حوالي مسافة 150 ميل غربي مدينة الجزائر ويكاد سكانها يكونون جملة من لاجيئ الأندلس، وهي صغيرة لكنها متحضرة،أنظر: أبي عبد الله الشريف الادريسي **:القارة الافربقية وجزيرة الاندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق** ،تحقيق وتعليق ،إسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر1983م،ص158. جون .ب. وولف: مرجع سابق، ص30.

[5] جمال يحياوي: مرجع سابق، ص 145.

[6] المقري: مصدر سابق، ص 528.

أما بالنسبة إلى تونس هي الأخرى فقد خرج العديد من المهاجرين الأندلسيين إلى تونس، وعمروا السواحل التونسية،ومازالت آثارهم إلى اليوم في مختلف النواحي الاجتماعية،والثقافية، والاقتصادية، وغيرها.[1]

وفي هذا الإطار فقد ربط الأندلسيون الموريسكيون في هذه المرحلة مصيرهم بالأتراك العثمانيين، وكان لهم دور فعال في تثبيت قواهعد الحكم العثماني بالجزائر، وتمثلت مساعداتهم للعثمانيين من خلال التصدي للحملات الإسبانية المتكررة من جهة والمساهمة في القضاء على تمردات الإمارة المحلية بالجزائر من جهة أخرى.[2]

وقد كان لهذه الانتصارات العثمانية، والأهمية التي أصبحت عليها لإسطنبول عاصمة الخلافة العثمانية، دور في هجرة العديد من سكان الأندلس، والاستقرار بإسطنبول.[3]

وعاصرت مشروعات الدولة العثمانية في البحر المتوسط الغربي، ظهور حركة عامة من رجال البحر، تستهدف العمل على حماية الموانئ، والسواحل من التحرشات الإسبانية،وتأمينوصول المهاجرين الأندلسيين على أكمل وجه، وكان من بين هؤلاء المهاجرين عروج، وأخوه خير الدين بربروس وبعد تأسيس الحكم العثماني بالجزائر سنة 1519م، كأولى قاعدة عثمانية في الصراع الإسباني العثماني بمنطقة الحوض الغربي للمتوسط بدأ النشاط البحري الذي بذله الأخوانبربروسا، جعل الموريسكييينيستنجدونهم وكثيرا ما قام خلفاؤهم أمثال: صالح رايس، وإيدين رايس، وغيرهم بهذه المهمة، وهي مساعدة هؤلاء الموريسكيين.[4]

وضمن هذا الإطار لا يمكننا أن نتجاهل الدور الكبير الذي قام به خير الدين لإنقاذ الآلاف من مسلمي الأندلس إلى السواحل المغربية [5]. فقد كان له الدور الكبير في نقل الألاف من الموريسكيين إلى العدوة الأخرى من البحر المتوسط هروبا من بطش محاكم التفتيش، وإتقاء التنصير القسري حفاظا على دينهم، وحياتهم،وحياة أبنائهم، خاصة بعدما أجاز لهم العلماء الهجرة،والخروج

---

(1) جمال يحياوي: مرجع سابق، ص 146.

(2) حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص18.

(3) جمال يحياوي: مرجع سابق، ص 146.

(4) حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص20.

(5) عبد الجليل التميمي: رسالة من مسلمي .... مرجع سابق، ص37.

من الأندلس مثل: الونشريسي، [1] وفتواه الشهيرة "أسنى المتاجر في من غلب على دينه، و لم يهاجر، بضرورة خروج المسلمين الموريسكيين من أرض الكفار، على خلاف فتوى أحمد بن جمعة المغراوي مفتي وهران الذي أجاز للموريسكيين البقاء في أراضي الأندلس مع تطبيق مبدأ التقية أي الكتمان، والتستر حفاظا على أرواحهم.[2]

وفي ظل هذه الظروف تمكن خير الدين من جعل الجزائر قوة بحرية في المنطقة المتوسطية هزت اسبانيا، وأرعدت أوربا، واستحقت بأن يطلق عليها دار الجهاد أو المدينة المحروسة [3]، حيث كانت معرفة خير الدين بالملف الموريسكي جيدة، الأمر الذي أدى به إلى التفكير في إنشاء دولة قوية،وموحدة بالمغرب الأوسط، والتي انطلاقا منها يكون باستطاعته استرجاع الأندلس مرة أخرى، والعمل على إنقاذ الموريسكيين من سياسة محاكم التفتيش، وما تحتويه من اضطهاد في حقهم [4]، وفي هذا الجانب يشير الدكتور عبد الجليل التميمي أن خير الدين خلال سبع رحلات إلى السواحل الإسبانية أن ينقل 70 ألف موريسكي سنة 1529م[5]، و لم يكن هو الوحيد الذي ساعد الموريسكيين على الهجرة نحو الجزائر فهناك كمال رايس، وبيري رايس اللذان شاركا عام 1505م في ترحيل العديد من المسلمين من سواحل الأندلس نحو سواحل شمال إفريقيا، وإسطنبول تحت رعايةالسلطان العثماني [6]، ثم توالى بعد ذلك العديد من قادة الأسطول البارتين في إطار البحرية الجزائرية في انقاذ الجاليةالأندلسية.

---

[1] هو أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد الونشريسي التلمساني من الفقهاء المالكية البارزين في المغرب الإسلامي، ولد بجبل ونشريس بغرب الجزائر سنة 834هـ/1430م، ونشأ بمدينة تلمسان في ظل الدولة الزيانية وتوفي في عام 914هـ/1508م، أنظر: كمال أبو مصطفى: **جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي** ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1997م، ص65، وأنظر: عمار جحيدر: مرجع سابق، ص162.

[2] جمال يحياوي: مرجع سابق، ص147.

[3] وقد وصفها الأسير سيمون بفايفر بأنها مدينة تقع فوق جبل، وتمتد منه منحدرة إلى الميناء، بحيث ان المياه تلمس الصفوف السفلى من المنازل، وتنتصب الدور العالية ذات السقوف المسطحة إلى جانب بعضها بعض، وتخلع على المدينة من جانب البحر منظرا بديعا ساحرا... وتوجد أمام المدينة قلاع، وحاميات رهيبة تحيط بالميناء كله، ويقع الميناء الذي ترسو به السفن القراصنة خلف القلعة، وأقيم فوقها عدد كبير من المدافع الثقيلة ...أنظر: سيمون بفايفر: **مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر**، تعريب: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974/، ص ص 13، 14.

[4] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص21.

[5] عبد الجليل التميمي: رسالة من مسلمي .... مرجع سابق، ص38.

[6] جمال يحياوي: مرجع سابق، ص148.

فالقرن 16م قد شهد عدة رحلات، وهجرات منتظمة نحو سواحل الشمال الإفريقي، ففي سنة 1570م حملت السفن جميع الموريسكيين في باليرا،وعام 1548م، حمل الأسطول الجزائري حوالي 2300 موريسكي وعام 1585م نفس العدد رحل،وبين سنتي (1528- 1584م)تم إحصاء حوالي 33 غارة بحرية، وإذا كان عدد المهاجرين في كل غارة 2000 فإننا نحصل على أكثر من 60 ألف في المجموع، في حين برز العديد من الموريسكيين في هذه المرحلة كرياس بحر يشرفون على هذه الرحلات،ومن بينهم الريس أحمد أبو علي، ومراد الكبير، وغيرهم.[1]

وفي نطاق هذه الجهود التي كان يقوم بها البحارة الجزائريون من أتراك وسكان السواحل من أجل مساعدة إخوانهم الأندلسيين [2] كانت الجزائر والمدن المجاورة كالبليدة، والقليعة، وشرشال، والمدية، وملیانة، ودلس، وتنس، وبرشك، وجيجل، وعنابة، وأرزيو، ومستغانم.... وغيرها [3] وقد امتلأت بهؤلاء الوافدين الجدد، وعليه فإن سكان مدينة الجزائر أصبحوا بالفعل يتشكلون من أغلبية أندلسية[4]، وانتشر قسم كبير منهم حول هذه المدن وكذلك في سهول متيجة، ووهران، واستطاعت الجالية الأندلسية تأسيس مراكز ساحلية، وتعزيز خطوطها الدفاعية بمزغران، وشرشال، كما ساهم موريسكيو غرناطة، ومرسية في بناء، وتعمير المرسى الكبير، وجعلوا منه قاعدة بحرية.[5]

بالإضافة إلى مساهمة الأندلسيين في توسيع عمران مدينتي هنين [6]، ومستغانم، ونظرا للضغط السكاني المتزايد على مدينة الجزائر فكر حكامها في تخصيص أماكن أخرى لإقامة المهاجرين الأندلسيين. ويلاحظ خلال هذه المرحلة أن المناطق الساحلية الغربية من الجزائر كانت أكثر حظا في استعاب هؤلاء المهاجرين من السواحل الشرقية،والذي يمكن أن يفسر ذلك هو القرب الجغرافي بين

---

[1] جمال يحياوي: مرجع سابق، ص149.

[2] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص24.

[3] ناصر الدين سعيدوني: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة** المؤسسة الوطنية للكتاب، ، الجزائر 1988م، ج2،ص44.

[4] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص24.

[5] ناصر الدين سعيدوني: دراسات ... مرجع سابق، ص44.

[6] يصفها الرحالة التمكروتي بأنها بلدة نضيرة لا كبيرة، ولا صغيرة، جميلة المنظر موضوعة أسفل جبلين بين بحر وشجر يخفضها إرتفاع قلعة، واد صنعة، وأسواق موقورة، ومساجد معمورة، ولقربها من الأندلس هي مذكورة، أنظر: التمكروتي: مصدر سابق، ص168.

اسبانيا من جهة، والعلاقات الأندلسية الزيانية من جهة أخرى. [1] لأن جزءاً كبيرا من الشرق الجزائري ،قسنطينة، وعنابة، وبجاية[2]، وبسكرة، وتقرت كانت تحت نفوذ الحفصيين، في حين كان الوسط الجزائري منطقة عازلة بين الحفصيين، والزيانيين، مما أهله لأن يكون منطقة صراع دائم بين القوتين، خاصة بعد ظهور إمارات محلية صغيرة[3] ويشير في هذا الصدد حسن الوزان قائلا: «...**وقد استقر الملك في بني زيان ثلاثمئة سنة غير أنهم اضطهدوا من قبل ملوك فاس الذين احتلوا مملكة تلمسان نحو عشرات مرات.... وكان مصير ملوك بني زيان حينئذ إما القتل أو الأسر أو الفرار إلى المغارات عند جيرانهم الأعراب،وتعرضوا أحيانا أخرى إلى الطرد من قبل ملوك تونس**[4]....الخ.

وعلى غرار هذا يشير مارمول كربخال مايلي « **وكان للمهاجرين في شرشال حوالي 5000 مسكن، والذين يكون نواتهم كل من الثغريين**[5] **والمدجنيينMudejares، والأندلسيين،وكذلكمدينة القل ذات الطابع الموريسكي الأصلي، والتي استقر بها ما بين (1546– 1567م) حوالي 300 عائلة من أصل مدجن، وثغري، وفدوا عليها من إقليم قشتالة، والأندلس،وبلنسية، في حين تشير بعض الدراسات على أن مجموعة هامة من الموريسكيين بعد خروجها من الأندلس، لجأت إلى سواحل خليج أرزيو قرب منطقة المقطع، وهذا سنة 1492م، واستقبلهم أهالي المنطقة بحفاوة.**[6]

أما مدينة الجزائر قاعدة الحكم العثماني عرفت هجرة مكثفة من طرف الموريسكيين الذين وصل عددهم مع مطلع القرن 17م إلى أكثر من 25 ألف موريسكي، وباستقرار الحكم العثماني بالجزائر تزايد نشاط الجهاد البحري في الحوض المتوسطي مما أدى إلى تكثيف للهجرات الأندلسية.[7]

---

[1] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص32.

[2] إقليم بجاية كان موضوع نزاع مستمر يتبع تارة سلطة ملك تونس، وتارة أخرى سلطة ملك تلمسان إلى أن إستولى على عاصمتها الكونت بيدرو نافاروا باسم إسبانيا وفرناند سنة 1509م، أنظر: حسن الوزان: مصدر سابق، ص31.

[3] كانت هذه الإمارت أحيانا تبقى محايدة وأحيانا تتبع الأقوى.

[4] محمد رزوق: مرجع سابق، ص50.

[5] لقب موريسكيو مدينة الجزائر في العهد العثماني بالثغريين والثغر هو الحدود.

[6] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص23.

[7] نفسه: ص 25.

وفي هذا الإطار لا يمكن إغفال الدور الهام عند تعرضنا للمرحلة الثانية من الهجرة الأندلسية إلى إيالة الجزائر دون الحديث عن مبادرة الإخوة بربروسا كما أشرنا سابقا، حيث عملوا جميعا في استغاثة هؤلاء الموريسكيين، والعمل على استقرارهم بمختلف المناطق الجزائرية، وتكشف لنا رسالة السيد أقيلا D.Juan Aguilla الى حاكم بلنسية في 23 أفريل 1541م، عن خروج أفواج هامة، ومتواصلة من موريسكي بلنسية نحو الجزائر، عقب فشل حملة شارل الخامس على مدينة الجزائر عام 1541م.[1]

وإلى جانب مدينة الجزائر فقد استقر الأندلسيون في المدن المجاورة للجزائر ووجد هؤلاء المهاجرون في الجزائر أرضا تشبه أرضهم، وأهلا كأهلهم، فاستوطنوا، وساهموا في الحياة الاجتماعية، بإدخال عنصرين رئيسيين: الأول تمثل في الكفاح ضد الإسبان في البر، والثغور دفاعا عن النفس، ومحاولة لاسترجاع ممتلكاتهم،والثانينشر أنماط الحضارة الأندلسية في الجزائر.[2]

ويرجع الفضل في هذه الهجرات إلى توسيع النسيج الحضري لمدينة الجزائر قاعدة الحكم العثماني، حيث أصبح لها مركزان رئيسيان يسكنها الأندلسيون في دلس شرقا، وشرشال غربا.

ولم يتمركز الموريسكيون في مدينة الجزائر فحسب فقد تمكن رضوان باشا (1607– 1610م) من إرسال مجموعة من لاجئ الأندلس داخل البلاد للالتحاق بالمجموعات السابقة التي كانت تعيش بالبليدة،والمدية، وملیانة، وبجاية، وقسنطينة[3] كما أشرنا سابقا.

وأصبحت الجالية الأندلسية هي الأخرى أقلية لها شأنها بين سكان المغرب العربي عامة، والجزائر خاصة.[4]

وعند استقرار هذه الأخيرة في مواطنها الجديدة بالأرض الجزائرية عرفت صعوبات جمة، وأخطارا عديدة ناتجة عن تهديد الإسبان للمدن الساحلية، وتصرفات الحكام، وعداء البدو بالجهات الداخلية، واختلاف البيئة، وأسلوب العيش، ومستوى الحضارة، وهذا ما دفع بغالبية الأندلسيين إلى التكتل، والبقاء لفترة طويلة منعزلين عن بقية الطوائف.[5]

---

[1] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص27.

[2] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998م، ج1،ص142.

[3] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص32.

[4] ج. س. كولان: مرجع سابق، ص142.

[5] ناصر الدين سعيدوني: أوراق ... مرجع سابق، ص44.

أما بالنسبة للعائلات الأندلسية العريقة التي اكتسبت في مواطنها الجديدة بالأراضي الجزائرية النفوذ بفعل تعاملها مع الحكام الأتراك، وتحصلت على ثروات ضخمة بممارسة التجارة والصناعة، وشراء الأراضي، وتولى العديد من أفرادها المناصب الإدارية على المحتاجين من أبناء جلدتها، وذلك حتى تبقى على نفوذها في أوساط الأندلسيين، وتظهر نفسها للحكام. على أنها الحليف الطبيعي لهم في صراعهم مع الإسبان،وفي سعيهم لفرض سلطتهم على البلاد.[1]

وهكذا حل القرن 17م، وجاء معه بتطورات جديدة، و لم يمض الوقت طويل حتى طرد العرب الإسبانيين جملة واحدة[2] مما اضطرهم إلى الهجرة إلى سواحل المغرب فرارا بدينهم،ونجاة بأنفسهم في سنة (1048ه- 1609م)[3]، ويقال « **أن أعدادا كبيرة انطلقت من الموانئ التي أقلعوا منها إلى فاس، وتلمسان، ولكن نسبة كبيرة منهم تعرضت للموت أو للسلب أو النهب بأيدي القبائل العربية، ونجح كثير من الآخرين في الانضمام إلى مواطنهم في الجزائر.... فكان المهاجرون يتدفقون عليها زرافات....**»[4].

وبعد توافد الهجرات، ونظرا للتزايد السكاني على مدينة الجزائر العثمانية، فكر حكامها في تخصيص أماكن إقامة هؤلاء المهاجرين من أرض الأندلس، حيث كان لخير الدين السابقة في ذلك، إذ يرجع له الفضل في تأسيس مدينة البليدة عاصمة المتيجة، حيث خصص جزء من سهولها لأفراد الجالية الأندلسية بغرض الاستطان، وشيد بها مسجدا جامعا سنة 1535م، وسارع الناس في بناء المنازل على الطراز الأندلسي.[5]

وبصورة عامة تمكن خير الدين من حمل المئات من الأندلسيين،والعمل على استقرارهم في المناطق الساحلية، وحتى الداخلية كالبليدة وغيرها.

وهكذا نلاحظ أن استقرار الأندلسيين في المرحلة الثانية من الهجرة لم يقتصر على مناطق معينة، بل شمل عدة جهات، وخاصة المراكز الساحلية ويمكن حصر هذه المناطق في ثلاث أقاليم:

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: أوراق ... مرجع سابق، ص ص45، 46.

[2] ج. س. كولان: مرجع سابق، ص142.

[3] عمار جحيدر: مرجع سابق، ص19.

[4] ج. س. كولان: مرجع سابق، ص143.

[5] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص32.

1 المغرب الجزائري: شمل وهران ونواحيها، ومستغانم، وأرزيو، ونواحيها، وتلمسان، وقلعة بني راشد، ومازونة.

2 الوسط الجزائري: شمل الجزائر (دار السلطان)[1]، البليدة، القليعة، مليانة، شرشال، المدية، وسهول متيجة.

3 الشرق الجزائري: شمل بجاية، جيجل، عنابة، وقسنطينة..

أما بالنسبة **للمرحلة الأخيرة من الهجرة فهي تمتد (1609– 1614م)**:

والتي بدورها بدأت بعد صدور قرار الطرد النهائي (1016هـ/ 1609م)[2]، ونفي مسلمي بلنسية تم ترحيل 28 ألف موريسكي، نحو ميناء دانية Denia و ألفا آخرين إلى ميناء بلنسية،وقد حملتهم السفن الإسبانية على نفقتها الخاصة إلى مدينة وهران بينما اعتمد المهاجرون الآخرون على أنفسهم، وعلى استئجار السفن، والإبحار صوب السواحل الجزائرية.[3]

وعرفت مدينة الجزائر في هذه الأثناء، وخلال هذه المرحلة هجرة مكثفة من الموريسكيين الذين بلغ حوالي عددهم في مطلع القرن موريسكي، وقد توسعت مناطق تمركزهم، واستقرارهم لتشمل مناطق طول الساحل الجزائري.

وإلى جانب هذا تمكنت أفراج أخرى من الموريسكيين من الالتحاق بمدينة الجزائر، وفحصها عن طريق فرنسا عبر مرسيليا، وليفورنة، إلا أن حدث اغتيال الملك الفرنسي هنري الرابع عام ، وموقف اسبانيا من الحكومة الفرنسية جعلا العديد منالموريسكيين يتعرضون إلى المضايقات وسوء المعاملة، ليس فقط من طرف بعض حكام المقاطعات الجنوبية الفرنسية بل التعدي عليهم،ونهبهم من قبل ربان السفن الذين تعهدوا بنقلهم.[4]

وفي عقب هذه الأحداث لجأت السلطات الإسبانية إلى نقل الموريسكيين إلى السواحل الغربية من إيالة الجزائر، وخاصة وهران،والمرسى الكبير، وأرزيو، ومستغانم بحيث اشغلت اسبانيا فرصة استلائها على كل من وهران، والمرسى الكبير، لترسيب الآلاف من الموريسكيين نحو هذه المناطق

---

[1] دار السلطان تمتد من دلس شرقا إلى شرشال غربا، ومن ساحل البحر المتوسط شمالا إلى سفوح الأطلس البليدي جنوبا، وتضم إقليمي الساحل ومتيجة، وبعض الإمتدادات في بلاد القبائل والتيطري، أنظر: حنفي: مرجع سابق، ص34.

[2] ناصر الدين سعيدوني: أوراق ... مرجع سابق، ص44.

[3] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص34.

[4] نفسه: ص ص 34، 35.

وعلى ضوء هذا فإن بعد صدور قرار الطرد النهائي استعان الملك الإسباني فليب الثالث ببعض الدول الأوربية قصد إنجاح عمليات ترحيل الموريسكيين خارج اسبانيا، ومن بين الدول التي شاركت في العملية البرتغال، وبعض الإمارات الإيطالية، ومالطة[1]

وأثناء انتقال المهاجرين الأندلسيين من وهران إلى المناطق المجاورة تعرض لهم الأعراب في الطريق، ونهبوا أموالهم، حيث تذكر بعض المصادر أن بعض القبائل الوهرانية كانت تقوم بأعمال وحشية ضد المهاجرين الأندلسيين، فتشق البطون آملة أن تجد فيها المجوهرات، وتعمل على تجريدهم من أملاكهم، وقد سار على هذا النهج المؤرخ أبو راس الناصري في كتابه "عجائب الأبصار" في حديثه عن المهاجرين بعهد سقوط غرناطة، وما ارتكبته قبيلة هبرة بميناء أرزيو من تعذيب، وتقتيل، مما دفع بالشيخ محمد أقدار التوجيني الذي استنهض الشيخ أحميدة العبد، وحثه على أن يغزو بعشائر سويد قبيلة هبرة.[2]

ويشير في هذا الصدد المقري من خلال كتابه نفح الطيب حيث يقول :«... **فتسلط عليهم الأعراب، ومن لا يخشى الله تعالى في الطرقات....**».[3]

وفي هذا الإطار يمكن رسم صورة لابأس بها للأندلسيين الذين استقروا في تونس في القرن 17م لقد كانت حالتهم تختلف إلى حد ما عن حالة أسلافهم في القرن 13م الذين اشتهروا بالدور السياسي العظيم الذي قاموا به في الدولة الحفصية.

أما بالنسبة للمغرب فإن الكثير مما يمكن أن يكونوا قد أسهموا به في المغرب قد ضاع، وفي مراكش مثلا، كان السعديون ينشدون غالبا للاستفادة منهم كقوة عسكرية، وبالنسبة للباقين يتم اشغالهم بالقرصنة، وتجارة الرقيق، كل هذه الأوضاع أدت إلى تدهور حالة الأندلسيين هناك.[4]

وقد كتب المؤرخ الإنجليزي شارل لي (Lea) حول هذا الموضوع: «... **لم يكن مسلموا تطوان متسامحين، وقد أضيفت إلى الموريسكيين مأساة جديدة وهذا إلى درجة أن جميعهم لم يكونوا فرحين لعلمهم أن هناك موريسكيين مسيحيين ثابتون في دينهم قد رجموا أو قتلوا، وهذا نتيجة لرفضهم دخول المساجد، وفي البلاد المغاربية، وكقاعدة عامة، كانت آلام المهجرين شنيعة جدا،**

---

[1] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص37.

[2] نفسه: ص40.

[3] أحمد بن محمد المقري التلمساني: مصدر سابق، ص528.

[4] ج. س. كولان: مرجع سابق، ص145.

وعندما نزلوا بوهران سعوا لتبني خطة إنشاء دولة موريسكية ولاشك أن الموريسكيين لم يكونوا يدركون الوضعية العامة، إلى أن عايشوا بأنفسهم كره العرب البدو لهم، وأنهم لا يرغبون الآن إلا في الرجوع إلى اسبانيا ليموتوا مسيحيين....»[1]

وفي هذه المرحلة من مراحل الهجرة إلى الجزائر كان أعداد الموريسكيين الوافدين على إيالة الجزائر كان أقل إذا ما قورن بمثيله في كل من المغرب وتونس، ونرجحه في رأينا إلى تعرض هؤلاء المهاجرين للاعتداء، والنهب والسلب من طرف القبائل المحلية من جهة، وإلى طبيعة الحكم العثماني بالجزائر من جهة أخرى.[2]

كل هذه الظروف التي عاشها الموريسكيون الأندلسيون أثناء هجرتهم نحو إيالة الجزائر، قد دفعت بالعديد منهم إلى العودة إلى اسبانيا، وإعلان تبعيتهم لملك اسبانيا، والتظاهر باعتناقهم المسيحية، مثل الجماعة التي عاد بها القبطان باري Barret من وهران إلى اسبانيا على ظهر سفينته، وهذا ما أوحى إلى بعض الكتاب الفرنسيين بالقول بأن أكثر من ثلثي المهاجرين إلى وهران فضلوا العودة إلى الأندلس نظرا لتعرضهم للعديد من المخاطر.[3]

وإلى جانب هذا فإن الهجرة الأندلسية إلى الجزائر قد صاحبها قدوم جماعات كبيرة من اليهود الذين استقروا بالحواضر الكبرى، وأصبحت الجماعة اليهودية ذات الأصل الأندلسي تشكل طبقة اجتماعية ذات تأثير واضح على الحياة الاقتصادية، والاجتماعية.[4]

ويشير جون .ب. وولف « **أن عدد اليهود الذين هاجروا في هذه المرحلة قد بلغ حوالي عشرة آلاف فرد، ثم الثغريون، والأندلسيون الذين جاؤوا في عائلات لاجئة من الأندلس، وهم في العادة يبلغون سبعة آلاف فرد**»[5]

---

[1] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص41.

[2] أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق، ص141.

[3] ناصر الدين سعيدوني: مرجع سابق، ص137.

[4] وقد تمت مطاردة يهود الأندلس حتى سواحل شمال إفريقيا، فقاسى هؤلاء اليهود الويلات من جراء هذه الملاحقة، وذلك من خلال ممارسات محاكم التفتيش الرامية إلى مطاردة اليهود والعمل على تشريدهم، وتجريدهم من وسائل رزقهم، وقد عرفت هاته الطائفة في الأوساط العربية بالميغور شيم، ومعناها الهارب أو المطارد، حيث أطلقت على اليهود الذين فرو من شبه الجزيرة الإيبيرية إلى شمال إفريقيا، أنظر:حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات... مرجع سابق، ص44.

[5] ج. ب. وولف: مرجع سابق، ص 157.

أما اسهاماتهم الحضارية فقد ذكر هايدوا أن حوالي 6000 موريسكي نزح من اسبانيا نحو الجزائر، معظمهم يمتهنون صناعة الجلود، وصنع الأسلحة ويتحولون بسرعة إلى جنود متمرسين للدفاع عن المدينة عند تعرضها للغارات الإسبانية، وتشير مصادر أخرى إلى أن الأندلسيين نزلوا مدينة شرشال، وّأعادوا بناء عدد من دورها، وزرعوا الأراضي بها، ثم صنعوا كثيرا من السفن الملاحية، واشتغلوا بصناعة الحرير بعد حصولهم هناك على أعداد كبيرة من أشجار التوت الأبيض، والأسود [1] والتي بدورها أسهمت إسهاما كبيرا في ثراء المدينة[2]، وهكذا فعاشت الجالية الأندلسية في رخاء حتى أصبح عدد المنازل المقامة في شرشال مائتين، وألف بيت.[3]

أما جون .ب. وولف فيشير « **أنهم كانوا يشتهرون بمهارات مختلفة الأوصاف مثل نسيج الأقمشة الحرير،والصوف،وصنع الأسلحة، وخدمة الجلود، وتجارة المعادن....**».[4]

وعلى غرار هذا فإن المساهمة الأندلسية في مختلف المجالات والأنشطة جعلت منهم نخبة مميزة في نظر السلطات، حيث استفاد الأتراك العثمانيون من خبراتهم، ومهاراتهم في شتى الأمور، وقد أثرت هذه المساهمة في فعاليات التاريخ الجزائري في العهد العثماني، وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى حيوية الأندلسيين، ومما يؤكد ذلك شهادة هايدو على نشاطهم الجهادي، والعسكري، ومساهمتهم الفعالة في تدعيم إيالة الجزائر.[5] ،والكثير من الكتاب يسرون على أن هؤلاء المهاجرين قد أغنوا مدينة الجزائر كثيرا بمهاراتهم في جميع الميادين.[6]

خاصة الميدان الإداري، والعسكري الذي أسهموا من خلاله في تثبيت قواعد الحكم العثماني بالجزائر، فقد مدوا العون للأخوان عروج، وخير الدين بربروس في صراعهما مع الإسبان من جهة، ووقفوا بجانبها في محاربة بقايا الإدارة الحفصية، وناصروها ضد الزعماء المحليين من جهة أخرى مثل: سالم تومي شيخ مدينة الجزائر، وأحمد بن القاضي أمير كوكو.[7]

---

[1] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص ص 50، 51.

[2] ج. ب. وولف: مرجع سابق، ص 143.

[3] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص 51.

[4] ج. ب. وولف: مرجع سابق، ص 166.

[5] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص 51.

[6] ج. ب. وولف: مرجع سابق، ص 151.

[7] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص 51.

وإلى هذا فقد قدمت الجالية الأندلسية خدمات إدارية أخرى لصالح العثمانيين، فقد اشتهر الأندلسيون بتحصيل الضرائب، وجمع موارد الخزينة العامة، والقيام بتسجيلها، وفقا لتعليمات الإدارة مع بقية عناصر مجتمع الإيالة، وبفضل خبرتهم المالية مارسوا أعمال القرصنة والنخاسة،ومبادلة الأسرى، والمشاركة الفعالة في تمويل مشاريع القرصنة.[1]

وفي هذا الإطار تشير كورين شوفالييه على أنهم إضافة إلى هذه الإسهامات جلبوا معهم من بلادهم تقاليدهم الفنية، والحرفية، حيث أنهم يصنعون الأسلحة، والبارود، ويعملون بالتجارة،ةوالنحت، يتقنون البناء، والخياطة، وصناعة الأحذية، ولهم مميزات مشتركة، وهي أنهم يكرهون المسيحيين ولن يصفحوا عنهم أبدا لأنهم أضاعوا بلادهم، وعندما توفرت لديهم الإمكانيات جهزوا سفنا صغيرة بالسلاح كي يبعثوها للقرصنة حتى تحل محل سفنهم التي مازالت موجودة في اسبانيا، ويقومون بإلقاء القبض على سفن،وعبيد مسيحيين، كلما سمحت لهم الفرصة رغبة في الإنتقام.[2] في حين فقد عمل الموريسكيون على تنشيط حركة الجهاد البحري، والهجوم المتواصل ضد السواحل الإسبانية بواسطة الأسطول البحري الجزائري لمعرفتهم الجيدة للغة الإسبانية، وللأماكن الجغرافية، والطرق البحرية، وترجع المساهمة الأندلسية في ميدان الجهاد البحري إلى مجالات تجهيز السفن والمعدات، وهذا من أجل إنقاذ من بقي من المسلمين في الأندلس.[3]

وقد أسهم الأندلسيون إلى جانب البحرية الجزائرية في الهجوم ببراعة على السواحل الشرقية الإسبانية، وتمكنوا من صنع سفن شراعية، وفرقاطات من الخشب بشرشال، وكانوا يفضلون النزول ليلا إلى سواحل اسبانيا، وهذه إحدى الحيل التي استعملها الأندلسيون في حركتهم الجهادية. وفي هذا الجانب لا يمكن أن ننسى الدور الذي لعبه الأندلسيون في التصدي إلى حملة شارلوكان 1541م إلى جانب حسن آغا [4] خليفة خير الدين، بقوات شكلها تشكلت 800 جندي من الأتراك، والقبائل المحلية، وحوالي 5000 أندلسي.

---

[1] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص53.

[2] كورين شوفالييه: مرجع سابق، ص ص16، 17.

[3] حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص ص52، 53.

[4] تعاقب على حكم الجزائر بعد خير الدين ’بنه حسن باشا الذي تولى هذا المنصب ثلاث مرات بين (1545–1567م)، الولاية الأولى كانت(1545–1552م)، والولاية الثانية (1557-1561 م)، والولاية الثالثة (1565–1567 م)، سخر مختلف جهوده للتصدي للعدو، كما راح يشجع الجهاد البحري، فصنع إحدى وثلاثين سفينة من نوع الغليوطة للإغارة على السواحل الإسبانية=

وهكذا ساهم الأندلسيون في تقوية الجيش العثماني بإيالة الجزائر بفضل خبراتهم كمقاتلين محترفين،وكان لهم نشاط بحري واسع في مدينة الجزائر كما برعوا في تجارة الأسرى، والغنائم من طرف الرياس الذين برعوا في هذا المجال.[1]

ومما سبق أن العنصر الأندلسي بإيالة الجزائر قد ساهم في العديد من المجالات خاصة المجال العسكري البحري الذي كان له تأثير واضح خلال القرنين 16 و17م،ـــ وعليه فإن معظم المهاجرين الأندلسيين، وقع اختيارهم لمدينة الجزائر كملجأ، ومن الحكم العثماني نفوذا مجددا، ومناسبا لآلامهم، ولهذا ربطوا مصيرهم بالأتراك العثمانيين.

= وكانت خطة حسن آغا في التصدي للعدو إستراتيجية تمثلت أولا في ضرب العدو في عقر داره، وهو ما تجلى في شنه لحملات عديدة ضد السواحل الإسبانية، وثانيا في تعزيز تحصينات المدينة لمواجهة أي هجوم، أنظر: حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات ... مرجع سابق، ص 54.، وأنظر: عائشة غطاس: الدولة الجزائرية... مرجع سابق، ص27.

[1] محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، ص 387.

وخلاصة القول أنه بسقوط غرناطة التي كانت تشكل آخر معلم إسلامي بالأندلس سنة 1492م، وهجرة العديد من المسلمين منها الذين أصبح يطلق عليهم مصطلح الموريسكيين، ذلك اللفظ الذي شمل بقايا المسلمين الذين مكثوا بشبه جزيرة إيبيريا لإعتناقهم للدين المسيحي، وللقضاء نهائيا على شوكة المسلمين باسبانيا.

وبهذا الحدث بدأت سياسة الإنتقام تجتث من طريقها كل ما هو إسلامي، وبدأ الملوك الكاثوليك بالتراجع عن وعودهما، وذلك بخرق معاهدة غرناطة،و بدأت تتبلور ما يعرف بدواوين محاكم التفتيش، وتجسدت القضية الموريسكية.

فما حدث للمسلمين من جراء محاكم التفتيش، وسياسة الانتقام، والتعذيب الوحشي، أدى بالموريسكيين إلى التفكير في اتباع أسلوب أنجع إتقاء شر هذه الدواوين للحفاظ على عقيدتهم فكانت آخر الحلول لهم هو الإعتماد على مبدأ التقية أو ما يعرف بالتستر، والكتمان بسبب التعذيب، والبطش والتنكيل، ومصادرة الأموال، ومنع التكلم باللغة العربية، على مدى ثلاثة قرون متواصلة من طرف الملوك الكاثوليك بتأييد من الكنيسة الكاثوليكية لمحو المسلمين من الوجود، فبعدما كان للموريسكيين أسلوب خاص لمواجهة المد المسيحي، والذي بدوره يرتكز أساسا على مبدأ التقية، وذلك من خلال أنهم كانوا يعبدون دينين، دين للنصارى جهرا، ودين للمسلمين من خفاء من الناس، فالموريسكيون لجأوا إلى تقية حفظا لدينهم، وعقيدتهم، فلم يبقى لهم سوى إخفاء معتقداتهم أمام أعين الكنيسة الكاثوليكية، حيث بقوا محافظين على دينهم حتى تم طردهم نهائيا من اسبانيا ومما يلاحظ أنه بعد الاضطهاد، والتنصير القسري للمسلمين، والذي بقي متواصلا طيلة مئة وعشرين سنة لم يترك النصارى الكاثوليك صنفا من أصناف العذاب، والنهب، وحرق لأرواح الموريسكيين، حيث لم يبق أحد في الأندلس، وخاصة بعد صدور قرار الطرد النهائي عام 1610م، ذلك المرسوم الذي أدى بهجرة الآلاف من الموريسكيين الأندلسيين نحو شمال إفريقيا خاصة الجزائر، وقد كان لهؤلاء المهاجرين تأثيرات في مختلف الجوانب خاصة الجانب العسكري بعدما اعتبروا إيالة الجزائر للعثمانية كملجأ والحكم العثماني نفوذا.

الفصل الرابع:

جهود الأتراك العثمانيين في إنقاذ مسلمي الأندلس

أولا– جهود عروج وخير الدين.

ثانيا– جهود حسن بن خير الدين وصالح رايس

ثالثا– جهود العلج علي.

إتخذت الدولة العثمانية الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الإسلام، الركيزة الأساسية لوجودهم، والمنطلق الأول في بناء دولتهم، فأقاموا دولتهم على الدعامات التشريعية الإسلامية، وعاشوا ضمن النظم الاجتماعية الإسلامية، واقتبسوا نظم الحضارة الإسلامية، فهم بذلك قدموا خدمة كبرى للإسلام، وبذلوا ما في وسعهم لنشر لوائه، واستطاعوا أن يدافعوا عن المسلمين، وعقيدتهم أكثر من ثلاثة قرون.

وللحفاظ على الإسلام، والمسلمين، استمرت الدولة العثمانية على مرّ الزمن جزاء سياستها الحكيمة من تثبيت أقدامها في غرب البحر المتوسط، ومن تلك السياسات التي اتبعتها الدولة العثمانية هي نقل المهاجرين من مناطق شبه جزيرة إيبيريا وتوطينهم المناطق المفتوحة من العالم الإسلامي، هروبا من محاكم دواوين التفتيش، والتنصير القسري.

ولما بلغت البحرية العثمانية أوج عظمتها ببروز قيادة ذات كفاءة بحرية أمثال: كمال رايس، عروج، وخير الدين، وحسن بن خير الدين، وصالح رايس، والعلج علي، استطاع العثمانيون بذل الجهود لإنقاذ مسلمي الأندلس بعد تركيز دعاماتهم في الحوض الغربي للمتوسط، إلا أن الدولة العثمانية في هذه الأثناء قد واجهتها العديد من الصعوبات جراء ذلك هل استطاعت الدولة العثمانية من تنفيذ مخططاتها لاسترداد الأندلس ؟

وعلى ضوء هذا ما هو دورالبحرية الجزائرية في إنقاذ مسلمي الأندلس ؟ وما هي الصعوبات التي اعترضت الدولة العثمانية في استرداد الأندلس؟

1 -جهود عروج وخير الدين:

يعود استنجاد مسلمي الأندلس بالدولة الإسلامية قبل سقوط غرناطة عام (898هـ /1492م)، فقد إستنجد ملوك غرناطة في منتصف سنة 1477م ،عن طريق إرسال سفارة إلى إسطنبول ملفتين بذلك نظر السلطان العثماني محمد الفاتح [1]، إلى حالة المسلمين بالأندلس طالبين تدخله لإنقاذهم، وكذلك إرسال سفارة إلى سلطان مصر الملك أشرف برسباي في أواخر القرن (15ه/09م)، مستنجدة إياه في التدخل لإنقاذهم من الملوك النصارى، وقد بعث الملك الأشرف بوفود إلى البابا، والملوك النصارى يذكرهم بأن النصارى الذين هم تحت حمايته يتمتعون بكل الحريات، في حين أن أبناء دينه في مدن إسبانيا يعانون أشد أنواع الظلم [2]، إلا أن الأندلسين قد ألحوا عليه بنجدتهم مرة ثانية . فقام بنجدتهم، لكن النجدة وصلت متأخرة بعد أن سيطرت مملكتا قشتالة، والأراغون على معظم المدن الأندلسية، وإزاء هذه الأخطار المحدقة بالأندلس حاولت القوى الإسلامية أنذاك والمتمثلة في العثمانيين، والمماليك أن تتحد في وجه تلك الأخطار، فأنهوا خلافاتهما التي استمرت خلال السنوات (1485-1492م)، فعقد السلطان المملوكي قايتباي (1468-1496م) اتفاقية صلح عام 1491م مع السلطان بايزيد الثاني (1481-1512م)،على إنقاذ الأندلس، حيث يقضي الإتفاق بأن ترسل الدولة العثمانية أسطولا إلى غرب البحر المتوسط لمنازلة الإسبان هناك، بينما يبعث المماليك جيشا بحريا عبر المغرب العربي. [3]

وفي هذه الأثناء إتصل أحد الموريسكيين بالسلطان بايزيد الثاني يصور له فيها مأساة المسلمين، ويستنجده لنصرتهم، وإنقاذهم[4] من تعسف ديوان التحقيق، وقد ورد في الرسالة ما يلي:

فلما دخلنا تحت عقد زمامهم بأن غدرهم فينا بنقض العزيمة

وخان عهودا كان قد غرنا بها ونصرنا كرها بعنف وسطوة

---

[1] ولد هذا السلطان في سنة 833هـ/1431م، وتولى سنة 855هـ الموافق لـ1451م بالغا من العمر 22 سنة، ومدة سلطته 31سنة، وهو سابع السلاطين العثمانيين، توفي في يوم 4ربيع الأول سنة 886هـ/3 ماي سنة 1481م، عن عمر يناهز 53 سنة، أنظر: فريدربك المحامي: مرجع سابق، ص ص160، 176،و إبراهيم بك حليم: مرجع سابق، ص65.

[2] عبد الجليل التميمي: رسالة من مسلمي غرناطة... مرجع سابق، ص38.

[3] نسبية عبد العزيز الحاج علاوي ورابحة محمد خيضر: "**موقف الدولة العثمانية من محنة مسلمي الأندلس**"، **في مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية**، المجلد7، العدد3، فلسطين 2012م، ص1.

[4] عبد الجليل التميمي: رسالة من مسلمي غرناطة ...مرجع سابق، ص38.

وكل كتاب كان في أمر ديننا ففي النار ألقوه بهزء وحقرة
ولم يتركوا فيها كتابا لمسلم ولا مصحفا يخلى به للقراءة
ومن صام أوصلى ويعلم حاله ففي النار يلقوه على كل حالة[1]

أمّا المغرب الأقصى فكان هو الآخر قد تلقى نجدة الموريسكيين غير أن الأوضاع الداخلية التي كان عليها المغرب، وخضوع بني وطاس لإسبانيا وتزايد النفوذ الإسباني والبرتغالي على السواحل الغربية قد حال دون أي مساعدة.[2]

وإلى جانب هذا كانت الدولة العثمانية قد أرسلت منذ عام 873هـ/1468م مساعدات للأسطول الذي كان يقوده كمال رايس[3] الذي كان يقود حركة الجهاد في البحر المتوسط ضد الإسبان، وانجاد مسلمي الأندلس، وهي المرة الأولى التي تتواجد فيها قوة بحرية عثمانية في غرب المتوسط، قام كمال رايس بشن غارات على كل من صقلية، وسردينيا، وكورسيكا، وجزر الباليار، وتوغل في المياه الإسبانية، وقصف الموانئ التابعة للملكة الأراغون، وإستولى على ميناء مالقة الذي كان الإسبان قد سيطروا عليه حديثا، وإستمر كمال رايس بعملياته العسكرية ضد الإسبان حتى وفاته عام 1511م، إثر عودته من إحدى حملاته على إسبانيا، إذ غرقت سفينته بالقرب من قاعدة غاليبولي.[4]

أمّا المماليك فقد إكتفوا باتباع الطرق الدبلوماسية، فأرسلوا سفرائهم، وملوك إسبانيا يطالبونهم بالكف عن الإعتداء على مسلمي الأندلس، وإلا ستقوم مصر بالتعامل بالمثل مع رعايا

---

[1] شهاب الدين أحمد المقري: **أزهار رياض في أخبار القاضي عياض** ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج 1، ص ص 111، 112، نقلا عن محمد سي يوسف: **قليج علي باشا ودوره في البحرية العثمانية** ، رسالة ماجستير،تحت إشراف أبو القاسم سعد الله، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 1988م، ص94.

[2] عبد الجليل التميمي: رسالة من مسلمي... مرجع سابق، ص38.

[3] هو أحمد بن علي، أحد أشهر الأميرالات الدولة العثمانية، ولد في قاليبولي، يعتبر مؤسس المدرسة البحرية العثمانية، وكان له دور في إدخال وتطوير المدافع القاذفة إلى البحرية العثمانية، ساهم في نجدة مسلمي الأندلس وتوفي في البحر عام 1511م، أنظر: جمال يحياوي: مرجع سابق، ص148.

[4] تقع على ضفة مضيف الدردنيل الذي يربط بحر مرمرة بالبحار الأوربية، للإطلاع أكثر، أنظر: محمود السيد دغيم: مرجع سابق، ص50.

الدولة من النصارى، إلا أن ذلك لم يلق صدى، ولا سيما أن الدولة المملوكية إنشغلت بمشاكلها الداخلية عن هذا الأمر.[1]

وعلى الرغم من كل الجهود إلا أن أهل غرناطة بعثوا يستنجدون السلطان العثماني، فعزم على إرسال عمارة لإنقاذهم فبلغه خبر غرناطة، وأنها أخذت في تلك الأيام، وإحتوى عليها أعداء الدين عام 1492م[2]، وبدأت عمليات التنكيل بالمسلمين، والتنصير القسري لهم، وسلبم ممتلكاتهم، وموورست بحقهم كل أنواع القهر، والتعذيب، والقمع، والطرد، وأجبر الكثير منهم على إعتناق النصرانية فضلا عن مغادرة أعداد كبيرة منهم الأندلس طلبا للنجاة، و لم يكتفوا بذلك بل لاحقوا المسلمين في عقر دارهم، ولا سيما سواحل المغرب العربي[3]، فظهر على اثر ذلك حركة عامة من رجال البحر تستهدف العمل على حماية الموانيء، والسواحل من التحرشات الإسبانية، وتأمين وصول المهاجرين الأندلسين على أكمل وجه، وكان من بين هؤلاء المجاهدين عروج وأخوه خير الدين[4]، وفي هذه الأثناء كانت الدولة العثمانية تقدم لهما المساعدات قبل أن ينضوي خير الدين تحت لواء البحر المتوسط تمهيدا للمشروع المهم، وهو الثأر للأندلس، وإستردادها من الإسبان.[5]

وعندما ذاع صيت خير الدين كتب أهل الأندلس كتابا إلى خير الدين يعلمونه فيه بما وقع من النصارى من هذه المحن ويضرعون إليه في إنقاذهم لما هم فيه، فوصل إليه كتابهم، فامتعض من أجلهم، ودخلته حمية الإسلام، والغيرة للدين المحمدي، فعند ذلك حضر ستة وثلاثين جفنا، فلما رآهم الأندلسيين خرجوا إلى ذلك الجبل المتقدم، فتجرد في طلبهم التستري [6]، فلما وصلوا إلى الجبل، نزل أهل الأجفان من المسلمين عليهم، فأخذ الكفار في الفرار وتبعهم المسلمين في الأثر حتى أبعدوا عن مكانهم، ثم إنهم رجعوا، ولما رأى أهل الجبل من الأندلس ما منح الله عسكر خير الدين من النصر نزلوا إليهم من الجبل، وسلموا عليهم، وإستبشروا بقدومهم، وذهبوا إلى مدينتهم، ثم ركبوا الأجفان حيث كان عددهم كبير ورجعوا إلى الجزائر[7].

---

(1) نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي وآخرون: مرجع سابق، ص2.

(2) إبن أبي الدينار: مصدر سابق، ص168.

(3) نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي وآخرون: مرجع سابق، ص3.

(4) اسمه الأصلي خضر في حين يرد في مصادر أخرى باسم خسرف، وأبدله الأندلسيين باسم خير الدين،وأطلق عليه بربروسا.

(5) عزيز سامح ألتر: مرجع سابق، ص59.

(6) جمال قنان: **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1600-1830م)**، دار الهومة، الجزائر 1987م، ص50.

(7) نفسه: ص 51، 52.

وضمن هذا الإطار لا يمكننا أن نتجاهل الدور الكبير الذي قام به خير الدين لإنقاذ الآلاف من مسلمي الأندلس، ونقلهم إلى السواحل المغربية فقد لعب دوراً متميزاً في نقل العديد من هؤلاء الموريسكيين[1] إلى العدوة الأخرى من البحر المتوسط هروبا من بطش زبانية محاكم التفتيش، وإتقاء للتنصير القسري، وحفاظا على دينهم وحياتهم وحياة أبنائهم.[2]

وعقب هذا كلف خير الدين كل من الرايس إيدين [3] نظرا لشجاعته ودعاه قائلاً: « **ولدي إيدين... في هذه السنة سوف تخرج أنت للغزو في غرب البحر المتوسط، عليك أن تمضي إلى أن تتوغل في مضيق سبتة [4]، وفي أثناء عودتك قم بإحتلال سواحل إسبانيا دون أن تدع لهم أية فرصة للنيل منك، ثم أحمل في سفنك من تقدر على حمله من إخواننا المسلمين اللاجئين إلى جبال غرناطة، فات بهم سالمين إلى الجزائر...**»[5]

وبعد هذا بلغ إيدين رايس مضيق جبل طارق، فصادف خمسة قطع بحرية من نوع قادرغة إشتبك مع بحارتها في معركة كبيرة إنتهت باستلائه عليها، ومن جهة أخرى إستمر إيدين رايس في الإغارة على المدن المطلة على الساحل الجنوبي لإسبانيا، وإستمر في أسر العديد من الإسبان، كما كان يحمل كل من يعثر عليه من المسلمين في سفنه.[6]

وإلى جانب إيدين رايس كلف صالح رايس بالإبحار إلى سواحل إسبانيا لتقصي أخبار المسلمين، فوجد ما يقارب عن مائتي عائلة بأموالهم فأنقذها ثم إنطلق في محاولة توحيد المنطقة، بإقامة تحالف مع بقية الإمارات يهدف من ورائه إلى تشتيت القوة الإسبانية، فاتصل بسلطان فاس، يطلب منه دعم جهوده في تحرير الثغور الإسلامية على المحيط الأطلسي، كما أرسل إلى تونس، وتلمسان رسلا تحرضهم على نقض التحالفات، والثورة ضد إسبانيا، غير أن الإسبان كانوا أسرع

---

[1] بعدما أجلى خير الدين الإسبان عن الجزائر، راح يهاجم الشواطيء الإسبانية بدعم من الخلافة العثمانية حتى تمكن من نقل 8000 من مسلمي الأندلس، أنظر: محمود السيد دغيم، مرجع سابق، ص26.

[2] جمال يحياوي: مرجع سابق، ص ص 146، 147.

[3] كليل صالح: مرجع سابق، ص 120.

[4] عرف فيما بعد بمضيق جبل طارق الذي يفصل بين سواحل المغرب وسواحل الأندلس (إسبانيا)، أنظر: خير الدين بربروس: مصدر سابق، ص67.

[5] نفسه: ص ص 138، 139.

[6] نفسه: ص ص 139، 140.

منه من جهة، وعدم تقبل هؤلاء السلاطين لفكرة الثورة على ملك إسبانيا حامي سلطتهم من جهة أخرى، إذ تمكن الإسبان من إزاحة سلطان تلمسان عبد الله حليف خير الدين. [1]

وبفضل جهود إدين رايس، وصالح رايس، والإنتصارات التي حققوها تم أسر 3705 كافر إسباني، كما تم إنقاذ الأسرى المسلمين بعد معركة نشبت بين الإسبان مكلفة من شارلوكان عندما علم بحمل الآلاف من المسلمين في سفن المجاهدين الأتراك. [2]

ومن كل هذا ونظرا للدور الذي لعبه خير الدين في إنقاذ مسلمي الأندلس يذكر لنا المؤرخ كاتب شلبي أن خير الدين تمكن خلال سبع سفرات أن يوجه 36 بارجة، إلى السواحل الإسبانية لنقل 70 ألف موريسكي خلال سنة 1529م[3]، وهذا إن دل فإنما يدل على الدور المتميز الذي قام به خير الدين بربروس في إنقاذ الآلاف من مسلمي الأندلس إلى شمال إفريقيا [4]، في حين فقد ظل خير الدين بربروس يقارع أعداء المسلمين حتى وفاته عام 1547م.

---

[1] كليل صالح: مرجع سابق، ص120.

[2] خير الدين بربروس: مصدر سابق، ص ص140، 141.

[3] عبد الجليل التميمي: رسالة من مسلمي غرناطة.... مرجع سابق، ص40.

[4] نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي وآخرون: مرجع سابق، ص3.

2 -جهود حسن بن خير الدين وصالح رايس:

عقب الجهود التي بذلها خير الدين بربروس لإنقاذ مسلمي الأندلس لم تتوقف أعماله البحرية، إلا أنه ركز جهوده كقائد أعلى للأسطول العثماني في الحوض الشرقي للبحر المتوسط تاركا الحوض الغربي لوالي الجزائر حسن آغا [1] الذي أبلى بلاء حسنا، وإستطاع أن يملأ الفراغ الذي تركه خير الدين في الجزائر بالإضافة إلى الجهاد البحري خاصة ضد شارلوكان، فاكتسبت الجزائر مهابة عظيمة في عهده، حتى إنه عام 1539م، ركب هو ورجاله على ظهر 13 سفينة، وإندفعوا إلى الساحل الإسباني الجنوبي، وتوغلوا فيه وغنموا الكثير من الأسرى، وفي طريق رجوعه إعترضت طريقه عمارة إسبانية، لكنه إستطاع التغلب عليها. [2]

وفي سنة 951هـ/1544م، وبعد تولي حسن بن خير الدين على الجزائر تقريرا للجهود التي بذلها والده، ثم شجاعته، وثقافته الواسعة، الأمر الذي جعل أهل الجزائر يرغبون في تعيينه واليا عليهم، ومن هنا تبدأ الدولة العثمانية بالعمل الجاد على إستعادة الأندلس، بعد أن وطدت وجودها في غرب البحر المتوسط، فعمل حسن بن خير الدين، بعد أن وطد الأمور في الجزائر، ووحد الجيش على الإستعداد لمواجهة الإسبان. [3]

وأول عمل قام به هو حل مشكلة تلمسان، وإنهاء حكم الأسرة الزيانية في تلمسان إذ كان حاكمها أبو زيان أحمد الثاني قد تولى الحكم بدعم من العثمانيين، غير أنه ما لبث أن خضع لمؤامرات خارجية، وإنساق في تيارها، وأخذ يتقرب من الإسبان، ممّا أدى إلى كره الأهالي له، وقرروا خلعه على العرش ومبايعة أحد إخوته الحسن [4]، الذي إعترف بسلطة الدولة العثمانية، وبدأ يعمل على إستعادة المدن الجزائرية التي لازالت تحت نفوذ الإسبان كبجاية، ووهران، ثم التوجه نحو السواحل الإسبانية وتحقيق الهدف الأساسي، وهو إستعادة الأندلس. [5]

---

[1] هو خادم الرايس خير الدين بربروس الذي أسره في إحدى غزواته على سواحل سردينيا، وعند توزيع الغنائم كان الطفل من نصيب خير الدين، قام خير الدين بربروس بتبنيه حيث علمه، وأدبه كأحد أولاده، كان حسن آغا ذكيا، وعاقلا، فلم يقم بعمل إلا وأتمه على أحسن وجه، لهذا عينه خير الدين وكيلا على الجزائر لإعتقاده الأكبر بأنه سيدير البلاد إدارة جيدة، وفعلا لم يخيب رجاءه فيه، فقد كان حسن آغا من خير من تولى إدارة الجزائر، أنظر: أحمد سالم: مرجع سابق، ص154.

[2] نفسه: ص126.

[3] نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي وآخرون: مرجع سابق، ص3.

[4] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص158.

[5] أحمد توفيق المدني: حرب ثلاثمئة.... مرجع سابق، ص331.

إلا أن الدولة العثمانية قامت بدعم السلطان الشريف السعدي الذي إستطاع أن ينهي الحكم الوطاسي، وأصبح الإسبان متخوفين من هجوم عثماني سعدي مشترك، فقاموا بإنهاء إستحكامات مليلة، وفرضت إجراءات أمنية على جبل طارق. [1]

لقد ظهر السعديون [2] أول الأمر كمحررين للمغرب من الوجود المسيحي فأكسبهم ذلك تأييد المسلمين، إذ إعتبروا ذلك نوعا من الجهاد فقدمت الدولة العثمانية مساعدات كبيرة لتحقيق ذلك، ثم عرضت على السعديين مشروع إسترداد الأندلس. [3]

بعد أن هزم حسن بن خير الدين بربروسا السعديين في تلمسان ووطّد دعائم الحكم فيها (859هـ/1551م) [4]، إنتهج سياسة معادية لكافة الدول الأجنبية بما فيها فرنسا التي كانت تربطها بالدولة العثمانية علاقات صداقة، غير أنه لم يلتزم بها، وأظهر العداء لها، فأرسلت سفيرها في إسطنبول إلى الجزائر للوقوف على المدى الذي ستصل إليه سياسة العداء التي إنتهجها حسن بن خير الدين ضد فرنسا فاجتمع السفير به، وعرض عليه تقديم المساعدة العسكرية لتنفيذ مشروع الدولة العثمانية في إسترداد الأندلس[5]، إلا أنه رفض ذلك، وعلى إثر هذا تم عزل حسن بن خير الدين،ويذكر أن عزله بسبب إساءته إلى علاقات حسن الجوار مع المغرب.[6]

بعث السلطان سليمان القانوني برسالة إلى حاكم فاس: «...**ولما بلغ سمعنا الشريف أن أمير الأمراء، بولاية الجزائر سابقا حسن باشا لم يحسن المجاورة مع جيرانه،ومال إلى جانب العنف،والإعتساف، ونبذ وراء ظهره طرق الوفاق،والإئتلاف، وسد باب الإتحاد مع المجاهدين حماة الدين لذلم بدلناه غيره، فأهمنا بولاية الجزائر على مملوك حضرتنا العلية،**

---

[1] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص159.

[2] هم من أسرة عربية الأصل، إنتقلوا من ينبع بالحجاز إلى درعة بجنوب المغرب، إستوطنوا قرية تاكمادرت، وذلك في المائة السادسة من الهجرة، وكان الإعتقاد السائد لدى المغاربة أنهم من الأشراف، لكن خصومهم من بقايا الوطاسيين والمرينيين، وأنصارهم كانوا يطعنون في صحة نسبهم الشريف، وقد ظل السعديون حتى مطلع القرن 10هـ/16م يحيون في المغرب حياة بسيطة دينية وعلمية، و لم يبرزوا على المسرح السياسي إلا حين إشتدت وطأة البرتغاليين على سكان الجنوب الغربي، و لم يتدخل الوطاسيين لحمايتهم، وبعد هذا إلتف حولهم الناس، وبايعتهم القبائل، أنظر: أحمد سالم: مرجع سابق، ص182.

[3] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص160.

[4] نبيل عبد الحي رضوان: مرجع سابق، ص236.

[5] نفسه: ص238.

[6] نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي وآخرون: مرجع سابق، ص3.

وخلاصة خدام أعتابنا الجليلة أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخامة ذي الجلال والإحترام صاحب الفرد الإحتشام المختص بمزيد عناية الملك الأعلى صالح باشا دام إقباله لفرط شهامته،وشجاعته،وكمال دينه...».[1]

بعد عزل حسن بن خير الدين عن بايلرباي الجزائر تم تعيين صالح رايس عام (859هـ/1552م)، وهو من القادة الذين عملوا مع خير الدين بربروسا،فقد أرسل السلطان سليمان القانوني مرسوما بهذا الخصوص إلى الجزائر كما أشرنا سابقا [2]، وكانت سياسة صالح رايس الداخلية تهدف إلى العمل على تحقيق أمرين: أولها تحقيق الوحدة بصفة تامة مطلقة بين كل أجزاء الجزائر، وثانيهما، إدخال بقية أجزاء الصحراء الجزائرية ضمن هذه الوحدة حتى يتفرغ للأندلس، أمّا سياسته الحربية الخارجية فكانت ترمي إلى ثلاثة أهداف: أولها إبعاد الإسبان نهائيا عن أراضي الجزائر، وثانيهما وضع حد للمشاغبات، والمفاجآت التي تقوم بها الدولة المغربية، والسعدية، وثالثها: إعلان نفير الجهاد والعام، والسير إلى بلاد الأندلس.[3]

ابتدأ صالح رايس في مستهل ولايته بتحقيق الوحدة الداخلية، واستطاع أن يخضع الإمارات المستقلة لنفوذ الدولة العثمانية، وأصبح وضع العثمانيين في الجزائر أقوى مما كان عليه، ثم بدأ صالح رايس في مخططه نحو المغرب الأقصى، واستفاد من الظروف التي تمر بها تلك الديار، ووقف مع أفراد أسرة بني وطاس الذي فقد أمله في وقوف الإسبان، والبرتغاليين معه.[4]

وتحركت القوات العثمانية للوقوف مع أبي حسون الوطاسي [5]،وحصلت إصطدامات عسكرية بين قوات محمد الشيخ، والقوات العثمانية قرب بادس [6] أوصخر فاس كما يسميها الإسبان، تولى عليها القائد البحري يحي رايس، وإتخذها العثمانيون فيما بعد قاعدة لشن

---

[1] نبيل عبد الحي رضوان: مرجع سابق، ص239.

[2] نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي وآخرون: مرجع سابق، ص4.

[3] أحمد توفيق المدني: حرب ثلاثمائة...مرجع سابق، ص337، وعيسى الحسن:مرجع سابق، ص165، ونبيل عبد الحي رضوان: مرجع سابق، ص241.

[4] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص165.

[5] هوأحد أفراد الأسرة الوطاسية إبن الحسن بن علي بن محمد الشيخ الوطاسي الملقب بأبي حسون، هرب من مراكش بعد أن إجتاحها السعديين،وذهب يلتمس مساعدة الإسبان،والبرتغاليين لإعادة أسرته إلى الحكم، إلا أنهم خذلوه، فالتجأ إلى العثمانيين، أنظر: الشناوي: مرجع سابق، ص974.

[6] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص165.

هجماتهم على السواحل الإسبانية[1]، إلا أن الهزيمة لحقت بالقوات السعدية، مما أفسح المجال أمام العثمانيين لكي يواصلوا زحفهم نحو الداخل، وقبل أن تنتهي سنة 1553م، سقطت مدينة تازة في يد العثمانيين، الذين إشتبكوا مع السعديين في معارك متواصلة أهمها بكدية المخالي في ساحة فاس، عند ذلك تقدمت القوات العثمانية،ومعها أبو حسون نحو فاس التي دخلها في 8 فيفري 1554م، وأعلن الباب العالي ضم المغرب إلى الدولة العثمانية.

إزداد فزع الإسبان، والبرتغال لرؤية الأساطيل العثمانية، وهي تسيطر على بعض الموانيء المغربية القريبة من مراكز إحتلالهم، والتي سيطر عليها العثمانيون، ومن ثم التوجه للأندلس،وقد جاء في الرسالة التي بعثها الملك البرتغالي(جان الثالث) إلى الإمبراطور شارل الخامس، مايدل على هذا الفزع إذ كتب إليه يحثه على التدخل في المغرب للحيلولة دون توطيد العثمانين لأقدامهم في هذه البلاد، لأن ذلك يشكل خطرا كبيرا على مصالح الأمتين.[2]

مكث صالح رايس بمدينة فاس لم يترك الجهاد ضد الإسبان، فأرسل فرقة من جيشه إلى الريف المغربي، استرجع من الإسبان معقلهم الكبير باديس أو صخرة فالين كما يدعونها، كما حاول صالح رايس أن يستبدل الباش العثماني أبا حسون بالشريف الإدريسي الراشدي مولاي بوبكر، بناءً على إقتراح المرابطين الصوفيين للقيام على حكم فاس، فأدعن بوحسون لشروط العثمانيين بشأن الحفاظ على السيادة العثمانية من حيث الخطبة باسم السلطان العثماني، وإقامة حامية عثمانية في مقر بلاطه.[3]

وعلى غرار هذا فإن صالح رايس لم يكنيهتم قبل كل شيء إلا بمحاربة الإسبان، ولايهدف من وراء أي عمل إلا جمع القوى الإسلامية من أجل تطهير البلاد من التواجد المسيحي، كان يرى قبل كل شيء وجوب طرد الإسبان من وهران، قبل النزول إلى الأندلس، لكن كيف يتسنى له ذلك وسلطان السعديين بالمغرب يترقب به الفرص [4]، وعبد العزيز سلطان قلعة بني عباس ومجانة الذي نشب بينه وبين صالح رايس خلاف حيث كان يرى هذا الأخير أنه من الضروري التوحيد المطلق للبلاد، بينما كان يرى الأول أنه ملك مستقل، وأنه يمد يده للدولة العثمانية

---

(1) محمد خير فارس: مرجع سابق، ص 120.

(2) عيسى الحسن: مرجع سابق، ص165.

(3) أحمد توفيق المدني: حرب ثلاثمئة....مرجع سابق، ص342.

(4) عيسى الحسن: مرجع سابق، ص166.

كحليف، يعينها عندما يرى ذلك، وإنما لا يخضع لها، كل هذه الأمور أدت إلى الخلافات بين الجانبين.[1]

ترامت لصالح رايس يومئذ الأنباء عن ضعف القوى الإسبانيةبمدينة مجانة، علاوة عن معاناة الحامية بالضيق، فرأى صالح رايس أن يغتنم الفرصة، وأن يبدأ بتطهير الشرق من الإسبان قبل أن يطهر الغرب، ولعل إنقاد بجاية سيكون له أثر في عودة ملك بجاية إلى حظيرة الوحدة الإسلامية تحت ضغط السكان.[2]

سار صالح رايس في فيفري 1555م نحو مدينة بجاية على رأس قوة كبيرة بنحو ثلاثين ألف رجل عززهم في الطريق بالمجاهدين في إمارة كوكو، فوطدت الجيوش العثمانية وحاصروا المدينة بينما جاء الأسطول العثماني يحمل الأسلحة والمدافع بجانب الجيش، وقاموا بهجوم على القلعة ودارت معركة عنيفة، ونجح صالح رايس في إنتزاع بجاية من الإسبان في سبتمبر 1555م، و لم يستطع حاكم تابولي نجدة حاكمها في الوقت المناسب، كما إستسلم الحاكم الإسباني للقوات العثمانية.[3]

وفي غضون ذلك إستغل محمد الشيخ السعدي إنشغال صالح رايس في فتح بجاية ليشن حملة لإستعادة ملكه في فاس فشن هجوما عنيفا على خصمه أبي حسون الذي خرج لملاقاته فدارت معركة عنيفة قتل فيها أبي حسون مما سهل على محمد الشيخ السيطرة على فاس من جديد، وبذلك ضاعت على الدولة العثمانية الفرصة في ضم المغرب، وتوحيد الجبهة الإسلامية ضد القوى الصليبية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، كما أن محمد الشيخ ومن أجل حماية وجوده في فاس سعى إلى الإستعانة بالإسبان للعمل معا ضد العثمانيين [4]، وأكثر من ذلك أنه أعلن إثر دخوله فاس بأنه عازم على الذهاب إلى الجزائر لمنازلة العثمانيين هناك، وهذا التنافس السعدي العثماني على شمال إفريقيا، بل وعلى الخلافة الإسلامية كان في صالح الإسبان، والبرتغال[5]، وما عبر عنه الكونت ألكودايت حاكم وهران الذي أرسل رسالة إلى فليب إبن الإمبراطور شارل

---

[1] عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ص242.

[2] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص165.

[3] نفسه: ص166.

[4] نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي وآخرون: مرجع سابق، ص5.

[5] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص167.

الخامس (1519-1556) يعلمه باستعداد محمد الشيخ السعدي للتعاون معهم يقول فيها: «**صفقة ستجر خيرا عظيما على جلالتكم، وعلى المسيحية جميعا...**»[1]

ويتبين من خلال ذلك مدى حقد الشريف السعدي على العثمانيين، الذي لم يتورع في الإستنجاد بالقوى المسيحية في إسبانيا، والبرتغال في تحقيق أهداف شخصية، حتى لو كان على حساب عقيدته الإسلامية، ومصالح المسلمين.[2]

وأمام هذه الأوضاع صمم صالح رايس على طرد الإسبان من وهران، وأرسل إلى السلطان سليمان القانوني يعلمه بهذا الأمر ليتخذ الإجراءات اللازمة، فأرسل له السلطان أسطولا بحريا مؤلفا من أربعين سفينة وستمائة جندي عثماني للإنضمام إلى القوة الجزائرية تحت قيادة صالح رايس التي تقدر بـــ ثلاثين سفية وأربعة آلاف جندي جزائري [3]، بينما في الوقت الذي كان يستعد فيه صالح رايس للزحف نحو وهران عاجلته المنية قبل أن ينجز مشروعه عام 1556م ،فحاول خلفه حسن قورصو أن ينجز المشروع،وقاد ذلك الجيش لوهران، وشرع في حصار المدينة، غير أن أوامر الباب العالي إضطرته إلى رفع الحصار، والإلتحاق بشرق البحر المتوسط لمقاومة هجمات أندري دوريا على الأرخبيل اليوناني، والمضيق.[4]

ومما يلاحظ أن صالح رايس لم يتمكن من تحقيق هدف الدولة العثمانية باستعادة الأندلس، فقد كان يرى أن إقصاء الوجود الأجنبي عن المغرب العربي ثم الوصول إلى أقرب نقطة للوصول إلى الأندلس هي مرحلة أولى في مشروعه لإسترداد الأندلس، إلا أن الوجود السعدي،وتحالفه مع الإسبان، والبرتغاليين وقف عاجزا أمامه.[5]

بعد موت صالح رايس حدثت مشاكل حول مسألة من يتولى منصب بايلرباي الجزائر، فاستغل السعديون الأوضاع، وهاجموا تلمسان، وإستولوا عليها، وكانوا يعدونها نقطة مهمة للحفاظ على وجودهم في المغرب، في الوقت الذي اعتبرها العثمانيون نقطة مهمة للحفاظ على

---

(1) نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي وآخرون: مرجع سابق، ص5.

(2) عيسى الحسن: مرجع سابق، ص168.

(3) محمد خير فارس: مرجع سابق، ص ص42، 43.

(4) يحي بوعزيز: العلاقات الجزائرية ...مرجع سابق، ص50.

(5) نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي وآخرون: مرجع سابق، ص4.

الجزائر من جهة، وقاعدة حصينة للإنطلاق إلى المغرب الذي يعد أقرب نقطة إلى الأندلس ولتهديد الإسبان، والبرتغاليين،وضرب مواصلاتهم في البحر المتوسط.[1]

وأمام هذه الظروف بدأت الدولة العثمانية بتغيير سياستها مع الحكام السعديين، عندما بعث السلطان سليمان القانوني برسالة إلى سلطان الدولة السعدية يهنئه بما أحرزه من إنتصارات، ويعلمه بما كان عليه بنو مريت الهدايا، والودّ، والميل إليه، وأن السلطان في نصرهم، وقد سبق وأن ظهر ذلك في آخر ملوك دولتهم أبي حسون، الذي زوده بأربعة آلاف جندي، كان ذلك في محاولة من السلطان لتكوين إتحاد إسلامي كبير يواجه به الأخطار الخارجية، غير أن ذلك قوبل بالرفض من السلطان السعدي محمد الشيخ، الذي رد على مبعوث السلطان بقوله: « **سلم على أمير القوارب سلطانك، وقل له إن سلطان الغرب لا بد أن ينازعك على محمل مصر، ويكون معك عليه إن شاء الله،ويأتيك إلى مصر، والسلام** ...».[2]

ومما يلاحظ من هذا إستياء محمد الشيخ الذي لم يكن يرى شرعية الخلافة العثمانية، كما أظهر طموح محمد الشيخ الذي كان يحلم بإمامة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.[3]

وعلى غرار هذا قتل محمد الشيخ في عام 1557م من قبل حرسه الخاص، وتطورت الأحداث بالمغرب، وخاصة فيما يتعلق بالدولة السعدية، إذ لم يعد هناك مجال للشك في أن العثمانيين إنما يسعون جادين للإستلاء على المغرب لاعتباره الجزء المتمم للشمال الإفريقي فحسب، بل ولأهميته الإستراتيجية كأقربنقطة إلى بلاد الإسبان والبرتغال.[4]

في هذه الأثناء رأى السلطان العثماني ضرورة إعادة حسن بن خير الدين إلى الجزائر، وذلك بعد مصرع حسن قورصو عام 1557، بعد إنقطاع إستمر لعدة أعوام قضاها في الجهاد في مواطن أخرى، واستبشر الناس برجوعه، وشرع في ترتيب أمور الجزائر، فنظم الإدارة، ورتب الجيش ترتيبا أعانه على ضبطه، وبدأ رحلته الجهادية، ووضع أمامه هدفين عظيمين، تطهير الشمال الإفريقي من الوجود المسيحي، وإسترداد الأندلس لحوزة المسلمين.[5]

---

(1) نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي وآخرون: مرجع سابق، ص5.

(2) محمد علي الصلابي : **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط** ، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة 2005م، ص295.

(3) نفسه: ص 296.

(4) عيسى الحسن: مرجع سابق، ص170.

(5) أحمد توفيق المدني: حرب ثلاثمئة ... مرجع سابق، ص371.

ونظرا للأحداث والثورات الداخلية التي كانت سائدة بالمغرب عقب وفاة محمد الشيخ إستغل حسن بن خير الدين الفرصة لإحتلال البلاد، وقامت معركة بين الطرفين (السعديين وقوات حسن بن خير الدين)، إلا أن هذه المعركة لم تجد نفعا، إلا أن حسن بن خير الدين وصلته أنباء عن تحرك الإسبان من مدينة وهران بما يوشك أن يقطع عنه خط العودة، فذهب الجيش العثماني إلى مرفأ قصاصة في الشمال، فركب سفينة، وعاد للجزائر، بينما ذهب قائد تلمسان إلى حاميته إستعدادا للحوادث المقبلة.[1]

أمّا بالنسبة للإسبان الذين واصلوا زحفهم، فقد قاموا بمهاجمة مستغانم إلا أنهم فشلوا، وقتل حاكم وهران،وبعد هذا الإنتصار على الإسبان دعا حسن بن خير الدين الأساطيل الإسلامية لتخريب سواحل إسبانيا، وقطع طرق مواصلاتهم التجارية فعم الخوف سكان الساحل الإسباني[2] لدرجة أن هؤلاء لم يكونوا يزرعون أراضيهم إلا بكل حذر، وغالبا ما كان العثمانيون يحاصرونهم أثناء عملهم، حتى ان الصيادين لم يكونوا يبتعدون كثيراً عن الشاطيء.[3]

وبعد هذا إستمر حسن بن خير الدين في إستعداداته لمهاجمة المغرب، فشرع في تكوين قوة من رجال القبائل كان ينوي أن يوكل إليها حراسة الجزائر أثناء غيابه لعدم ثقته بالإنكشارية الذين أحسوا بالخطر، فقاموا في صيف عام 1561م باعتقال حسن باشا وأعوانه، وأرسلوه مقيدا إلى إسطنبول، ورافق حسن باشا عدد من زعماء الجند مهمتهم أن يوضحوا للسلطان الأسباب التي دفعتهم إلى هذا التصرف، متهمين حسن باشا أنه كان ينوي القضاء على الأوجاق [4]، والإعتماد على جيش محلي بغرض الإستقلال عن السلطان، لكن السلطان أرسل أحمد باشا مع قوة بحرية لمعاقبة المتمردين، والقضاء على الفوضى، ونجح أحمد باشا في إعتقال زعماء التمرد، وأرسلهم إلى إسطنبول.[5]

أعاد السلطان سليمان القانوني حسن بن خير الدين إلى بيلربك الجزائر للمرة الثالثة في أواخر سنة 1562م، معززا بعشرة سفن حربية، ومزودا بقوة عسكرية مسلحة، قضى بعدها

---

[1] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص171.

[2] أحمد توفيق المدني: حرب ثلاثمائة ... مرجع سابق، ص372.

[3] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص172.

[4] كلمة تركية بمعنى المركز أو المقر، أنظر: فريد بك المحامي: مرجع سابق، ص181.

[5] أحمد توفيق المدني: حرب ثلاثمئة ... مرجع سابق، ص373.

حسن بن خير الدين خمسة أشهر يهيئ العدة، والعتاد لمهاجمة وهران، والمرسى الكبير، وهما كل ما بقي لإسبانيا ببلاد الجزائر [1]، إلا أنه فشل في طرد الإسبان،وفي تلك الأثناء أرادت الدولة العثمانية فتح جزيرة مالطة[2]، وفي هذا الصدد ماهي الأسباب التي أدت إلى حصار مالطة؟ وهل إستطاع العثمانيون فتح جزيرة مالطة؟ وهل كان حصار مالطة عائقا أمام العثمانيين لإسترداد الأندلس؟.

أ –حصار مالطة:

لقد كان فرسان القديس يوحنا من ألد أعداء المسلمين، فقد وهبوا أنفسهم لقتال المسلمين، والتضييق عليهم بشتى الوسائل الممكنة كما فعل معظم الجماعات الدينية الصليبية منذ إطلاق الحملات الصليبية الأولى على المشرق، لذلك كان تمركز فرسان القديس يوحنا في جزيرة رودس، جعلها قلعة حصينة يلجأ إليها اللصوص، وقطاع الطرق، وكل من له مصلحة في مهاجمة المسلمين.[3]

لذلك إهتم السلاطين العثمانيون منذ عهد السلطان محمد الفاتح في الإستلاء على هذه الجزيرة، والتخلص من شرها، وفي هذه الأثناء لم يستطع فتحها سوى السلطان سليمان القانوني عام 1522م، لكنه منح الأمان لفرسان رودس مقابل الإنسحاب، إلا أن هذا كان من الأخطاء التي أدت بعد ذلك إلى تمركزهم من جديد في جزيرة مالطة بعد أن أهداهم إياها الإمبراطور شارل الخامس على أن يكونوا حلفاؤه في حربه ضد المسلمين خاصة في الشمال الإفريقي.[4]

وفي سنة 1535م تنازل الإسبان عن طرابلس لفرسان القديس يوحنا، وواجه الإسبان في طرابلس، كما واجه فرسان القديس يوحنا من بعدهم محاولات عدة من الليبين بغية إسترجاعها،وكان الليبيون يتخذون من تاجوراء الواقعة شرقي طرابلس مراكز هجومية ضد المستعمرين، لكن لم تكن هذه الهجمات مجدية، فقد كان العدو يتحصن في المدينة، ويجد معاونة بحرية من سفنه في البحر المتوسط، الأمر الذي دفع بسكان تاجوراء إلى الاستنجاد بالدولة

---

[1] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص174.

[2] أحمد توفيق المدني: حرب ثلاثمئة ... مرجع سابق، ص379.

[3] أحمد سالم: مرجع سابق، ص140.

[4] نفسه: ص142.

العثمانية، فعين خير الدين بربروسا على إثر ذلك واحد من خيرة رجاله، [1]وهو مراد آغا حاكما على تاجوراء بدلا من خير الدين كرمان الذي قتل في صراع، وكان مراد آغا مقاتلا باسلا، أصله صقلي من رجوسه، وأسره المسلمون فأسلم، ودخل في خدمة خير الدين بربروسا فولاه على تاجوراء، وقد إستطاع هذا الأخير الثبات لهجوم على البلدة قام به الفرسان، وفي سنة 953هـ/1546م توفي خير الدين، وخلفه قائده، ومعاونه درغوث باشا الذي أشتهر بالبسالة الفائقة، والنشاط العظيم في محاربة الإسبان حتى سموه بالشيطان.[2]

وبعد فشل مراد آغا في الإستلاء على طرابلس أرسل السلطان العثماني عام 1551م قوة بحرية أخرى إلى طرابلس على رأسها سنان باشا، ودرغوث باشا، حيث نجحت هذه الأخيرة في فتح ثغرة في تحصينات المدينة، ودخولها، وإنتزاعها من أيدي فرسان القديس يوحنا، وبذلك أصبحت ليبيا ولاية عثمانية.[3]

لكن السلطان العثماني لم يكتف بطرد الفرسان من طرابلس، بل صمم على تشريدهم للمرة الرابعة، ولهذا أمر بتوجيه حملة ضخمة وكلفها بطردهم من جزيرة مالطة، وإقتلاعهم منها، حيث كانت الحملة تضم حوالي 200 سفينة شراعية،وأكثر من 25000 رجل عام 973هـ/1565م[4]، فكلف أمراء طرابلس الغرب، والجزائر بمحاصرة مالطة، وقد لبى هؤلاء الدعوة، وأعدوا ما لديهم من قوة [5]، ويشير في هذا الصدد صاحب كتاب "المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب": «**وأرسل مصطفى باشا إلى مالطة في الأساطيل،ولقبه بسر دار رفقه بياله**

---

[1] هو أول والي تركي في طرابلس الغرب بايعه أهل غريان سنة 952هـ/1545م، أنظر: محمد بن خليل بن غليون الطرابلسي: **تاريخ طرابلس الغرب المسمى بالتذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار**، نشر وتعليق وتصحيح: الطاهر أحمدالزاوي الطرابلسي، المطبعة السلفية ،1349هـ، ص92.

[2] أحمد بن الحسن النائب الأنصاري: **نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان**، تقديم وتعليق: محمد زينهم محمد غرب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ليبيا 1994م، ص42.

[3] محمود علي عامر ومحمد خير فارس: **تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب وليبية)**، منشورات جامعة دمشق، ، سورية 1999- 2000م ، ج2،ص181.

[4] فريد بك المحامي: مرجع سابق، ص249

[5] روبير مانتران: **تاريخ الدولة العثمانية** ، ترجمة: بشير السباعي، ط 1، دار الفكر للدراسات والنشر، ، القاهرة 1993م،ج1، ص207.

باشا[1]، فقدموا مالطة... فخرجت العساكر إلى البر، وأخذوا في عمل الخناق أمام القلعة...».[2]

وفي هذه الأثناء لحق بهم أمراء الشمال الإفريقي درغوث باشا، وحسن باشا والي الجزائر، والعلج علي باشا، وأقاموا عليها الحصار الشديد [3]، إلا أن متانة حصونها،وقوة أسوارها، وشجاعة مقاتليها أدى إلى فشل الأتراك في دخولها [4]، وقد إستمر حصار مالطة أكثر من 3 أشهر من 20 ماي إلى 11 سبتمبر 1565[5]، إلا أن الأسطول العثماني تعرض للدمار عند فشله في الدخول إلى جزيرة مالطة، فتعرض الجنود للغرق، والإبادة، وكان ممن أستشهد من القادة الأتراك في تلك المعركة الريس دغورث مع خيرة أبنائها الشجعان، ونكبت ليبيا بحملة جربة نكبة قلما عرفتها الولاية منذ أقدم عصورها،وعقب مقتل دعورث [6]، وإستشهاده أمر الأسطول بفك الحصار على مالطه.[7]

وهكذا نلاحظ أن هذا الإنتصار الذي حققه الإسبان قد أدى إلى تعزيز معنوياتها، والعمل على زيادة تحصينات قلاعهم في الشمال الإفريقي وزيادةحركتها البحرية،وتركيزها على البحر المتوسط، وبعد حصار مالطة وفشل العثمانيين في فتح مالطه أسندت قيادة الأسطول العثماني لحسن بن خير الدين، فترك الجزائر متوجها إلى إسطنبول سنة 1567م، وتولى منصب بيلربك الجزائر بعدحسن بن خير الدين محمد بن صالح رايس في نفس السنة،وصادف تلك السنة إنتشار الأوبئة،والمجاعة، صاحبها تمرد الجند العثماني، فاضطر لإخماد هاته الفتن، ثم فاجأت محمد صالح رايس ثورة عامل قسنطينة القائد رمضان بن تشولاق، وفي سبتمبر 1567، هاجم الإسبان مدينة

---

(1) هو من قادة البحر وأصله من المجر التي غادرها بعد معركة موهاج سنة 1526م، ثم أسلم وإستلم قيادة الأساطيل العثمانية سنة 1555م ،وتزوج إبنة السلطان سليم الثاني، توفي سنة 987هـ، دفن في جامعه في إسطنبول، أنظر: محمد السيد دغيم: مرجع سابق، ص68.

(2) أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي: **المنهل العذب في تايخ طرابلس الغرب**، مكتبة الفرجاني، ليبيا 1899م، ص210.

(3) أحمد سالم: مرجع سابق، ص141.

(4) محمود علي عامر ومحمد خير فارس: مرجع سابق، ص181.

(5) روبير مانتران: مرجع سابق، ص207.

(6) إشترك درغوث باشا في الكثير من حروب الدولة العثمانية ضد الإسبان، وغيرهم من الأوربيين، وعقب وفاته في حصار مالطة نقل جثمانه إلى طرابلس حيث دفن قرب مسجده سنة1565م، أنظر: شوقي عطاالله الجمل: مرجع سابق، ص129م.

(7) محمود علي عامر ومحمد خير فارس: مرجع سابق، ص181.

الجزائر، إلا أنهم فشلوا، ثم لم تطل ولاية محمد صالح بن رايس، إذ تعين نقله إلى ولاية أخرى في أنحاء الدولة.[1] وفي هذه الأثناء تقرر تعيين العلج علي [2] في 976هـ/1568م على الجزائر، وعرف عنه عزمه في تسيير الإدارة، والبطولة الحربية، والشجاعة، وعلى ضوء هذا ما هو الدور الذي لعبه العلج علي في إنقاذمسلمي الأندلس؟

[1] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص176.

[2] ولد العلج علي في كالابريا، وأسر في إحدى غزوات خير الدين باشا بجنوب إيطاليا، وكان أثناء ذلك لا يزال قويا، ولدى إقتسام الغنائم كان من حصة الرايس علي أحمد، وقد إعتنى به عناية خاصة، كان منذ طفولته مولعا بالبحار، وحب المغامرات بعد إسلامه أطلق عليه أولوج أو العلج علي، وخلال فترة وجيزة إرتقى مناصب رفيعة، وعلت مكانته، عمل لدى حسن باشا وقد كان من أشجع وأصدق قباطنته، وقد عين أميرا على مدينة تلمسان، وقاد عدة حروب ضد الإسبان، توفي عام 1587م أنظر: عزيز سامح ألتر: مرجع سابق، وعبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ص924.

3 -جهود العلج علي: (975-995هـ/1568-1587م):

هو واحد من الأعلاج الذين إستطاعوا بعد إسلامهم أن يرتقوا إلى أعلى المراتب في الدولة العثمانية بفضل نشاطهم، عين بايلربايا على الجزائر سنة 975هـ/مارس 1568م، خلفا لمحمد بن صالح رايس، كان همه الوحيد هو توسيع نفوذ الجزائر، والدولة العثمانية في الحوض العربي للمتوسط، فسعى إلى ضم تونس، ومساعدة الأندلس.[1]

إتسمت سياسة العلج علي بالحزم في إدارة البلاد، فضلا عن خبرته الواسعة في مجال العمل البحري، والتي إستثمرها في تحقيق غايته المتمثلة في تحرير المغرب العربي من بقايا الإسبان، ثم العمل على مشروع إستعادة الأندلس، ولتحقيق هذه الغاية، وجه إهتمامه إلى تجهيز أسطول قوي والذي أصبح مبعث قلق للأوربيين، فبدأ بتنظيم أمور الولاية الداخلية، ثم صمم على إعادة الحكم العثماني إلى تونس.[2]

وفي ذلك الوقت عانى المسلمون في الأندلس من أساليب الضغط، والتصفية، التي مارسها ضدهم الإسبان لعدة أسباب أهمها أن المجتمع الموريسكي المسلم يشكل وحدة إجتماعية متماسكة، كانت مسيطرة تماما على الاقتصاد بفضل نشاطها، وذكائها، وخبرتها، وهذا ما أثار عليها الطبقات الصناعية والمالية الجديدة، يضاف إلى هذا العامل الديني الحضاري الذي عمق الخلافات وجعل التعايش بين الفريقين مستحيلا.[3]

وعلى إثر هذا إزدادت الإجراءات التعسفية ضد المسلمين في الأندلس منذ أوائل القرن 16م، خاصة لكل ما يتصل بالإجراءات التجريدية الكاملة عن الهوية، والقومية، والدين، وعلى ضوء ذلك إستحال على الموريسكيين السكوت، وهذا ما يبرر إنتفاضاتهم الإقليمية المتكررة.[4]

في هذه الأثناء تقدم العلج علي بجيش نحو تونس، وبعد قتال عنيف إستطاع أن يهزم السلطان الحفصي أبا العباس أحمد الذي إلتجأ إلى الإسبان في منطقة حلق الوادي،ودخل العلج علي تونس، وأخذ البيعة للسلطان سليم الثاني، ورتب حامية لحماية البلاد تحت رعاية أحدقواده خشية عودة الإسبان مرة أخرى بعد مغادرته، ثم توجه بعد ذلك إلى منطقة حلق الوادي لتطهيرها

---

[1] عمار بن خروف: مرجع سابق، ص107.

[2] نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي وآخرون: مرجع سابق، ص6.

[3] أحمد سالم: مرجع سابق، ص143.

[4] نفسه: ص141.

من الإسبان، وقد أرسلت الدولة العثمانية المدد لهم لتطهير المنطقة، فكان لابد من تأمين ظهر القوات العثمانية ليتسنى لها التقدم للأندلس بعد أن أضعفت بسبب التواجد الإسباني في المغرب العربي.[1]

وقد تزامن هذا الوضع بانشغال بقايا مسلمي الأندلس بالإستعداد للثورة ولا سيما أن الأوضاع في إسبانيا كانت مؤهلة لمثل هذا الأمر، فقد كانت إسبانيا تعاني من أوضاع اقتصادية، وإدارية متردية جراء التدهور الداخلي في البلاد، والحروب الخارجية التي أنهكتها، والتي قادت السلطات الإسبانية تحت حكم ملكها فليب الثاني (1556-1598م) إلى موجة من الظلم والعنف تجاه بقايا المسلمين، إذحرمت عليهم [2] التحدث باللغة العربية، والإتصال بالمسلمين في الشمال الإفريقي، وفي بعض أقاليم إسبانيا، كما حرموا على النساء الخروج إلى الشوارع متحجبات، وقفل أبواب دورهم، وإقامة الحفلات حسب تقاليدهم.[3]

وأما هذا الظروف كان من الطبيعي أن يلتجيء الموريسكيون إلى الثورات، والانتفاضات في أغلب المدن التي بها أقلية إسلامية، وخاصة في غرناطة، وبلنسية، وقد أقمعت تلك الثورات بدون رحمة، ولا شفقة وإتخذت وسيلة لتعميق الكره، والحقد على هذه الطائفة، فهذا ما حتم على الموريسكيين أن يلتجوؤا إلى الملوك المسلمين، في المشرق، والمغرب لإستنجادهم للعمل على إنقاذهم مما يعانونه.[4]

كل هذه الأمور أدت إلى عزم أهل غرناطة على إشعال فتيل الثورة، ووضع حد لهذه المأساة، ولعل ماشجعهم على ذلك هو الدعم من طرف العلج علي حاكم الجزائر لهم في خضم التحضير للثورة بإرسال مجموعات من المتطوعين للإشتراك معهم في الثورة التي عرفت بثورة البشارات[5]، وهي تعتبر الثورة التي إمتد لهيبها ليشمل مناطق كثيرة من بلاد إسبانيا.[6]

---

[1] عزيز سامح ألتر:مرجع سابق، ص ص 85، 86.

[2] نسيبة عبد العزيز علاوي وآخرون:مرجع سابق، ص7.

[3] أحمد توفيق المدني:حرب ثلاثمئة... مرجع سابق، ص392.

[4] عبد الجليل التميمي: أول رسالة من مسلمي.... مرجع سابق، ص38.

[5] Moulay Belhamissi : op.cit, p87.

[6] محمد سي يوسف: مرجع سابق، ص94.

طلب العلج علي من الأندلسيين توحيد جهودهم والعمل يدا واحدة ضد الإسبان، وبغية تشتيت جهود الإسبان، وإرباك قوتهم، قرر مهاجمة وهران ثم من بعدها يتحرك إلى السواحل الإسبانية، وبالفعل أرسل جيشا يتألف من أربعة آلاف جندي مسلحين بالبنادق، وستين ألف جندي محلي مع أعداد كبيرة من المدفعية، والبارود، كما أمر أربعين قادرغة بالرسو أمام السواحل الإسبانية بالقرب من المرية، وكلفها بحماية الثوار،ومساعدتهم.[1]

كان من المقرر أن تقدم الثورة يوم الخميس المقدس الموافق لـــ 15 أفريل 1568م، إذ ينشغل النصارى يومئذ باحتفالهم، وصلواتهم، وكان من المقرر أيضا أن يتزعمها أحد الصباغين، وهو المسمى فرج بن فرج، إلا أن المشروع إكتشفته السلطات الإسبانية [2]، وتنبهوا إلى ما عزم عليه العلج علي، والأندلسيون، ولذلك تأخر إندلاع ثورتهم قليلا.[3]

كما أن السلطان السعدي الغالب بالله [4] بذل الوعود المعسولة لرسل الثوار البشارات، ووعدهم بالنصر، وتقديم كل ما يحتاجونه من عتاد وسلاح، ورجال، لكنه بقي محافظا على روابطه الودية مع فليب الثاني، عمل على خذلان أهل الأندلس، الأمر الذي أدى إلى فشل الثورة منذ بدايتها على غرار دولة الجزائر.[5]

وفي هذا الإطار طلب السلطان العثماني عن طريق بعض عملائه من الملك الفرنسي أن يسمح له باستعمال ميناء طولون، لأنه لا يوجد في شمال إفريقيا ميناء يسمح لقوة بحرية عثمانية كبيرة باستعماله، ولكن ميناء طولون سيكون مناسبا لمثل هذه القوة، لكن هذه الفكرة لم تحقق، لذا لم تنتظر الدولة العثمانية رد الملك الفرنسي مع العلم أن هذا الملك كان يرحب دائما بأي عمل مشترك ضد الدولة الإسبانية في هذا الوقت رغم إمضاء معاهدة كاتو كامبريس [6] الذي عقد عام 1559م، وسوى الخلاف بين فرنسا، وإسبانيا.[7]

---

[1] عزيز سامح التر: مرجع سابق، ص226.

[2] محمد سي يوسف: مرجع سابق، ص97.

[3] عمار بن خروف: مرجع سابق،ص109.

[4] هو عبد الله بن محمد الشيخ الذي ولد عام 933هـــ/1527م، في منطقة ترودانت في المغرب، وكان حافظا للقرآن منذ صباه فضلا عن دراسته لبعض العلوم الأخرى، كان مستقيما في سلوكه عادلا في حكمه، أنظر: إبراهيم حركات: مرجع سابق، ص253.

[5] عيسى الحسن: مرجع سابق، س178.

[6] نفسه: ص178.

[7] أحمد سالم: مرجع سابق، ص137.

كاتب العلج علي إسطنبول طالبا منها الإذن بمساعدة الثوار في الأندلس وقد حصل منها على الموافقة.

إختار المسلمون فصل الشتاء هذه المرة لإعلان الثورة لطول الليل الذي يسمح لهم بالتنقل تحت جناح الظلام، والإقتراب من المدن دون إكتشافهم من طرف الإسبان، وقد حددوا عيد الفصح من سنة 1568م يوم إطلاق الثورة، لأن في هذا اليوم سيكون المسيحيون مجتمعون إمّا في الكنائس أو في بيوتهم بدون سلاح.[1]

وفي هذه المرة أختير زعيم آخر للثورة ينحدر من بني أمية ويدعى فرناندو دي فالور "Fernando de Valor" وكان يبلغ من العمر 20 سنة، وكان قبل إنضمامه إلى الثورة مستشارا في بلدية غرناطة، وكانت قوة الثوار تكون من عشرين ألف رجل مسلح كما أن هناك مائة ألف رجل آخر قادرين على حمل السلاح، وكانوا قدإستلموا بعض الأسلحة من الجزائر.[2]

وقد قام العلج علي في يناير سنة 1569م بإرسال أسطول الجزائر لتأييد الثائرين في محاولتهم الأولى، وحاول إنزال الجند العثماني في الأماكن المتفق عليها، لكن الإسبان كانوا قد عرفوا ذلك بعد إكتشاف المخطط فصدوا العلج علي عند النزول، وكانت الثورة في عنفوانها، وزوابع الشتاء قوية في البحر، فالأسطول الجزائري ظل يقاوم الأعاصير من أجل الوصول إلى أماكن أخرى من الساحل، إلا أن قوة الزوابع أغرقت 32 فينة جزائرية تحمل الرجال والسلاح.[3]، وفي ديسمبر 1569م، تمكنت سفينتان جزائريتان من إنزال الذخيرة والأسلحة للثوار، إلا أن إنشغالهما بالإستعداد لصد حملة صليبية كبيرة أعدها الإسبان، والبنادقة، والبابا، قد حرم الأندلسيين من دعم هام، و لم يفقد هؤلاءالأمل في هذا الدعم.[4]

وبعد أن إشتعلت الثورة بعث مسؤولها الذي تسمى بإسم محمد بن أمية، بعث أخاه عبد الله إلى القسطنطينية يطلب العون من جديد، ومر عبد الله بالجزائر حيث إستقبله العلج علي بحفاوة، وقدم له بعض الهدايا، ثم أرسله إلى إسطنبول، وأعطاه رسالة توصية للسلطان العثماني.[5]

---

[1] محمد سي يوسف: مرجع سابق، ص98.

[2] نفسه: ص99.

[3] عيسى الحسن: مرجع سابق، س179.

[4] عمار بن خروف: مرجع سابق،ص 108.

[5] محمد سي يوسف: مرجع سابق، ص99.

إستمر العلج علي في إمداد مسلمي الأندلس الذين إستمروا بثورتهم حتى عام 1570م، على الرغم من الفشل الذي لحق بها، وتمكن العلج علي من إنزال آلاف مجاهد من رماة البنادق مع كمية كبيرة من الذخائر وبعض من قادة المجاهدين العثمانيين، للعمل في مراكز قيادة جهاد مسلمي الأندلس.[1]

ثم صدرت الأوامر مرة أخرى إلى العلج علي في 977هـ/1571م بإرسال المساعدات إلى الأندلس: «**عليك بالتنفيذ بما جاء في هذا الحكم حال وصوله، وأن تعاون أهل الإسلام المذكورين، بكل ما يتيسرتقديمه لهم، وأن الغفلة عن الكفار تصيب الدمار، وهي غير جائرة...**»[2]

في هذه الأثناء كانت إسبانيا المسيحية تعيش في حالة خوف كبير من تدخل الدولة العثمانية في الأندلس، وقد سمعت بالفعل بأن المشروع قد طرح للنقاش في إسطنبول، وتخوفت كثيراً من خطر الإسلام، سواء قبل عام 1568 أو بعده.

إن تخوفات إسبانيا في محلها، فالجزائر كانت قد قررت مساعدة المسلمين بدافع الحماس الديني لنجدة إخوانهم بما يملكون من الوسائل، وقد حمسهم خاصة المهاجرون الأندلسيون الذين كانوا يعيشون بينهم، وهؤلاء كانوا شديدي الحقد على الإسبان.[3]

وتشير بعض المصادر أن السلطان العثماني [4] بعث إلى الأندلسيين في مارس 1569م برسالة يطلب منهم عدم التراخي مع الإسبانيين وهي كالتالي: «...**إننا نتوخى من خلال حميتكم الإسلامية المتأصلة في جليتكم عدم التراخي عن إظهار غيرتكم على الدين المتين، فالتظهروا أنواع أقدامكم، وأصناف إهتمامكم في الحرب، والقتال ضد الكفار... ولا تتوانوا عن أعلامنا باستمرار عن أحوال، وأوضاع تلك الديار...**»[5]

---

(1) أحمد توفيق المدني:حرب ثلاثمائة... مرجع سابق، ص393.

(2) نفسه: ص353.

(3) محمد سي يوسف: مرجع سابق، ص100.

(4) هو السلطان سليم الثاني ولد في 06 رجب سنة 930هـ/10 ماي 1533م، تولى الملك بعد موت أبيه، ووصل إلى القسطنطينية في 09 ربيع الأول سنة 974ه،/ 23 ديسمبر1566م،توفي في 27 شعبان سنة 982هـ/1574م،عن عمر يناهز52سنة،ومدةحكمه 8سنوات، أنظر: فريد بك المحامي: مرجع سابقص ص253، 258.

(5) كارديك لوي: مرجع سابق، ص ص60، 61.

وفي نفس الوقت كان قد أرسل رسالة أخرى إلى بايلربك الجزائر الذي بدوره بعث أسطولا لمساندة المسلمين في الأندلس، وصمم على إرسال مدد جديد لمسلمي الأندلس، إلا أن هذا الأخير كان يرغب في الذهاب بنفسه ليتولى قيادة الجهاد هناك، لكن ما شاع عن تجمع الأسطول الصليبي للقيام بمعركة حاسمة مع المسلمين، وأمر السلطات العثمانية له بالإستعداد للمشاركة في هذه المعركة جعله مضطرا للبقاء في الجزائر إستعدادا للحوادث المقبلة.[1]

كان المسلمون في غرناطة يأملون كثيراً في إسترداد بلادهم، ويوضحون ذلك لمحاكم التفتيش «...**لقد كانوا مسلمين، وذكرت كتبهم، وقصصهم أن هذه الأرض (إسبانيا) سوف تفتح من جديد، وأن عرب المغرب سوف يفتحونها، أن ساعة النجاة قريبة، وسوف تأتي من شمال إفريقيا، وبجاية، ووهران، وسبتة سوف تفتح أولاً ثم بعد ذلك سيتم من جديد غزو إسبانيا منتهجين نهج طارق، وأنه في مضيق جبل طارق سيظهر جسر، وبواسطته يجتاز العرب، ويتمكنون من غزو إسبانيا**».[2]

وأمام تنبؤ المسلمين في البشارات، والرفع من معنوياتهم أرسلت الحكومة الإسبانية لمواجهة هذه الثورة الدون خوان النمساوي أخ فليب الثاني [3]، الأمر الذي أدى بالعلج علي إلى التخلي عن فكرة قيادة الأسطول شخصيا عندما علم أن الدون خوان النمساوي قد كلف بالقضاء على الثورة بواسطة جيش، وتعزيزات ضخمة وضعت تحت تصرفه، ويبدو أنه علم كذلك بالأهداف البعيدة لهذه الإستعدادات، وفهم أن القضاء على الثورة لم يكن الهدف الوحيد، وإنما هناك أهداف أخرى في الجهة الشرقية من البحر الأبيض المتوسط لذلك تراجع العلج علي عن التوجه إلى الأندلس، وفضل إغتنام فرصة إنشغال إسبانيا بمشاكلها الداخلية، وقرر الإستلاء على تونس، ويبدو أن السلطان سليم كذلك كان يريد تقسيم قوات إسبانيا، وجعلها تحارب على جهتين، وقد إتضح ذلك في الهجوم على قبرص في الوقت الذي كانت ثورة الأندلس لم تضع أوزارها بعد، وقد وعد الثوار بأنه بمجرد الإستلاء على قبرص، سيوجه أسطوله إلى الأندلس.[4]

---

[1] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص179.

[2] كارديك لوي: مرجع سابق، ص ص61، 62.

[3] نبيل عبد الحي رضوان: المرجع السابق، ص342.

[4] محمد سي يوسف: مرجع سابق، ص ص 102، 103.

وفي غمرة الثورة الأندلسية أتهم زعيم الثورة محمد ابن أمية بالتقاعس عن الجهاد، وهاجمه المتآمرون، وقتل في مترله، وأختير مولاي عبد الله بن محمد بن عبو بدلا منه، وبعث العلج علي تعزيزات له، ونجح الزعيم الجديد في حملاته الأولى ضد النصارى الإسبان.[1]

إنزعجت الحكومة الإسبانية لهذه التطورات، فبعد أن عينت دون خوان النمساوي على قيادة الأسطول الإسباني، فباشر هذا الأخير بقمع الثورة في سنواتها (1569-1570م) وأتى من الفظائع ما بخلت بأمثاله كتب الوقائع، فذبح النساء، والأطفال، أمام عينيه، وأحرقت المساكن، ودمرت البلاد، وكان شعاره "لا هوادة" وإنتهى الأمر بإذعان مسلمي الأندلس، لكنه إذعان مؤقت، إذ لم يلبث مولاي عبد الله أن أعاد الكرة، فاحتال الإسبان عليه، حتى قتلوه عيلة، وأبقوا رأسه منصوبا فوق أحد أبواب غرناطة زمنا طويلاً.[2]

وفي يوم 28 أكتوبر 1570م ، أعطيت الأوامر لطرد كل المسلمين، ثم تم جمعهم في قوافل طويلة ثم حولوا إلى منطقة الكاستيل. في حين تشير بعض المصادر بأن الموريسكيين بقوا على إتصال بالباب العالي، بعد أن تم القضاء على ثورتهم من طرف دون خوان النمساوي، فقد وجه هؤلاء رسالة إستغاثة جديدة للسلطان أخبروه فيها بعدم وصول أسلحة كانت قد أرسلت إليهم، وهم يصفون أوضاعهم وأن الكفار تمكنوا من السيطرة على الجهات التي كانت قد بقيت بأيديهم في السابق، وجاء جواب السلطان بأنه أعطى تعليمات للعلج علي بشأن التوجه إلى الأندلس على رأس بضعة قطع من الأسطول لمساندة الثوار إن سمحت الظروف بذلك.[3]

وتوضح رسالة أخرى تحمل نفس التاريخ موجهة إلى العلج علي من طرف السلطان سليم الثاني، يخبره فيها بالرسالة السابقة، ويأمره: «... **بأن يظل عينا ساهرة، وأذنا صاغية تجاه الأندلس، حيث أن معاونتهم... بما يمكن تقديمه، وحسبما يقتضيه الوضع أصبح أمرا هاما»، ويأمره بالتشاور مع وزيره برتو باشا حول هذا الأمر، وفي حالة عدم وجود خطر إتحاد الأسطول الإسباني، والأسطول البندقي، وعدم وجود خطر على الأسطول العثماني، فيجب**

---

[1] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص179.

[2] أحمد توفيق المدني:حرب ثلاثمائة... مرجع سابق، ص ص394، 395.

[3] محمد سي يوسف: مرجع سابق، ص 103.

أن ينفصل عن هذا الأخير، ويتوجه إلى الأندلس بما في حوزته من السفن من أجل دفع ورفع ضرر وفساد الأعداء على المسلمين...>>[1]

كل هذه الأوضاع الأخيرة في النمو كما ذكرنا سابقا أعاقت الدولة العثمانية عن إنجاز مشروع إسترداد الأندلس.[2]

وفي خضم هذا قامت الدولة العثمانية بفتح جزيرة قبرص [3] عام 1570 م ، ثم طرد فرسان القديس يوحنا منها، و لم يعد ذلك آخر الإنتصارات العظمى للعثمانيين، فالإستلاء على هذه الجزيرة الحصينة جداً قد إستلزم قطع خطوط المواصلات أقوى الأساطيل المسيحية في البحر المتوسط، ونقل جيش ضخم إلى الجزيرة، والإحتفاظ به في أراضيها، هذا التصرف قد تحقق بالتعاون بين الإنكشارية والبحرية، وكان من أعظم إنجازات الأسلحة المشتركة العثمانية، وهذا الإنتصار المحدود للدولة في شرق البحر المتوسط قوى من الأمل لدى الموريسكيين بينما زاد من خوف الإسبان، ومن إضطهادهم لهم في نفس الوقت.[4]

أدرك البابا في روما الخطر الإسلامي العظيم الذي يتهدد البلاد الأوربية من جراء تدفق العثمانيين برا وبحرا، وإصرار الدولة على دخول أوربا من جنوبها الغربي إلى جانب تواجدهم في جنوبها الشرقي فأخذ يسعى من جديد لجمع البلاد الأوربية، وتوحيد قواها تحت راية البابوية من أجل الوقوف في وجه الإسلام، وإستطاع من جمع أسطولي إسبانيا، والبندقية، وبقية الجمهوريات، وألمانيا بالإضافة إلى أسطوال البابوية، وتم عقد هذا الحلف في كاتدرائية القديس بطرس [5]. وهذا ما عرف بمعركة ليبانت[6] فيا ترى ما هي أسبابها؟ وهل كانت ثورة مسلمي غرناطة سببا في حدوثها؟

---

[1] محمد سي يوسف: مرجع سابق، ص ص 103، 104.

[2] نبيل عبد الحي رضوان: مرجع السابق، ص342.

[3] هي جزيرة صغيرة مهمة لمركزها الجغرافي بالقرب من سواحل الشام، ومصر وإحتلالها ضروري لمن يريد بقاء هاتين الولايتين في حوزته للإطلاع أكثر أنظر: فريد بك المحامي: مرجع سابق، ص255.

[4] نبيل عبد الحي رضوان: مرجع السابق، ص241.

[5] نفسه: ص243.

[6] سميت نسبة إلى ميناء ليبانتو الواقع على الساحل الغربي لليونان في خليج كورنثيا، وضم التحالف الأوروبي أسطول الإسبان والبنادقة، والبابوية والمدن الإيطالية الأخرى، والألمانية، للإطلاع أكثر انظر: أحمد توفيق المدني: حرب ثلاثمئة ... موجع سابق، ص ص 398، 399.

أ -معركة ليبانت:

تعد معركة ليبانت البحرية التي جرت يوم 07 أكتوبر 1571م بين الأسطول العثماني بقيادة علي باشا، والأسطول المسيحي بقيادة دون خوان النمساوي، من أعظم المعارك البحرية التي عرفها البحر الأبيض المتوسط خلال القرون الحديثة من حيث عدد القوات المشاركة، وعدد السفن، إلى جانب عدد الدول، وكانت أول واقعة حصلت بين الدولة العثمانية من جهة وأكثر من دولتين مسيحيتين من جهة أخرى بالإضافة إلى البابا الذي يعتبر المحرك الديني لهذه المعركة ضد الدولة العثمانية.[1]

وأمام الخطر الإسلامي العظيم الذي هدد القارة الأوروبية من جراء تدفق الجيوش العثمانية برا وبحرا فأخذ البابا بيوس الخامس (1566-1572م) يسعى من جديد لجمع شمل البلاد الأوروبية المختلفة، وتوحيد قواها برا، وبحرا تحت راية البابوية[2]، وبعد هذا تم توقيع الحلف المقدس في 25 ماي سنة 1570م[3] الذي ضم كل من البندقية، البابوية، إيطاليا، إسبانيا.[4]

سار دون جوان إلى البحر الأدرياتيكي، حتى وصل إلى الجزء الضيق من خليج كورنث بالقرب من باتراس، وليس ببعيد عن ليبانتو، والتي أعطي اسمها للمعركة. ومقابل ذلك نظم دون خوان قواته فوضع سفنه على نسق يقابل النسق الاسلامي ووضع جناحه الايمن بقيادة اندري دوريا مقابل العلج علي، وأسند قيادة جناحه الأيسر إلى بربريجو مقابل سيروكو وجعل دون جوان نفسه لقيادة القلب، وترك أسطولا إحتياطيا بقيادة سانتكروز.[5]

ونظراً للدور البارز الذي لعبته البحرية الجزائرية العثمانية، وجه السلطان العثماني سليم الثاني إلى بيلرباي الجزائر العلج علي[6] بتجهيز أكبر عدد ممكن من السفن والتوجه بها إلى قبرص للإنضمام للأسطول العثماني، الذي حضر نفسه لمواجهة الأسطول المسيحي المتحالف.[7]

---

(1) محمد سي يوسف: مرجع سابق، ص 114.

(2) عيسى الحسن: مرجع سابق، ص196.

(3) الشافعي درويش: مرجع سابق، ص58.

(4) مولود قاسم نايت بلقاسم: الجزائر وديمومة... مرجع سابق، ص36.

(5) عيسى الحسن: مرجع سابق، ص196.

(6) الشافعي درويش: مرجع سابق، ص58.

(7) محمد سي يوسف: مرجع سابق، ص 114.

وأمام هذه الظروف خرج العلج علي من الجزائر في مطلع سنة 1571م بحوالي خمسين سفينة[1] للإلتحاق بقيادة الأسطول العثماني في منطقة كورفو بعدما غزا العديد من الجزر المحيطة بالبحر الأدرياتيكي.[2]

إحتدمت المعركة في 17 أكتوبر 1571م حيث أحاط الأسطول الإسلامي بالأسطول المسيحي، وأوغل العثمانيون بين سفن العدو، ودارت معركة قاسية أظهر فيها الفريقان بطولة كبيرة، وشاءت إرادة الله هزيمة المسلمين حيث فقدوا ثلاثين ألف مقاتل، وخسروا مئتي سفينة حربية منها 93 غرقت والباقي غنمه العدو [3]، إذ لم يوفق إلى النجاة غير باشا الجزائر وحده مستنقذا الجناح الأيسر وسفنه الأربعين التي نجت من الكارثة.[4]

وبعد الكارثة التي أصيبت بها الدولة العثمانية حيث تحطم أسطولها في هذه المعركة التي أطلق عليها المؤرخون الأوربيون اسم الحرب الصليبية المسيحية [5] إلا أن العلج علي إستطاع من إنقاذ سفنه، وإستطاع كذلك المحافظة على بعض السفن التي غنمها، ومن بينها السفينة التي تحمل علم البابا، حيث رجع بها إلى إسطنبول التي إستقبلته إستقبال الفاتحين رغم الشعور بمرارة الهمزيمة.[6]

وتقريرا من السلطان العثماني سليم الثاني لدور العلج علي في تلك المعركة، وفضله في إنقاذ ما تبقى من الأسطول العثماني، أسند له مقاليده مع الإحتفاظ بمنصب بايلرباي الجزائر وذلك في 979هـ/22 مارس 1572م.[7]

وفي الأخير فقد أدى نجاح الحلف المقدس في حربه ضد العثمانيين، إلى جذب الأنظار، والإهتمام الأوروبي عامة، واهتمام فليب الثاني الملك خاصة والذي رأى أن الظروف مواتية لشن حرب واسعة النطاق تشمل أهم المدن الساحلية في الشمال الإفريقي، وبالفعل فإن إعادة إحتلال

---

[1] ويقول جمال قنان أن البحرية الجزائرية قد شاركت بـ 60 سفينة، أنظر: رابح لونيسي: **محاضرات وأبحاث في تاريخ للجزائر**، ب ط، كوكب العلوم للنشر والتوزيع، دون سنة، ص37.

[2] Haédo : op.cit. p143.

[3] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص197.

[4] كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص508.

[5] هربرت فيشر: **أصول التاريخ الأوربي الحديث**، ط3، دار المعارف، القاهرة 2000م، ص677.

[6] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص197.

[7] عمار بن خروف: مرجع سابق، ص ص 108، 109.

تونس سيكون أول رد فعل عسكري واضح قام به الإسبان على البلاد التونسية ولقد كان رأي المسؤولين الإسبان منقسما بين إحتلال الجزائر، وإعادة إحتلال تونس، لذلك وقع الإختيار على تونس خاصة بعدما طال السلطان الحفصي منهم القيام بحملة لطرد العثمانيين.[1]

وبعد نكبة ليبانت التي كانت نتيجتها في غير صالح المسلمين، وإستطاع العلج علي أن ينقذ عددا من سفن المسلمين، وبادر السلطان العثماني على إثرها إسناد لقب قبودان باشا[2] إلى العلج علي، وكان هذا يدل دلالة واضحة على مدى رغبة الدولة في إسترداد الأندلس، لأن بيلربك الجزائر هو أعلم الناس بإسبانيا، وأقدرهم على معرفة ظروف البحر المتوسط وتنفيذ خطة الدولة تجاه الأندلس.

أقبل العلج علي بهمة، ونشاط على تجديد الأسطول الإسلامي، وتعويض ما فقد منه حتى إرتاعت البندقية من هذا الإستعداد فطلبت الصلح من الدولة العثمانية، وتنازلت لها عن جزيرة قبرص، ودفعت مقابل ذلك عزلة حربية.[3]

ب -تحرير تونس:

تعتبر تونس مركزا مهما بالنسبة للعثمانيين لتوطيد الأمن للحكم القائم في الجزائر، والتواجد العثماني في الحوض الغربي للمتوسط، نظراً لتردي الأوضاع، إغتنم العلج علي هذه الأوضاع في عهد السلطان أحمد بن الحسن الحفصي وإنشغال الإسبان بثورة الأندلسيين التي إندلعت (576هـ/1569م) ففي نفس السنة قام بشن حملة على هذه الأخيرة، وتمكن من إحتلالها بعد الإنتصار على السلطان الحفصي.[4]

وفي هذه الأثناء كان فليب الثاني قد تشجع لإحتلال تونس بسبب لجوء السلطان الحفصي أبي العباس الذي حكم تونس (1535-1572م) إليه، وطلب منه المساعدة في إخماد الثورات بإعطائهم إمتيازات كبيرة تتيح لهم الإستقرار في جميع أنحاء تونس، وبعد ذلك خرج دون خوان

---

[1] أحمد سالم: مرجع سابق، ص149.

[2] Mahfoud Kddache : **L'Algérie durant la période ottomane**, office des puplications universitaires, Alger, 2002, p68. 69.

[3] نبيل عبد الحي رضوان: مرجع السابق، ص241.

[4] عمار بن خروف: مرجع سابق، ص107.

بأسطوله من جزيرة بقلعة حلق الوادي التي كانت تحتلها إسبانيا [1]، ثم باغت دون خوان تونس، وتمكن من الإستلاء عليها في 07 سبتمبر 1573م، وبعد إحتلاله خرج أهلها فارين بدينهم من شر الإسبان، كما إنسحب الحاكم العثماني إلى القيروان.[2]

وأمام هذه الأوضاع أمر السلطان العثماني بتجهيز حملة ضخمة لتحرير تونس، وحلق الوادي سنة (982هـ/1574م)[3] وكان العلج علي هو قائد الأسطول، وسنان باشا هو قائد الحملة، وقد نجحت تلك الحملة في تحقيق أهدافها، بحيث تمكنت من القضاء على الوجود الإسباني بتونس[4]، وبذلك سقطت الدولة الحفصية، وضمت تونس نهائيا للخلافة العثمانية.[5]

وبفضل هذا حققت الدولة العثمانية نصرا عسكريا آخر حين إنتزعت تونس في شهر أوت عام 1574م من حكم إسبانيا، وكانت أوروبا في المقابل ترى أن إستلاء الإسبان على تونس من أبهى الصفحات في تاريخ الإمبراطور شارل الخامس، ومن مفاخر حكمه، ولكن أطاحت الدولة العثمانية بهذه المفخرة [6]، وأعادت تونس إلى حظيرة العالم الإسلامي العثماني، وحفظت لهذه النيابة إسلامها وعروبتها.[7]

وهكذا فقد استقر الحكم العثماني في تونس بعد الجهود التي بذلتها الدولة العثمانية لتحريرها، والجدير بالذكر أن تونس أصبحت في العهد العثماني أكبر مأوى للأندلسين الفارين من الحكم الإسباني، فقد إستقر بها الآلاف من الموريسكيين الذين إستقروا هروبا من إضطهاد من طرف النصارى الكاثوليك.

وعلى غرار هذا فإن نكسة ليبانت إذا كانت قد أحزنت الموريسكيين، فإن فتح تونس، وحلق الوادي من طرف العثمانيين عام 1574م، قد سرهم وكانوا يعلقون على هذه الأحداث

---

[1] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص199.

[2] Fernand Broudel : Les Espagnoles et L'Afrique du Nord de 1492- 1577, in R. A. Alger 1928, T19. P421.

[3] عيسى الحسن: مرجع سابق، ص199.

[4] عمار بن خروف: مرجع سابق، ص109.

[5] إبن أبي الدينار: مصدر سابق، ص188.

[6] محمد الهادي شريف: **تاريخ تونس**، تعريب: محمد الشاوش وآخرون، ط3، دار السراسل للنشر، تونس 1993م، ص55، وعبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ص674.

[7] Mohfoud Kaddache : op.cit , p.69.

حتى في القرى النائية في الأراغون، وقشتالة، حيث كان الموريسكون يتابعونها بأهمية بالغة، ففي تقرير لمحاكم ودواوين التفتيش، لوحظ أنه في كارينانا Carinena وضواحيها أن الموريسكيون أبدوا فرحهم وسرورهم، ونتيجة لذلك الشعور، فإن هناك أعدادا من الموريسكيين كانوا قد عذبوا بسبب الشك الذي شاع حول إحتمال علاقاتهم بالعثمانيين، كما أن الموريسكيين المسجونين صرحوا برغبتهم في التروح إلى المغرب، حيث كان هناك شعور قوى بهجوم عثماني على إسبانيا.[1]

وهناك بعض الروايات الإسبانية تشير أنه في سنة 1573م، وقفت السلطات الإسبانية على أنباء مفادها أن أمراء تلمسان، والجزائر يخططون للهجوم على سواحل بلنسية بمساعدة الموريسكين، وقد كان الموريسكيون يجتازون سنوياً، وكل فصل الربيع إلى مدينة شرشال، هذه الأخيرة أصبحت مختصة في صناعة هروب الموريسكيين إلى شمال إفريقيا، وأصبحت غاياتها مراكز لصناعة السفن الحربية، وإنتظم موريسكيو شرشال في شكل جماعات للتنسيق فيما بينهم، والتحضير للعودة إلى الأندلس لمواجهة الإسبان.[2]

إن محاولات التنسيق مع الجزائر ظلت هي الأخرى قائمة بصفة سرية وجدية، وهذا ما نلمسه من خلال إتصالات فرج بن فرج زعيم ثورة غرناطة مع الجزائر، إذ أنه بعد أن أعد لعدة بعث برسله إلى الجزائر، والمغرب لطلب النجدة، والمساعدة العسكرية، ومما يؤكد جدية هذه الإتصالات، وسريتها دائما، أن الإمدادات التي بعث بها العلج علي والي الجزائر نزلت على الشاطيء الأندلسي، وسارت إلى الأماكن المحددة لها.[3]

ومن غير المستبعد أن الجزائريين شاركوا إخوانهم في ثورة غرناطة سنة 1568م، وباقي الثورات الأخرى، باعتبار كل المصادر التي تناولت موضوع الثورة الموريسكية أشارت إلى الإتصالات المكثفة مع الجزائر.وإذا كان التنسيق مع الجزائر فرض نفسه بقوة خلال القرن 16م، فمن الطبيعي أن يتم التنسيق، والإتصال بالدولة العثمانية باعتبارها القوة الإسلامية الكبرى في هذه المرحلة، وإستنادا على ما أشار إليه سفير فرنسا في إسبانيا فوركفو " Fourqu vaux" أن أحد

---

[1] نبيل عبد الحي رضوان: المرجع السابق، ص243.

[2] جمال يحياوي: مرجع سابق: ص168.

[3] نفسه: ص 169.

الموريكسين إعترف بأنه يوجد إتفاقيات بين إخوان لهم في الدين، وبين الأتراك، وعلى ضوء هذا إستطاعت محاكن التفتيش أن تجمع معلومات بشأن الإتصالات مع الأتراك.[1]

ومن هنا كان خوف الإسبان كبيرا من سواحل المغرب الإسلامي، حيث إتخذت العديد من الإجراءات لمنع حدوث هذا الأمر، فتوالت القرارات، والأوامر بهذا الشأن فسنة 1579م صدر قرار يمنع الموريسكيين من دخول المناطق البحرية، وتم تحصين الشواطيء الإسبانية بتعزيزات أمنية تحسبا لأي هجوم خارجي.[2]

وعلى ضوء هذا شعرت الدولة العثمانية بالأسى لما يعانيه مسلمو الأندلس على يد الحكومة الإسبانية فاقترح السلطان مراد الثالث [3] (1574-1595م) في سنة 1580م عقد تحالف عسكري مع الدولة السعدية ضد الإسبان، ولا سيما بعد الإنتصارات التي حققتها على الإسبان، والبرتغاليون في معركة وادي المخازن[4]، وعلى هذا الأساس بعث السلطان العثماني مراد الثالث برسالتين إلى السلطان السعدي أحمد المنصور في 1580م، قال في إحداها: «...**فلما وصل مسامعنا الشريفة، ومشاعرنا الحقانية المنيفة خبر الطاغية قشتالة، وأنه إحتوى على سلطته برتغالي أوكاد، وأنه جعل أهلها في الأغلال، والأصفاد، وأنه لكم جار وعدو مضرار، حركتنا الحمية الإسلامية لإظهار الألفة الأزلية أن تتخذ عهدا، وتؤكد أن المملكتين محروستا الجوانب، ونعلق العهد بالكعبة... فإذا تم هذا الشأن... نوجه لكم ثلاثمئة غرابا سلطانية، وحيث عز ونصر، وكماة عثمانية، نستفتح بها إن شاء الله بلاد الأندلس...**».[5]

لم تتحقق رغبة السلطان العثماني في التحالف مع الدولة السعدية لإسترداد الأندلس، فقد تذبذب موقف السلطان أحمد المنصور من الدولة العثمانية، فما كان منها إلا أن أصدرت أوامرها

---

[1] جمال يحياوي: مرجع سابق: ص170.

[2] نفسه: ص ص 170، 171.

[3] ولد هذا السلطان بالقسطنطينية في 5 جمادي الأولى سنة 953هـ/4 جويلية 1546م، كانت علاقات هذا السلطان مع فرنسا حسنة جدا، وكذلك مع جمهورية البندقية، فجدد لهما الإمتيازات القنصلية، والتجارية مع زيادة بعض الجنود في صالحهما، توفي في سنة 1003هـ/19 جانفي 1595م، وله من العمر 50 سنة ،مدة حكمه 21 سنة تقريبا، أنظر: فريد بك المحامي: مرجع سابق، ص ص 263، 266.

[4] وهي من المعارك العظيمة التي خاضتها الدولة العثمانية السعدية في زمن السلطان عبد الملك وأخوه أحمد المنصور ضد الإسبان والبرتغاليين، وسميت أيضا معركة القصر الكبير أو معركة الملوك الثلاثة ووقعت في 30 جمادي الثانية 986هـ/14 أوت1578م، للإطرع أكثر أنظر: السلاوي: مصدر سابق، ص ص61، 64، وأنظر: عيسى الحسن:مرجع سابق، ص181.

[5] نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي وآخرون: مرجع سابق،ص8.

إلى العلج علي بالتوجه نحو المغرب، ووضمه إلى سلطتها، فكان لهذا التكليف وقع في نفس العلج علي الذي لم يقطع الأمل في إسترداد الأندلس، بعد توحيد الجبهة الإسلامية، إلا أن الدولة العثمانية تراجعت عن التقدم نحو المغرب بسبب إنشغالها بحروبها مع الدولة الصفوية [1]، وآل هبسبرغ في وسط أوربا، فضلا عن حماية الأماكن المقدسة في الحجاز، إلا أن ذلك لم يمنع حسن فتريانو الذي إستطاع أن يصل إلى الشواطيء الإسبانية [2] بعد تجهيز أسطول بحري سنة 990هـ/1582م، لمحاربة الإسبان فوق أرضهم، فنزل المجاهدون في برشلونة، وهاجموا جزر الكناري التي تحتلها إسبانيا، ودمروا المراكز العسكرية المقاومة، وأخذوا ما بها، ثم توجهوا لإنقاذ المسلمين مما كانوا يتعرضون له من ظلم على يد الإسبان، وقد تمكن حسن فتريانو من إنقاذ أعداد كبيرةمن مسلمي الأندلس، وجمع سكان منطقة كالوسا الإسبانية، ونقلهم بأسطوله من ثغر بلنسية[3] إلى الجزائر، وإستمر هذا الوالي بالتعاون مع العلج علي بذل الجهود من أجل إسترداد الأندلس.[4]

وعقب هذه الظروف لاحظ القبودان باشا العلج علي الأخطار التي تهدد الأراضي الإسلامية وإضطراب أوضاعها الاقتصادية نتيجة لإستقرار الأوربيين على سواحل أمريكا، والهند، والخليج العربي، فأقنع السلطان بوجوب فتح قتال بحري يصل بين ميناء السويس، والبحر المتوسط، وذلك لتأمين الحدود الجنوبية أولا، وإختصار طريق القوافل البحرية فتسترجع مصر، وبلاد العرب أهميتها، ولا تفقد موانيء البحر المتوسط مكانتها الإقتصادية.[5]

---

[1] تنسب إلى الشيخ صفي الدين (1252هـ-1334م)، من أردبيل الذي كان من المتصوفة الزاهدين، ومنذ أواسط القرن الخامس عشر إنتقلت الصفوية من التأمل الصوفي إلى العقيدة المناضلة، أنظر: أحمد سالم: مرجع سابق، ص53.

[2] Mohfoud Kaddache: op.cit, p.69.

[3] مدينة تقع في شرق الأندلس، بينها وبين قرطبة على طريق بجمانة 16 يوما وعلى الحافة 13يوما، وهي مدينة سهلية، وقاعدةمن قواعد الأندلس التجارية، أنظر: محمد بن عبد المنعم الحميري: **الروض المعطار في أخبار الأقطار** ، تحقيق: إحسان عباس، ب ط، دار القلم، بيروت، لبنان 1975،ص97.

[4] نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي وآخرون: مرجع سابق،ص9.

[5] أحمد توفيق المدني:حرب ثلاثمئة... مرجع سابق، ص 410.

وإقتنع السلطان بذلك العمل إلا أن هذه الجهود لم تلبث أن توقفت بعد فترة لموت العلج علي.[1]

وفي سنة 997هـ/1588م إنطلقت السفن الحربية الإسبانية باتجاه الشواطئ الإنجليزية، ولكن رداءة الطقس، وبراعة القباطنة الإنجليز أدت إلى إخفاق عملية الغزو، مما ساهم في التقليل من هيبة إسبانيا في تلك الحقبة من الصراع الدولي، بالإضافة إلى أنها كانت عملية باهضة النفقات كلفت الخزينة الكثير من الأموال، هذه التطورات قللت إلى حد كبير من الخطر الإسباني على شمال إفريقية، مما أوجب للدولة العثمانية بتقليل تركيزها على مشروعاتها في الحوض الغربي للبحر المتوسط.[2]

وفي سنة 987-999هـ/1578-1590م، كانت الدولة العثمانية قد ضمت جميع الأقاليم القريبة من إيران، والتي بدورها إنتهت بعقد هدنة بين الإيرانيين والعثمانيين بعد تجدد العلاقات الدبلوماسية الروسية الإيرانية سنة 999هـ/1590م، كل هذا مثل عائقا ضخما بالنسبة لأهداف الدولة في شبه الجزيرة الإيبيرية.

إلا أن المجاهدين، ومعهم حلفاءهم العثمانيين إستمروا في القيام بالأعمال الحربية ضد إسبانيا في غرب البحر المتوسط، إذ تعرضت البحرية الإسبانية إلى هجوم مستمر، كما كان هناك عدد كبير من الأسرى المسيحيين لدى سكان شمال إفريقيا يحتاجون إلى فدية، وأمام ذلك الضغط الإسلامي الصارم قامت البحرية الإسبانية بنشاط مضاد محققة بعض النجاح مما دعى الموريسكيين إلى شن الحرب داخل المعسكر الإسباني في الفترة الممتدة من 1010-1025هـ/1601-1616م.[3] وبعد هذا ناقش المجلس الإسباني تلك الأوضاع، وبدأ يوصي بابعاد الموريسكيين، وذلك على اعتبار أن أمن إسبانيا لا يتحقق إلا بتلك الطريقة وفي 20 محرم 1018هـ/14 أفريل سنة 1609م أوصى المجلس وبشدة الملك بضرورة الإبعاد، وقبل الملك الإسباني فليب الثالث تلك النصيحة، وتقرر طرد، وإبعاد جميع الموريسكيين من إسبانيا [4].من (1609-1612م) وهو تاريخ خروج آخر الموريسكيين من الأندلس.[5] وعلى أن يبدأ ذلك من فالينسيا أولا.

---

(1) توفي في 18 رجب سنة 995هـ/27 جوان 1587م، بمسجده الذي بناه في ضواحي إسطنبول، للإطلاع أكثر أنظر: عمار بن خروف: مرجع سابق، ص109، وأنظر: عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ص924.

(2) عادل سعيد البشتاوي: مرجع سابق، ص126.

(3) نبيل عبد الحي رضوان: مرجع سابق، ص ص349، 351.

(4) نفسه: ص352.

(5) جمال يحياوي: مرجع سابق، ص150.

وبعد هذا جاء دحر الأراغون بالنسبة لعملية الطرد التي إستمرت لتشمل جميع أنحاء إسبانيا، وإستغرقت تلك العملية حتى 1025هـ/1616م.

لم تكن الحالة في الدولة العثمانية تسمح بالتدخل في قرار الطرد، ولكن إستطاع الباب العالي أن يستغل صداقاته مع فرنسا، وبريطانيا، والبندقية فضلا عن الولايات العثمانية بإفريقيا، والمغرب الأقصى، وطلب من هاته الحكومات مساعدة الموريسكيين على الهجرة، وتسهيل مهمتهم، والتدخل لدى الحكومة الإسبانية للتخفيف من القوانين الجائرة، والمسلطة على المسلمين.[1] وهذا ما تجلى عندما نجد الصدر الأعظم محمد الصقلي يخطط للهجوم على إسبانيا المسيحية بغرض نصرة إخوانه الموريسكيين.[2]

في حين لا يمكن أن نتجاهل الدور الذي لعبته فرنسا من خلال علاقاتها الودية فقد أرسلت الدولة العثمانية إلى المملكة ماري دي ميدسيس " Marei Medesis" الوصية على إبنها لويس الثالث عشر رسالة تطلب منها أن تساعد الموريسكيين الذين نزلوا بجنوب فرنسا، وتوفير عدد من السفن ليتم نقلهم إلى أراضي الدولة العثمانية، وقد إستجابت المملكة لنداء السلطان، وأمرت بإخراج المسلمين، وإركابهم سفننا فرنسية من سواحلها إلى حيث يرغبون من البلاد الإسلامية.

كذلك ناشد السلطان أحمد الأول [3] دوق البندقية تقديم كل اعانة لهؤلاء الموريسكيين كما طلب منه: «...**فلا تسمحوا لأحد أن يتدخل في أمورهم أو يتعرض لهم، ولأرزاقهم وأموالهم، خلافا للعهد ... والأمان بيننا، وهذا أثناء مرورهم بالمنازل والمراحل، والمعابر ليصلوها آمنين سالمين، وقد سبق، وإتضح لنا حسن إهتمامه، وتيقنوا أن مساعدتهم لهؤلاء المساكين بدخولهم بلادنا التي هي دار الأمان وسيلة لتحصيل رضانا الميمون، وسبب لتحكيم بنيان المصالحة، وتمديد المعاهدة فاهتموا واسعوا، بناءا على هذا أن يمروا،ويعبروا راضين عن حالهم مرفهي**

---

[1] نبيل عبد الحي رضوان: مرجع سابق، ص 353.

[2] عبد الجليل التميمي: " **الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين** "، **المجلة التاريخية المغاربية** ، العدد 23-24، 1981م، ص196.

[3] ولد في 12 جمادى الثانية سنة 998هـ/18 أفريل سنة 1590م، فتولى الملك و لم يتجاوز سنة 14 سنة، توفي سنة 23 ذي القعدة 1026هـ/22 نوفمبر1617م وعمره 28سنة، ومدة حكمه 13 سنة، أنظر: فريد بك المحامي: مرجع سابق، ص ص 271، 275.

البال...». وكان هذا بتاريخ أواسط جمادى الأول سنة 1023هـ الموافق لـ 19-29 جوان 1614م.[1]

وهكذا نلاحظ مدى الإهتمام البالغ الذي أظهرته الدولة العثمانية لقضية الموريسكيين، فقد سعت من خلال محاولاتها على إسترداد الأندلس من خلال المساعدات التي قدمتها خاصة منذ عهد السلطان بايزيد الثاني الذي حاول إرسال بعض المساعدات المتمثلة بالسفن إلى قادة البحر الذين كانوا يقاومون الإسبان هناك أمثال: كمال رايس وعروج،وخير الدين بربروسا، أمّا العمليات الفعلية، والجادة التي قامت بها الدولة العثمانية لمهاجمة الإسبان في الأندلس ذاتها فبدأت بعد عام 1544م، أي منذ ولاية حسن بن خير الدين إلى غاية (1568-1587م)، وهي الفترة التي شهدت العديد من التطورات بداية بثورة الموريسكيين ومعركة ليبانت ثم تحرير تونس من طرف بايلربك الجزائر العلج علي الذي إستطاع إنقاذ، ونجدة العديد من الموريسكين إلى غايةوفاته سنة 1587م إلا أن الدولة العثمانية إستمرت في محاولتها من خلال الجهود التي بذلتها لإسترداد الأندلس وكادت المحاولات أن تأتي بثمارها لولا الظروف التي وقعت عائقا أمام مشروع الدولة.

[1] نبيل عبد الحي رضوان: مرجع سابق، ص 353.

ونستخلص في الأخير أن العثمانيين لم يترددوا في العبور إلى القارة الأوروبية عندما سمحت لهم الفرصة طالما أن ذلك يحقق أهدافهم في الإمتداد نحو الغرب لإنقاذ المسلمين في الأندلس، والتي أخذت أملاكهم تتساقط في أيدي المسيحين، ويستمر الجهاد على الإسلام، والمسلمين بالأندلس.

- إستطاع عروج وخير الدين بربروس من إنقاذ الآلاف من الموريسكيين في حين إستطاع خير الدين بربروس ومن خلال سبع رحلات من إنقاذ 70 ألف من الموريسكيين.

- نظم خير الدين بربروس ومن خلال منصبه قابودان باشا الأساطيل العثمانية وأخذ في إدخال العديد من التحسينات على السفن الحربية، وزاد في عددها ولما بلغت البحرية العثمانية عصرها الذهبي قام بشن غارات منظمة على جزر الباليار لإنقاذ الموريسكيين، وتقديم المساعدات العسكرية لهم.

- كان الموريسكيون قد إزداد خطرهم بعد إتصالهم بالعثمانين في الجزائر، وتلقيهم مساعدات عسكرية، فأخذوا يغيرون معا على الموانيء الإسبانية كما قاموا بمساعدة العثمانين في غاراتهم على السواحل الإسبانية.

- إستطاع حسن بن خير الدين أن يسجل إنتصارا كبيرا في بداية حكمه على الإسبان في مستغانم، وبعد إستقراره في الجزائر جهز جيشاً كبيراً ليخلص وهران، وليفتح بذلك الطريق إلى الأندلس، في حين كانت سياسته على نهج والده والتي كان من بينها إسترجاع المدن الجزائرية بجاية ووهران من يد الإسبان لتسير بعد ذلك جماعات المجاهدين، ويكونوا مداد لبقايا مسلمي الأندلس.

- تمكن صالح رايس من تحقيق الوحدة السياسية بين كل أجزاء الجزائر ثم إتجه إلى غزو إسبانيا، في حين تمكن العلج علي من مساعدة الموريسكيين في ثورتهم بجبال البشارات عام 1569م، إلا أن نكبة ليبانت التي كانت هزيمتها في غيرصالح المسلمين كانت عائقا أمام ذلك بالرغم من أن العلج علي إستطاع إنقاذ عددا من سفن المسلمين والتي على إثرها أسندت له مهمة قابودان باشا.

- بفضل جهود العلج علي لإستعادة تونس تمكنت الدولة العثمانية من ضم تونس التي أصبحت فيما بعد المأوى الأساسي للموريسكيين.

وفي الأخير نلاحظ أن الدولة العثمانية قد واجهتها العديد من العوائق لتنفيذ مشروعاتها، وقد أخذت هذه العوائق تنمو بمضي الزمن والدولة تحاول جاهدة أن تتخطاها لتحقق هذا المشروع العظيم، ألا وهو إسترداد الأندلس، في حين أن حصار مالطة وفتح جزيرة قبرص قد مثل هو الآخر عائقا أمام الدولة لإنقاذ مسلمي الأندلس.

الخاتمة

من خلال موضوع دور البحرية الجزائرية في غرب البحر المتوسط، خاصة في إنقاذ مسلمي الأندلس توصلت إلى الاستنتاجات التالية:

- لقد كانت إسبانيا عبارة عن ممالك منفصلة متشكلة من الأراغون،وقشتالة،ولكن مع ذلك استطاعت استكمال وحدتها، وذلك بزواج الملكين الكاثوليكيين إيزابيلا، وفرناندوا، فبتوحد هاتين المملكتيين ،بدأت عملية الاضطهاد المنظم ضد المسلمين بالأندلس، الأمر الذي أدى بالملكين الكاثوليكيين للاستلاء على آخر معقل للمسلمين، ألا وهو غرناطة عام 897هـ 1492م.
- إن سقوط غرناطة عام 1492م، قد أدى إلى ظهور مرحلة جديدة بالنسبة لمسلمي الأندلس، بعدما تم نكث العهود، وخرق بنود إتفاقية غرناطة من طرف الملوك الكاثوليك، ألا وهي مرحلة الإضطهاد،والتنصير القسري.
- مع مطلع القرن 10هـ/16م أصبحت الدويلات المغاربية الثلاث ضعيفة، ويعود ذلك أساسا إلى التجزؤ، والإنقسام، ومنه تلاشت قدراتها على مواجهة الحملات الصليبية، حيث أسهمت الصراعات الداخلية التي كانت بين الحين والآخر، إلى تدميرها، إضافة إلى تمرد القبائل في إقليم وهران، ومستغانم، وغيرها التي أعلنت إستقلالها هي الأخرى، مستفيدة من الصراع الداخلي بين الإمارات الثلاث، فإمارة بني زيان قد قبلت الرضوخ للسلطة المحلية القبلية، أما بنو مرين فقد كانوا منقسمين للعديد من الإمارات، والقبائل، أو بالأحرى مجموعات مستقلة.
- يعد الهجوم الإسباني على السواحل الجزائرية بمثابة العامل الرئيسي الذي كان وراء ظهور الأتراك العثمانيين في غربي البحر المتوسط، والذي أدى بدوره إلى قلب موازين القوى، وتغيير الأوضاع السياسية بالحوض الغربي للبحر المتوسط، فقد قاموا بإنقاذ المغرب الأوسط (الجزائر) من الإضطرابات،والفتن الداخلية التي شهدتها المنطقة مطلع القرن (10هـ/16م).
- عقب ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية بدأ التفكير في إنشاء قوة بحرية من طرف الدولة العثمانية، بعدما كانت تمتلك قوة برية من المشاة والمدفعية، وقد كان ذلك من الأسباب التي دفعت العثمانيين إلى الاستقرار بالجزائر.
- إن الجهود التي بذلها خيرالدين، ومن خلفه من رؤساء البحر في المجال البحرية، قد مكن التحالف العثماني الجزائري من مجابهة الأساطيل المتفوقة في البحر.

-لذا فقد نظم خير الدين من خلال منصبه الجديد الأساطيل العثمانية، وأخذ في إدخال العديد من التحسينات على السفن الحربية، وزاد في عددها، وكانت البحرية في هذه الحقبة في عصرها الذهبي، حيث تزايد عدد الوحدات في هذه الأثناء إلى أربعين سفينة.

-لعبت البحرية الجزائرية الدور البارز في توطيد العلاقات الجزائرية العثمانية من خلال مشاركة الأسطول الجزائري، إلى جانب الأسطول العثماني في معظم معاركه في الحوض الغربي للبحر المتوسط ضد القوى المسيحية ،التي كانت هي الأخرى تشكل تحالف يهدف للسيطرة على غرب البحر المتوسط، وتحقيق مشاريعها التوسعية،وبفضل مقومات الأسطول، وهياكله من تعدد أنواع السفن، وقيادة ذات كفاءة بحرية إستطاعت الجزائر العثمانية أن تفرض سيطرتها على الدول الأوربية، وترغمها على دفع إتاوات مقابل ضمان الأمن، والسلام لمراكبها في الحوض الغربي للبحر المتوسط، إضافة إلى ذلك فقد إستطاعت الحصول على العديد من الغنائم، والتي تمثلت في مبالغ إفتداء الأسرى، والإتاوات، والهدايا،والتي بدورها وفرت للدولة الجزائرية مبالغ معتبرة ،وكانت إحدى الإستراتيجيات التي اتبعتها الدولة الجزائرية ضد الدول الأوربية للحفاظ على مكانتها.

-إن الكفاءة الحربية للجزائر العثمانية قد مكن البحرية الجزائرية من تحقيق إنتصارات بفضل طائفة رياس البحر، التي بفضلها أصبحت البحرية الجزائرية لها مكانتها في الحوض الغربي للبحر المتوسط، فالجهاد البحري الذي تزعمته الجزائر العثمانية منذ مطلع القرن 16م، إستطاع توطيد صفوف المسلمين، ووضع حد للتوسع الإسباني.

-إستطاع حسن بن خير الدين، وصالح رايس أن يسجلا العديد من الإنتصارات على الإسبان في بداية حكمهم خاصة في إحتلال مستغانم، حيث أصبحت تمثل القاعدة الأمامية للتهديد الوجود الإسباني في وهران، في حين كانت سياسة حسن بن خير الدين تهدف إلى إسترجاع المدن الجزائرية من يد الإسبان، وبالفعل تمكن صالح رايس فيما بعد من إسترجاع بجاية، ذلك الإنتصار العظيم الذي فقد فيه الإسبان قاعدة إستراتيجية على الساحل الشرقي للجزائر.

-إن جهود الدولة العثمانية ودورها في إنقاذ مسلمي الأندلس قد لوحظ من خلال الاهتمام البالغ الذي أظهرته الدولة العثمانية لقضية الموريسكيين مع الدول الأوروبية،و لايمكننا أن ننسى دور كل من عروج وخير الدين في إنقاذ مسلمي الأندلس ومن وراءهما الخلافة العثمانية

في إيقاف الهجمات الإسبانية والعمل على إحباطها وأولى المساعدات العثمانية كانت في عهد السلطان بايزيد الثاني والتي كانت متمثلة في السفن والسلاح إلى قادة البحر الذين كانوا يقاومون الإسبان حتى في عقر دارهم أمثال كمال رايس ،وإيدين رايس ،وعروج وخير الدين.

-إستطاع العلج علي في سنة 976هـ/1568م من تدعيم ثورة الأندلسيون بالسفن المسلحة والجنود ذوي الخبرة لمساندة إخوانهم الموريسكيون، وقد كان له دوراً بارزٌ في معركة ليبانت 1571م، التي تحطم فيها الأسطول الجزائري العثماني، إلا أن هذا الأخير إستطاع النجاة من الهزيمة بعد تمكنه من إنقاذ عدد من أسطوله وعلى إثر هذا النجاح منحه السلطان العثماني منصب قابودان باشا مع إحتفاظ بمنصب بايلرباي الجزائر،وقدتمكن العلج علي إلى جانب سنان باشا بفضل البحرية الجزائرية من تحرير تونس 1574، وإلحاقها بالدولة العثمانية.

-وهكذا تواصلت جهود العثمانيين من أجل تحرير الثغور الإسلامية المتبقية.

الملاحق

الملحق رقم (01): خريطة توضح التحرشات الإسبانية على موانيء بلدان المغرب الإسلامي في القرن (10هـ/16م).

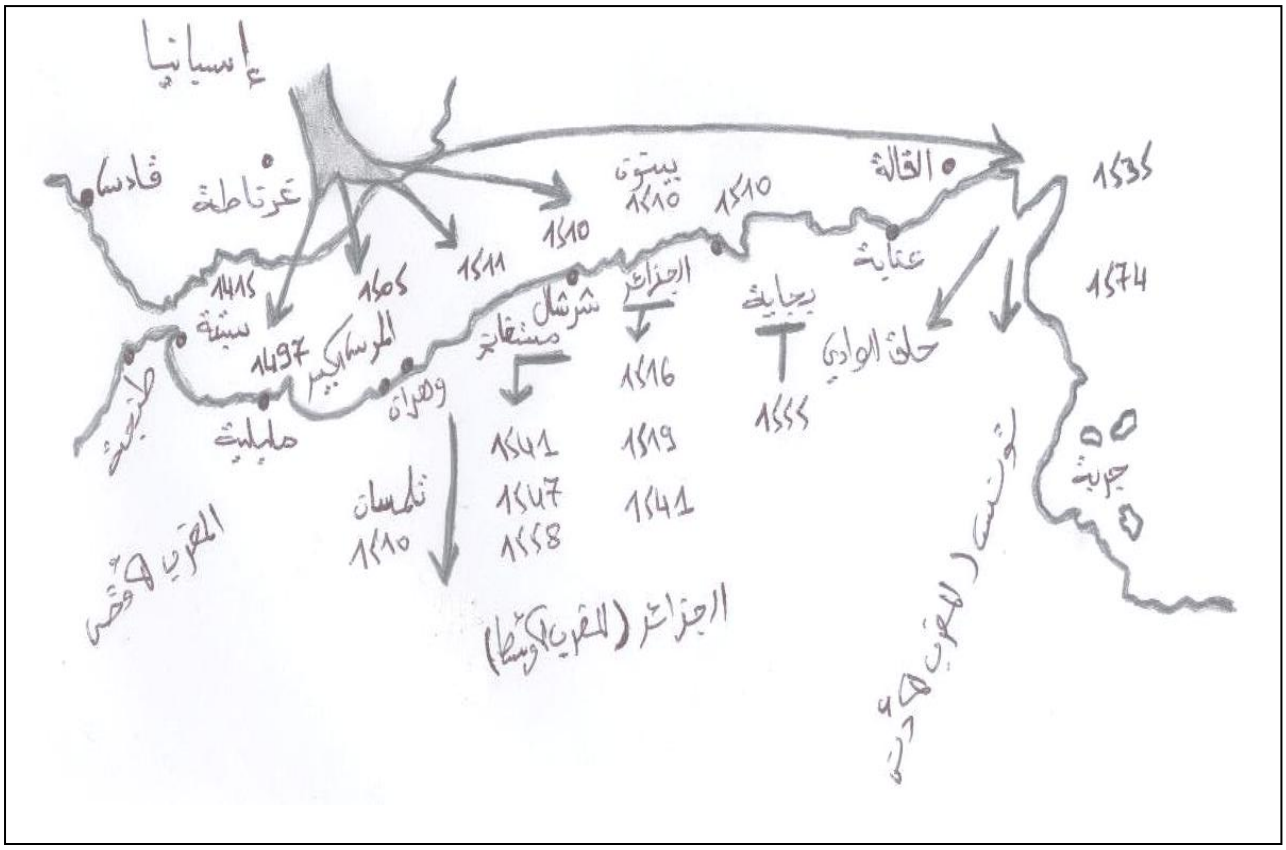

يحي بوعزيز: علاقات الجزائر مع دول وممالك أوربا، مرجع سابق، ص29. (بالتصرف).

الملحق رقم (02): وهران والمرسى الكبير والمنطقة الغربية الوهرانية التي شهدت أحداث الاسبان.

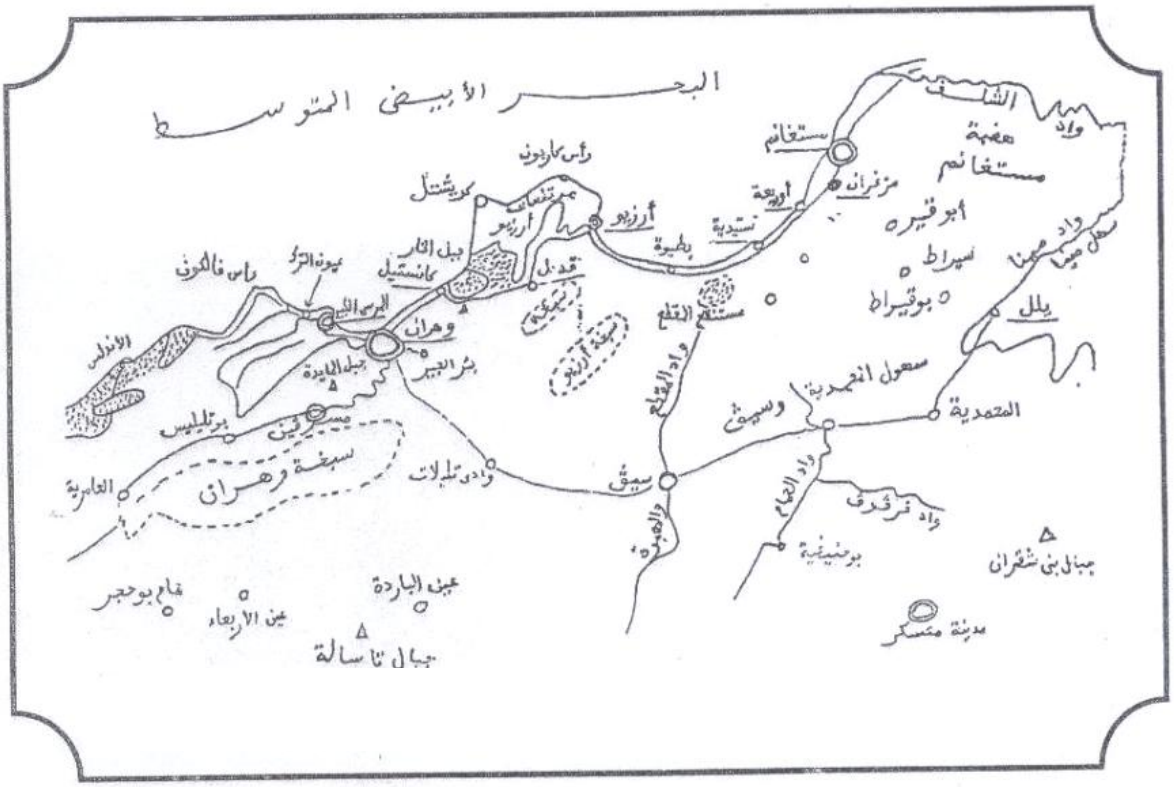

.آغا مزاري بن عودة:مصدر سابق،ص207

الملحق رقم (03): بيدرو نافارو.

مولود قاسم نايت بلقاسم:مرجع سابق،ص128.

الملحق رقم (04): رسالة من مسلمي غرناطة الى السلطان سليمان القانوني سنة1541م.

عبد الجليل التميمي:رسالة من مسلمي.....مرجع سابق،ص44.

الملحق رقم 05:هوجودي مونكادا.

مولود قاسم نايت بلقاسم:مرجع سابق،ص136.

الملحق رقم 06: أندري دوريا.

مولود قاسم نايت بلقاسم:مرجع سابق،ص141.

الملحق رقم 07:فليب الثاني.

De la primaudaie Elie : op. Cit.p5.

الملحق رقم 08:شارل الخامس(شارلكان).

De la primaudaie Elie : op.cit.p4.

الملحق رقم 09:العلج علي.

مولود قاسم نايت بلقاسم : مرجع سابق،ص133.

الملحق رقم 10: صورة ليبانتو من كتاب البحرية الذي ألفه بيري رايس.

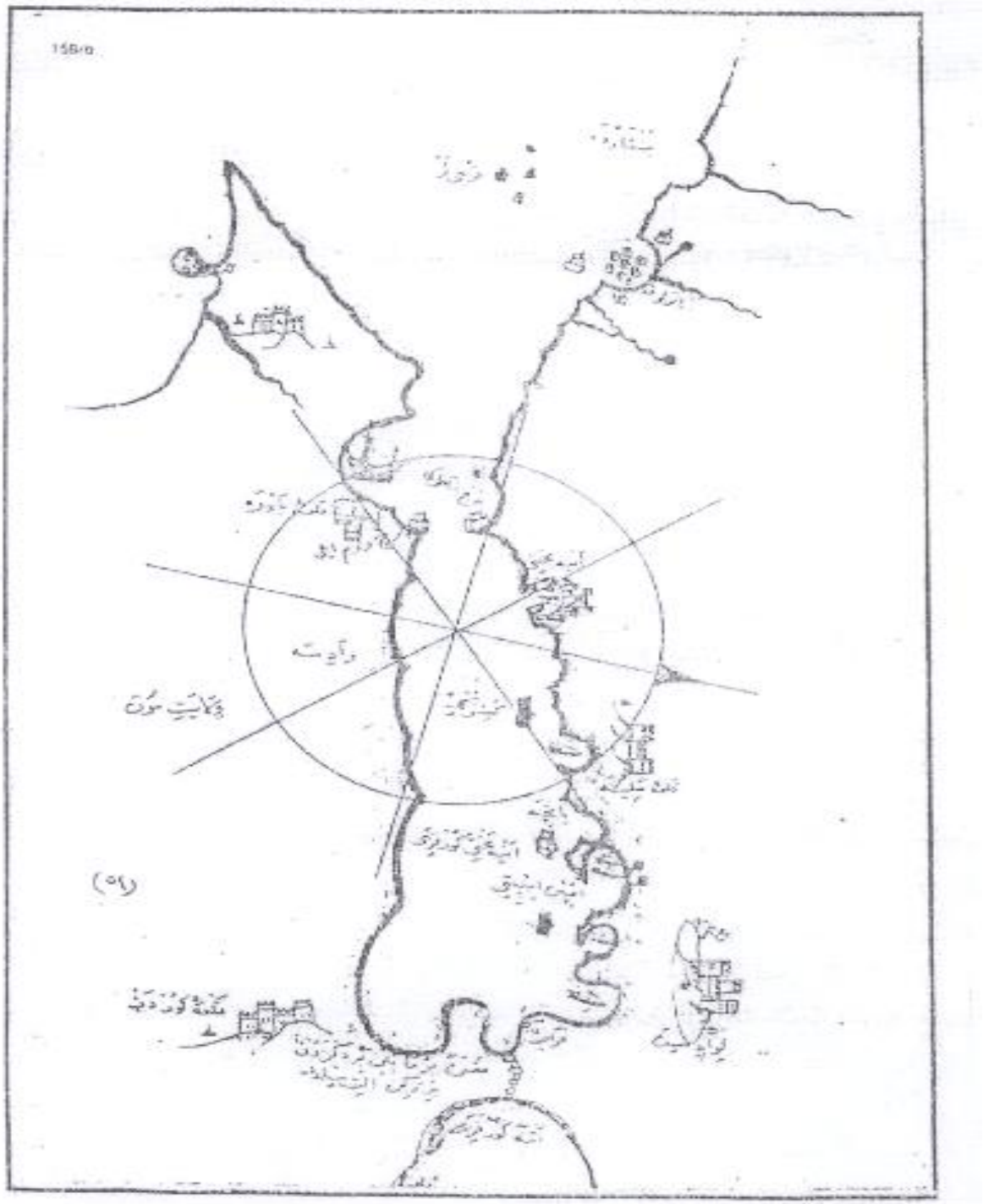

محمود السيد دغيم :مرجع سابق،ص168

الملحق رقم 11 تشكيلات معركة ليبانتو سنة 1571 م

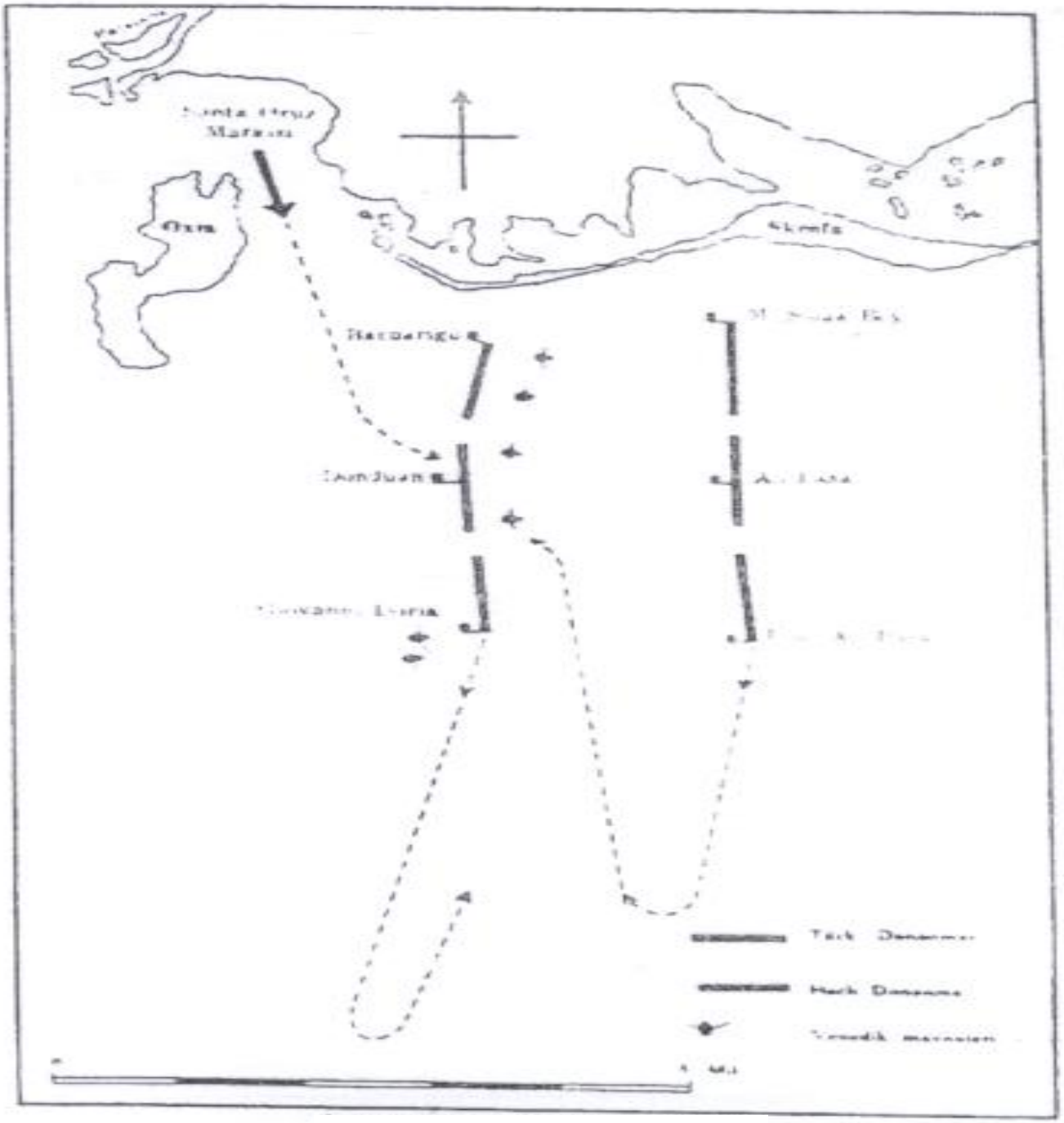

محمود السيد دغيم :مرجع سابق،ص 168

.

الملحق رقم 12 : الغليون .

:

أحمد مفيد صالح باشا ص،4 http ://www.arabency.com يوم الاحد 02 جوان 2013 م على الساعة 30: 21 .

الملحق رقم 13 : الفرقاطة .

أحمد مفيد صالح باشا : مرجع سابق ، ص 4 .

ا

قائمة الفهارس

فهرس الأماكن والبلدان

ملاحظة: إن ترتيب فهرس الأماكن والبلدان وفهرس الأعلام قد تم ترتيبه دون استثناء (ال).

المكان والبلد	رقم الصفحة
	أ
الجزائر	23. 24.25. 26.28. 29 31. 32. 37. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 46. 49. 50. 53. 54. 55. 56. 58. 59. 60. 61. 62. 66. 67. 68. 69. 70. 72. 73. 74.75.76. 78. 79. 80. 82. 84. 85. 86. 87. 107. 108.109. 110. 111. 112. 113. 114. 115. 116. 117. 119. 120. 122. 123. 128. 129. 131. 132. 133. 135. 136. 137. 138. 139. 140. 142. 143. 144. 145. 146. 147. 148. 151. 152. 153. 155. 157. 160. 161. 163. 164. 165.
الدولة العثمانية	160. 161. 163. 164.
أرزيو	113. 114. 116. 117. 118.
أبدة	15
أشبونة	15
المرية	16. 108
المغرب الإسلامي	13. 14. 22. 25. 26. 30. 33. 44. 101. 107. 109. 110. 156
المغرب الأدنى	22 . 24. 29. 44
المغرب الأوسط	22.112. 163. 109. 107. 44. 39. 37. 33. 31. 30. 27. 23. 25. 26
المغرب الأقصى	22. 23. 26. 44. 49. 84. 109. 110. 133. 158
المغرب العربي	22. 28. 43. 108. 115. 126. 128. 136. 143. 144
البحر المتوسط	11. 13. 16. 22. 23. 34. 36. 42. 43. 46. 48. 49. 50. 52. 53. 54. 55. 75. 87.

	111. 116. 125. 126. 127. 128. 129. 131. 136. 137. 139. 141. 150. 153. 157. 158. 163. 164
المحيط الأطلسي	11. 50. 61. 129
البحر الأحمر	48. 49
الخليج العربي	49. 157
البندقية	47. 53. 65. 150. 151. 153. 156. 158. 159
المغرب	10. 13. 14. 15. 16. 17. 19. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 37. 39. 41. 43. 44. 49. 50. 55. 62. 75. 84. 90. 93. 100. 104. 106. 107.108. 109. 110. 111. 112. 115. 118. 126. 127. 128. 129. 132. 133. 134. 135. 136. 137. 138. 140. 143. 144. 148. 155. 156. 157. 158. 163.
العالم الجديد	27. 32.
المرسى الكبير	30. 31. 85. 86. 113. 117. 139 .
الأناضول	34. 39. 51.
الشواطيء الجزائرية	30. 90.
إسبانيا	10. 11. 12. 13. 14. 16. 17. 20. 26. 27. 28. 29. 30. 32. 33. 34. 38. 39. 41. 44. 49. 52. 53. 67. 69. 73. 77. 78. 82. 89. 90. 91. 92. 93. 95. 96. 97. 100. 103. 105. 106. 107. 108. 109. 110. 112. 113. 117. 118. 119. 121. 123. 126. 127. 130. 136. 138. 144.145. 145. 147. 148. 150.151. 153. 154. 155. 157. 158.
إشبيلية	15 .16. 96. 107. 108. 109
إسطنبول	41. 77. 78. 83. 84. 85. 111. 112. 126. 132. 138. 141. 145. 146. 147. 152. 157
إفريقية	11. 13. 14. 23. 43. 73. 105. 108. 158
إيطاليا	13. 30. 32. 36. 49. 52. 53. 77. 82. 142. 151
ب	
بلد الوليد	12
بجاية	22. 23. 25. 31. 37. 53. 70. 85. 107. 108. 109. 113. 115.11

	161 .148 .135 .131 .116
برج الفنار	.87 .71
بحر العرب	..49
باب الواد	.159 .158 .156
باب عزون	.59 .58 .53
باليرا	.112
برشك	.113
بادس	.133
ج	
جبل طارق	.148 .132 .129 .67 .14 .13
جزيرة ميديللي	.35 .34
جيان	.14
جزر الباليار	.161 .127 .77
جبال البشارات	.161 .103 .29 .15
جزيرة مايورقة	.15
جزر بحر	.35
جزيرة رودس	.139 .49 .36 .35
جزيرة البلقان	.48
جربة	.141 .73 .37 .36
جيجل	.116 .113 .71 .47 .37 .30
جنوة	.82 .77 .47
وهران	.110 .100 .94 .86 .85 .75 .41 .39 .37 .31 .30 .27 .25 .23 139 .138 .136 .135 .134 .131 .119 .118 .117 .116 .113 .111 .163 .161 .148 .144

واد الحراش	.79 .70
ح	
حلق الوادي	.154 .153 .143 .74 .72
ط	
طرابلس	.139 .31 .22 .14
طليطلة	14
طرطوشة	15
طولون	.145 .84 .83
ك	
كورفو	152
كورسيكا	.127 .65
كدية الصابون	.134 .89
ل	
لاردة	15
ليبانت	.165 .161 .160 .154 .153 .151 .150
م	
مملكة قشتالة	.16 .13 .11
موريطانيا	91
مايوركة	77
مضيق ميسين	83
مملكة الأراغون	.13 .12 .11
ممكلة النفار	11
مملكة البرتغال	11
مملكة غرناطة	.94 .14 .13 .12 .11
مرسية	.113 .16 15

متيجة	.116 .113 .86 .71
مالقة	.127 .110 .18.16
ن	
نيس	.84 .83 .52
س	
سرقسطة	14
سردينيا	.131 .127 .76
سوسة	73
ع	
عنابة	.116 .113 .87 .76 .74 .73 .71 .39 .32 .30 .22
ف	
فرنسا	.159 .158 .155 .145 .132 .117 .110 .54 .52 .49
فاس	.135 .134 .133 .132 .129 .116 .114 .110 .26
ص	
صفاقس	73
ق	
قرطبة	.107 .16 .15
قسنطينة	.141 .116 .115 .113 .87 .73 .71 .25 .23
قبرص	.161 .153 .151 .150 .148
ر	
رأس الرجاء الصالح	27
رأس ماتيفو	79
ش	
شرشال	.121 .120 .119 .116 .115 .114 .113 .110 .72 .59 .53 .41 .39 .38 .31 .23 .155
ت	
تلمسان	.130 .129 .116 .114 .110 .109 .108 .101 ,87 .84 .40 .39 .25 .24 .23 .22 .133 .132 .131

تونس	22. 32. 41. 49. 70. 71. 72. 73. 74. 76. 78. 101. 107. 108. 109. 110. 114. 129. 143. 148. 152. 153. 154. 160. 161. 165.
تنس	23. 31. 39. 41. 86. 109. 113. 155. 157.
ث	
تاجوراء	139. 140.
غ	
غاليبولي	47. 127.

فهرس الأعلام

المكان والبلد	رقم الصفحة
أ	
السلطان عبد الحق	17.
أبا سعيد المريني	17.
أبو عبد الله الصغير	18.
الزغل	18.
أبي يحي بن محمد الزياني	23.
البابا ألكسندر السادس	29.
أبو حمو الثالث	39. 40.
أحمد بن	41. 70. 72. 120.

القاضي	
أندري دوريا	53. 72. 73. 75. 76. 78. 82. 136. 151.
المواركة	94. 100. 102. 105.
الونشريسي	111.
أبي مدين	109.
أشرف برسباي	126. 129. 165.
أبي حسون الوطاسي	133.
العلج علي	125. 141.142. 143. 145. 146. 147. 148. 149. 151. 152. 153. 154.155. 156. 157. 160.161. 161. 165.
أحمد بن الحسن الحفصي	153.
أحمد المنصور	156.
إيدين رايس	111.
إلياس	34. 36.
إسحاق	16. 34. 39. 66.
ب	
بيدرو نافارو	32.
بايزيد الثاني	41. 48. 126. 160. 165.
د	
دون دييغو	30.
دالكو دايت	85.
درغوث رايس	140. 141.

دون خوان	.104 .103
هـ	
هنري رابع	.117 . 18
هوجودي مونكادا	.70
ح	
حسن الحفصي	.153 .73 .41
حسن بن خير الدين	.139 .138 .137 .133 .132 .131 .125 .86 .85 .66 .164 .161 .160 .141
حسن فتريانو	.157
ي	
يحي بن يحي الوطاسي	.17
يعقوب بن يوسف	.35
ك	
كمال رايس	.165 .160 .127 .125 .112
كريستوف كولمبس	.27
م	
محمد الفاتح	.139 .126 .48 .34
مارتان فرغار	.71
مولاي الحفصي	.72
مولاي أحمد	.74

ماركي دي غاست	.83
محمد بن أمية	.146 .104 .103
محمد بن أبي يوسف الثغري	.109
محمد الشيخ السعدي	.136 .135
مراد الثالث	.156
عروج	.43 .42 .41 .40 .39 .38 .37 .36 .35 .43 .33 .09 .44 .50 .51 .65 .66 .70 .79 .82 .111 .120 .125 .126 .128 .160 .164
س	
سعدو نصر	.18
سالم تومي	.120 .39 .38 .32 .31 .23
سليم الأول	.51 .48 .42 .41
سليم الثاني	.151 .149 .147 .143 .141 .47
سليمان القانوني	.137 .136 .133 .132 .94 .53 .52 .49 .48 .43 .42 .139
سنان باشا	.165 .154 .140
ف	
فرسان القديس يوحنا	.150 ..140 .139 .49 .36 .34
فرانسوا الأول	.84 .83 .52
فليب الثاني	.153 .152 .148 .145 .144 .110 .106 .102
فيليب الثالث	.158 .117 .105

فوركفو	.155
ر	
رمضان بن تشولاق	.141
ش	
شارل الخامس	.53.52.72.74.75.76.77.81.82.83 .139 .135 .134 .114 .102 .84 .154
خ	
خير الدين	.46 .44 .43 .42 .41. 40 .39 .38 .36 .34 .33 .31 .65 .63 .58 .57 .56 .55 .54 .53 .52 .51 .50 .47 .81 .79 .78 .77 .76 .75 .74 .73 .72 .71 .70 .66 .121 .120 .116 .112 .111 .87 .85 .84 .83 .82 .165 .161 .133 .131 .129 .128 .126 .125
خيمينس	.97 .31 .29

بيبليوغرافيا الموضوع

قائمة المصادروالمراجع العربية والمعرّبة:

1. ابن الأحمر: **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان** ، تقديم وتحقيق: هاني سلامة، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، بورسعيد.

2. ابن الأحمر إسماعيل: **روضة النسرين في دولة بني مرين**، المطبعة الملكية، الرباط 1926م.

3. الادريسي أبي عبد الله الشريف **:القارة الافربقية وجزيرة الاندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق** ،تحقيق وتعليق ،إسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1983م.

4. إيرقنغ واشنطن: **أخبار سقوط غرناطة** ، ترجمة: هلاين يحي نصري، ط 1، مؤسسة الإنتشار العربي ،بيروت 2000م.

5. بربروس خير الدين: **مذكرات خير الدين** ، ترجمة: محمد دراج، ط 1، شركة الأصالة للنشر، الجزائر 2010م .

6. البستاني الفريد: **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر** ، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد 2002م.

7. بفايفر سيمون: **مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر**، تعريب: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974م.

8. التامكروتي علي بن محمد: **التحفة المسكية في السفارة التركية 1589 م**،ط1،دار السويدي أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة2007م.

9. التنسي محمد بن عبد الله: **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية، 1985م.

10. الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت **:معجم البلدان**،د،ط ، دارصادر للنشر ،بيروت لبنان،ب س.

11. الحميري محمد بن عبد المنعم : **الروض المعطار في أخبار الأقطار** ، تحقيق: إحسان عباس، ب ط، دار القلم، بيروت، لبنان.

12. الجزائري محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر** ، تعليق ممدوح حقي، مؤسسة الأمير عبد القادر، الجزائر 2001م، ج1.

13. ابن الخطيب لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد بن عبد الله عنان، ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة1974م، ج2.

14. خوجة حمدان بن عثمان: **المرآة**، تعريب: محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت، الجزائر 1983م.

15. ابن أبي الدينار أبي عبد الله محمد أبي القاسم الرعيني القيرواني: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط1، المطبعة التونسية،تونس 1986م.

16. رايت جون: ليبيا منذ أقدم العصور، تعريب: عبد الحفيظ الميار وأحمد اليازوري، ط 1، دار الفرجاني، ليبيا 1972م.

17. الزركشي ابن عبد الله محمد بن إبراهيم: **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق وتعليق: محمد ماضود، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، بدون سنة.

18. الزهارأحمد شريف: **مذكرات شريف الزهار نقيب أشراف الجزائر** ، تحقيق: أحمد توفيق المدني، ش. و.ن.ت، الجزائر 1980م.

19. الزياني محمد بن يوسف: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران** ، تقديم وتعليق: المهدي بوعبدلي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر2007م.

20. السليماني أبو عبد الله الأعرج: **تاريخ الجزائر بين قيام الدولة الفاطمية ونهاية ثورة الأمير عبد القادر عن كتاب الشماريخ القسم الثاني وجزء من القسم الثالث** ، تحقيق: حساني مختار، المكتبة الوطنية الجزائرية، بدون سنة.

21. شالر وليام : **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر (1816–1824م)**، تعريب: إسماعيل العربي، ش. و. ن. ت، الجزائر 1982م.

22. الطرابلسي أحمد بك النائب الأنصاري: **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب** ، مكتبة الفرجاني، ليبيا 1899م.

23. الطرابلسي محمد بن خليل بن غليون: **تاريخ طرابلس الغرب المسمى بالتذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار**، نشر وتعليق وتصحيح: الطاهر أحمدالزاوي الطرابلسي، المطبعة السلفية ،1349هـ.

24. الفاسي علي ابن أبي زرع: **الذخيرة السنية في أخبار الدولة المرينية**، الرباط1972م.

25. كاربخال مارمول: **إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، ج 2، الرباط 1988–1989م، ج2.

26. مجهول: **غزوات عروج وخير الدين** ، تصحيح وتعليق : نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية،الجزائر 1934م.

27. المراكشي ابن عذارى: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، تحقيق وتعريب: ج.س كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963م.

28. المزاري آغا بن عودة: **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م**، تحقيق: يحي بوعزيز، ط1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2007م، ج1.

29. المكناسي أحمد بن محمد: **درة الحجال في أسماء الرجال** ، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور: مكتبة دار التراث، القاهرة، ب س ,ج3 .

30. المقري أحمد محمد التلمساني: **نفح الطيب من غصن الأنلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1988م، ج4.

31. الناصري أبو العباس أحمد بن خالد: **الإستقصار لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولة المرينية)**، دار الكتاب، 1954م، ج3.

32. النائب الأنصاري أحمد بن الحسن: **نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان**، تقديم وتعليق: محمد زينهم محمد غرب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ليبيا 1994م.

33. الوزان الحسن: **وصف إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي وآخرون، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983م، ج2.

قائمة المراجع العربية والمعربة:

1. .أشنهوعبد الحميد بن أبي زيان: **دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**، ط2، الجزائر 1972م

2. التر عزيز سامح: **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية** ، ترجمة: محمود علي عامر، ط 1، دار النهضة العربية ، بيروت 1988م.

3. إينالجيك خليل: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار، ترجمة: محمد، م، أرنارؤط، ط1، دار الكتب للوطن، بنغازي، ليبيا 2002م.

4. بروفنسال ليفي: **حضارة العرب في الأندلس**، تعريب: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون سنة.

5. بروكلمان كارل: **تاريخ الشعوب الإسلامية** ,ترجمة :نبيه أمين وفارس منير بعلبكي ,ط 5,دار العلم للملايين ,بيروت 1973م.

6. البشتاوي عادل سعيد: **الأندلسيون المواركة**، دار الكتب للنشر، القاهرة 1983م.

7. بوحوش عمار: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997م.
8. بوعزيز يحي: **الموجزفي تاريخ الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007م ،ج2.
9. بوعزيز يحي: **علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا (1500– 1890م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1890م.
10. بولوتان إي باراتشينا دون باسكوال: **الموريسكيون الإسبان ووقائع طردهم** ، ترجمة وتعليق: كترة الغالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1433هـ/ 2012م.
11. بيضون جميل وآخرون: **تاريخ العرب الحديث** ، ط 1، دار الأمل للنشر والتوزيع، الجزائر 1991م.
12. التميمي عبد الجليل: **الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني**، ط1، مطبعة الإتحاد العام التونسي، تونس 1984م.
13. الجمل شوقي عطا الله وإبراهيم عبد الله عبد الرزاق **: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر** ،ط2، دار الزهراء، الرياض 1422هـ/2002م.
14. الجمل شوقي عطا الله : **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس ، الجزائر، المغرب)**، ط1، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة 1977م.
15. جوليان شارل أندري: **تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى 1830م**، تعريب: مزالي محمد وآخرون، ط 2، الدار التونسية للنشر، تونس 1983م.
16. حجي عبد الرحمن علي: **مع الأندلس لقاء ودعاء** ، ط 1، دار القلم، دمشق وبيروت 1400هـ-1980م.
17. الحسن عيسى: **الدولة العثمانية عوامل البناء وأسباب السقوط**، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2009م.
18. حليم إبراهيم بك: **تاريخ الدولة العثمانية العلية**, ط1,مؤسسة الكتب الثقافية, بيرو ت ,لبنان 1988م .
19. بن خروف عمار: **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى في القرن (10هـ/16م)**، دار الأمل للنشر والتوزيع، الجزائر 2006م، ج1.

20. الدسوقي ناهد إبراهيم: **دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر** ، ط 1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2008م.

21. راشد زينب عصمت: **تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن 16م إلى نهاية القرن 18م**، دار الفكر العربي، القاهرة، ج1.

22. رزوق محمد: **دراسات في تاريخ المغرب** ، ط 1، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء 1991.

23. روسي إيتوري: **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م**، ترجمة وتقديم: خليفة محمد التليسي، ط1، الدار العربية للكتاب، الاسكندرية 1974م.

24. ريمون أندريه: **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني** ، ترجمة: لطيف فرج، ط 1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة 1991م.

25. الزبيري محمد العربي: **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث** ، المؤسسة الجزائري للنشر، الجزائر 1975م .

26. سالم أحمد: **السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م**، مؤسسة شباب الجامعية، الإسكندرية 2011م.

27. سالم عبد العزيز والعبادي أحمد مختار: **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس** ، دار النهضة العربية، بيروت 1969م.

28. سبنسر وليام: **الجزائر في عهد رياس البحر** ، تعريب وتقديم: عبد القادر زبادية، ب ط، دار القصبة للنشر، الجزائر 2006م.

29. سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي** ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998م، ج1.

30. سعيدوني ناصر الدين: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة** ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ، الجزائر 1988م، ج2.

31. شاكر مصطفى: **الأندلس في التاريخ**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1990م.

32. شريف محمد الهادي: **تاريخ تونس** ، تعريب: محمد الشاوش وآخرون، ط 3، دار السراسل للنشر، تونس 1993م.

33. الشطشاط علي حسين: **نهاية الوجود العربي في الأندلس** ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2001م

34. الشناوي عبد العزيز محمد: **أوربا في مطلع العصور الحديثة**، ط4، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة 2011م، ج1.

35. الشناوي عبد العزيز: **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها** ,مكتبة أنجلو المصرية للنشر,القاهرة1980م,ج1.

36. شوفالييه كورين: **الثلاثون سنةالأولى لقيام دولة مدينةالجزائر(1510–1541)**، ترجمة: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007م.

37. الشيخ رأفت: **تاريخ العرب الحديث** ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر 1994م.

38. الصلابي محمد علي : **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط** ، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة 2005م.

39. عامرمحمود علي وفارس محمد خير: **تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب وليبية)**، منشورات جامعة دمشق، ج2، سورية 1999– 2000م.

40. عبادة عبد الفتاح: **سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها في الإسلام** ، مطبعة الهلال، مصر 1913م.

41. العبادي أحمد مختار: **تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2008 م

42. العسلي بسام: **خير الدين بربروس والجهاد في البحر (1480–1547م)**، ط1، دار النفائس، بيروت 1980م .

43. عقاب محمد طيب: **قصور مدينة الجزائر في العهد العثماني**، دار الحكمة، الجزائر، بدون سنة.

44. علي محمد عبد الكريم : **غابر الأندلس وحاضرها**، ط1، المطبعة الرحمانية، مصر 1923م.

45. .أبو علية عبد الفتاح حسن: **الدولة العثمانية والوطن العربي الكبير**، دار المريخ للنشر، القاهرة 1429هـ/2008م.

46. عمورة عمار: **الموجز في تاريخ الجزائر**، ط1، دار ريحانة للنشر، الجزائر 2002م.

47. عنان محمد عبد الله : **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين**، ط3، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر 1999م.

48. غطاس عائشة: **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها** ، د ط، منشورات المركز الوطني، الجزائر 2007م.

49. فارس محمد خير: **تاريخ الجزائر الحديث**، ط1، مكتبة دار الشرق، بيروت 1969م.

50. فرغلي إبراهيم: **تاريخ وحضارة الأندلس**، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة2006م .

51. فلاحة محمد خير: **الخلافة العثمانية المهد إلى اللحد** ، 2005م.

52. فيشر هربرت: **أصول التاريخ الأوربي الحديث**، ط3، دار المعارف، القاهرة،2001م.

53. قنان جمال: **معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619–1830م)**، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 2007م.

54. قنان جمال: **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1600–1830م)**، دار الهومة، الجزائر 1987م.

55. لونيسي رابح: **محاضرات وأبحاث في تاريخ للجزائر** ، ب ط، كوكب العلوم للنشر والتوزيع، دون سنة.

56. لوي كارداك : **الموريسكيون الأندلسيون المسيحيون** ، ترجمة وتعريب: عبد الجليل التميمي، ط1، منشورات المجلة التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجزائرية، تونس 1983م.

57. مانتران روبير: **تاريخ الدولة العثمانية** ، ترجمة: بشير السباعي، ط 1، دار الفكر للدراسات والنشر، ج1، القاهرة، 1993م.

58. المحامي محمد فريد بك: **تاريخ الدولة العلية العثمانية** ، تحقيق: إحسان حقي، ط 1، دار النفائس، بيروت 1981م .

59. المدني أحمد توفيق: **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة العربية، القاهرة 2001م.

60. أبو مصطفى كمال: **جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي** ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1997م.

61. مؤنس حسين: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة الأسرة، 1992م.

62. المطوي محمد العروسي: **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986 م .

63. موسى عز الدين عمر :**دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، ط1، دار الشروق، 1983م.

64. الميلي مبارك بن محمد: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث** ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر 1964م ، ج3 .

65. مينوكال ماريا روزا: **الأندلس العربية إسلام الحضارة وثقافة التسامح** ، تعريب: عبد المجيد جحفة ومصطفى جباري، ط1، دار توبقال للنشر، دار البيضاء، المغرب 2006م.

66. نايت بلقاسم مولود قاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م**، ط1، دار البعث ،قسنطينة 1985م، ج1.

67. نوار عبد العزيز سليمان: **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ب ط، دار الفكر العربي، القاهرة.

68. نوار عبد العزيز سليمان ، وجمال الدين محمود محمد : **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**، دار الفكر العربي، القاهرة 1999 م.

69. هلايلي حنيفي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1، دار الهدى، الجزائر 2008م.

70. هلايلي حنيفي : **بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني** ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2007م.

71. هلايلي حنيفي: **التاريخ الأندلسي الموريسكي**، دار الهدى، الجزائر 2010م .

72. وولف جون. ب: **الجزائر وأوروبا (1500- 1930م)**، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، دار رائد للنشر، الجزائر2009م.

73. ياغي إسماعيل أحمد: **العالم العربي في التاريخ الحديث**، ط1، مكتبة العبيكان، ، الرياض، 1997 م .

74. يحي جلال: **تاريخ إفريقيا الحديث والعاصر**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2010م.

75. يحياوي جمال: **سقوط غرناطة ومأساة الأندلس (1492- 1610م)**، دار هومة للنشر، الجزائر 2009م.

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

1. Belhamissi Moulay i **: Histoire de la Marine Algérienne (1 516 -1830),** ENAL ; Alger, p79.
2. Braoudel Fernand : Les Méditeranée et le monde méditerranée L'epoque de philippe2, T2, 2éme édition, libratrie Armand colin, Paris 1966,P18.
3. Chevallie Corine r : **Les trente premières Annts de l'état D'Alger 1510-1541**, office des publications universitaires, Alger 1988, p 48.
4. Grammant De : **histoire D'Ager sous la domination turque (1515-1830**), Paris 1887, p21.
5. Kaddache Mahfoud : **L'Algérie durant la période attamane**, office des puplications universitaires, Alger, 2002, p68. 69.
6. Haédo de Diégo : **Histoire des rois d'Alger**, traduit par, H.D.DE Grammant, Adolphe jourdan, libraire, éditeur, Alger 1881, p19.

المقالات و الدوريات باللغة الاجنبية :

1. Broudel Fernand : **Les Espagnoles et L'Afrique du Nord de 1492- 1577**, **in R. A**. Alger 1928, T19.
2. Charles Feraud : « **conqueté de bougie par les Espangoles d'après un mancrit arabé** » **in R.A** ،N° 12. 1868.
3. Devoulx **: La Marine de la régence d'Alger** in R.A.N°13 , 1969.
4. la Primaudaie De elie : **"Documents endits sur l'histoire de l'occupation espagnoles en Afrique (1506-1574)** ", **in R.A**, N°20, 1875.

المقالات والدوريات العربية:

1. بلحميسي مولاي: "**غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر بين المصادر الإسلامية والمصادر الغربية**"، **في مجلة الأصالة**، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 08، الجزائر، ماي –جون 1972م.

2. بوشنافي محمد: "**مساهمة عروج بن يعقوب في مواجهة الخطر الإسباني على المغرب الأوسط (1512–1518م)**"، **في مجلة العصور التاريخية** ، العدد 4 و 5، مخبر مصادر وتراجم، وهران 2003– 2004م.

3. التميمي عبد الجليل: " **الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين** "، **المجلة التاريخية المغاربية** ، العدد 23-24، 1981م.

4. التميمي عبد الجليل:" **رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541م**"،**في المجلة التاريخية المغاربية**،العدد3،تونس ،جانفي1975م

5. جحيدر عمار: " **الجهاد البحري في العصر الحديث**" :**في مجلة كلية الدعوة الإسلامية** ، مجلة إسلامية وثقافية، العدد5 ، طرابلس 1988.

6. دغيم محمود السيد: " **تاريخ البحرية العثمانية حتى نهاية عهدالخليفة سليم الثاني**"، **مقال في مجلة الحضارة الإسلامية وعلم البحار (بحوث ودراسات)** ,منشورات اتحاد المؤرخين العرب القاهرة 1944م.

7. الدولاتي عبد العزيز :**" أضواء تاريخية على بحيرة تونس"**،في **المجلة التاريخية المغاربية**، العدد 3، تونس 1975م.

8. سعيود إبراهيم: **"القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة (القرصنة الإيطالية نموذجاً)"**، **في مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، عدد 11، قسم التاريخ، جامعة غرداية، غرداية2011م.

9. سهيل جمال: " **ملامح من شخصية الجزائر خلال القرن 11هـ/17م**"، **في مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، العدد 13، المطبعة العربية، غرداية 2011م.

10. العبيدي علي: " **الحملة الإسبانية على مدينة الجزائر 1541م وأثرها على توازن القوى في غرب المتوسط**"، **في مجلة العصور التاريخية**، العدد 16-17، مخبر مصادر وتراجم، وهران، ب سنة.

11. علاوي نسبية عبد العزيز الحاج ومحمد خيضر رابحة : " **موقف الدولة العثمانية من محنة مسلمي الأندلس** "، **في مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية** ، المجلد 7، العدد 3، فلسطين 2012م.

12. قداش محفوظ: **الجزائر في العهد التركي**، **مجلة الأصالة**، العدد52، مطبعة البعث، الجزائر، ديسمبر 1977م.

13. قطب عمر بكر محمد: " **الأبعاد النفسية للمحنة الموريسكية**" ،**دورية كان التاريخية** ،العدد9 ،سبتمبر 2010م

14. نايت بلقاسم مولود قاسم: **لمحة عن مجد الجزائر وديمومة شخصيتها البارزة عبد العصوروالأعاصير، في مجلة الثقافة**، العدد 85، ب س.

15. هلايلي حنيفي: " **التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني** "، **في مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية**، العدد 24، دار الهدى للطباعة، عين مليلة، الجزائر 2007م.

الرسائل الجامعية:

1. الأعرج نضال مؤيد مال الله عزيز: **الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني(706هـ /685 هـ / 1286م/1306م)، دراسة سياسية وحضارية** ، رسالة ماجستير، تحت إشراف عبد الواحد ذنون طه ,جامعة الموصل 2004م.

2. درويش الشافعي : **علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن (10هـ/16م)**، رسالة ماجستير، تحت إشراف عمار بن خروف ,معهد التاريخ، جامعة غرداية، غرداية 2010-2011م،

3. رضوان نبيل عبد الحي: **جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس وإسترداده في مطلع العصر الحديث**، رسالة ماجستير، تحت إشراف محمد عبد اللطيف البحراوي ,كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى 1987م.

4. سي يوسف محمد : **قليج علي باشا ودوره في البحرية العثمانية**، رسالة ماجستير،تحت إشراف أبو القاسم سعد الله، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 1988م.

5. صالح كليل: **خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لإحتلال المغرب الأوسط** ، رسالة ماجستير، تحت إشراف علي أجقو ,قسم التاريخ، جامع باتنة , باتنة 2006، 2007م.

6. غطاس عائشة: **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع (1619-1694م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف الدكتور مولاي بلحميسي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر 1984/1985م.

7. . فكاير عبد القادر: **الصراع الجزائري الإسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن (10هـ/16م)**، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر 2000-2000م.

8. بن قومار جلول: **معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا (1578م–1603م)**، رسالة ماجستير، تحت إشراف عمار بن خروف ,قسم التاريخ، جامعة غرداية، غرداية 2010–2011م.

الموسوعات والأطالس:

1. عبد عاطف: **قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم (تونس، الجزائر)، موسوعة تاريخية وجغرافية وحضارية**، بيروت، 1998– 1999م ، ج21 ,ج22 .

2. الكاتب سيف الدين وآخرون: **أطلس تاريخ الحضارات (أطلس التاريخ الحديث)**، ط1، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان 2006م .

3. محفوظ محمود محمد واخرون **:الموسوعة العربية الميسرة** ،ط 1،دار الجيل ،المجلد 1،بيروت 2001م.

فهرس الموضوعات

العنوان الصفحة

شكر و عرفان

الاهداء

قائمة المختصرات

مقدمة ..... أ-ح

الفصل الأول : الوضع السياسي لإسبانيا والمغرب الإسلامي مطلع القرن (10هـ/16م) 10-44

أولا – الوضع السياسي لإسبانيا 10-21

1– الوحدة الإسبانية..... 10-13

2– سقوط غرناطة..... 14-21

ثانيا– الوضع السياسي للمغرب الإسلامي 22-44

1 – ضعف دويلات المغرب الإسلامي..... 22-25

2 – الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية..... 26-32

3 – بروز الأتراك العثمانين 33-40

4 – إرتباط الجزائر بالدولة العثمانية..... 41-44

الفصل الثاني : البحرية الجزائرية بين النشأة والتطور 46-87

1– نشأة البحرية الجزائرية..... 47-55

2– هياكل البحرية الجزائرية 55-69

1)أنواع السفن 55-59

2)طائفة رياس البحر..... 59-62

3)رتب طاقم السفن والمراكب 62-65

4)الأسرى والغنائم البحرية..... 66-69

3 – نشاط البحرية الجزائرية 70-87

الفصل الثالث :الأندلسيون الموريسكيون عقب سقوط غرناطة (897 هـ 1492م)... 90-123

1)– التعريف بالأندلسيين الموريسكيين..... 90-95

2)– تدهور أوضاع الأندلسيين 96-106

3)- هجرات الأندلسيين إلى الجزائر 123-107
الفصل الرابع: جهود الأتراك العثمانيين في إنقاذ مسلمي الأندلس 161-125
1 - جهود عروج وخير الدين..... 130-126
2 - جهود حسن بن خير الدين وصالح رايس..... 142-131
3 **-جهود العلج علي** 161-143
خاتمة 165-163
الملاحق 179-167
الفهارس 190-181
بيبليوغرافيا 205-191

الملخص:

العنوان: دور البحرية الجزائرية في غرب البحر المتوسط خلال القرن (10ه /16م)

-إنقاذ مسلمي الأندلس نموذجا-

نظرا للأوضاع التي شهدها الحوض الغربي للبحر المتوسط استطاعت إسبانيا بعدما كانت عبارة عن ممالك منفصلة من توحيد المملكتين قشتالة و الأراغون بزواج الملكين الكاثوليكيين فرناندو وايزابيلا ،فبتوحد الممالك النصرانية تفرقت قوة المسلمين الغرناطية، وذلك بسقوط آخر معقل للمسلمين بالأندلس المتمثل في غرناطة عام1492م.فاستغلت اسبانيا هذا الوضع ، وصوبت أنظارها باتجاه بلدان الشمال الافريقي الذي كان عبارة عن فسيفساء سياسية بسبب بروز ثلاث كيانات سياسية متناحرة فيما بينها تمثلت في دولة بني عبد الواد بالمغرب الاوسط ، وبني حفص بالمغرب الأدنى ، وبني مرين بالمغرب الأقصى الأمر الذي أدى إلى غزوه من طرف الاسبان .

وفي هذه الأثناء برزت قوة بحرية عظمى لها مكانتها، تمثلت في الأتراك العثمانيين الذين بفضل جهودهم استطاعت الجزائر من الالتحاق بالدولة العثمانية، و استطاعت من انشاء أسطول قوي لا يقل خطورة على أساطيل الأوروبية ، إذ يرجع الفضل إلى الأخوين بربروس ، ومن تبعهم من رؤساء البحر المجاهدين من تكوين هاته القوة فبفضل مقومات الأسطول الجزائري العثماني استطاعت البحرية

الجزائرية من صد الحملات الصليبيةخلال القرن (10ه/16م) أبرزها حملة شارلوكا ن 1541م التي منيت بهزيمة كبرى بلغ صداها إلى كامل أرجاء أوربا ، والعالم العربي.

وأمام تزايد الخطر الإسباني في الحوض العربي للبحر المتوسط تمكنت البحرية الجزائرية من توطيد العلاقات الجزائرية العثمانية من خلال مشاركة الأسطول الجزائري إلى جانب الأسطول العثماني في معظم معاركه ضد القوى المسيحية التي كانت هي الأخرى تشكل تحالف يهدف للسيطرة على غرب البحر المتوسط ،و تحقيق مشاريعها التوسعية .

إن جهود الدولة العثمانية ودورها في انقاذ مسلمي الأندلس قد برز من خلال الاهتمام البالغ الذي أظهرته الدولة العثمانية لقضية الموريسكيين مع الدول الأوروبية ، فكانت أولى المساعدات في عهد السلطان بايزيد الثاني ،والتي كانت متمثلة في السفن والسلاح إلى جانب قادة البحر الذين كانوا يقاومون الإسبان حتى في عقر داره م أمثال: كما ل رايس،و ايدين رايس وعروج و خير

الدين الذي استطاع خلال سبع سفرات أن يوجه 36 بارجة لنقل 70 الف موريسكي خلال عام 1529م.

استطاع حسن بن خير الدين أن يسجل انتصارا كبيرا على الاسبان في مستغانم ليخلص وهران ،و ليفتح الطريق للأندلس .في حين تمكن صالح رايس من تحقيق الوحدة السياسية بين كل أجزاء الجزائر ثم اتجه إلى غزو اسبانيا .

استطاع العلج علي في سنة 1568م من تدعيم ثورة الأندلسيين بجبال البشارات بالسفن المسلحة ،و الجنود ذوي الخبرة لمساندة اخوانهم الموريسكيين .إذ لعب هذا الأخير دورا بارزا في معركة ليبانت1571م التي تحطم فيها الأسطول الجزائري العثماني ، إلا ان العلج علي استطاع من انقاذ عدد منه ، في حين استطاع من تحرير تونس عام 1574م إلحاقها بالدولة العثمانية .

و هكذا تواصلت جهود العثمانيين لإنقاذ مسلمي الأندلس إلى غاية صدور قرار الطرد النهائي عام 1610م رغم العوائق التي واجهت الدولة العثمانية لتحقيق مشروعها العظيم و هو استرداد الأندلس.

Résumé :

Le titre: Le rôle de la marine algérienne à l'ouest de la Méditerranée au cours du siècle (10 hégire / 16)

- Le sauvetage des musulmans de l'Andalousie comme modèle -

En raison des circonstances que connu le bassin occidental de la Méditerranée, l'Espagne a pu, après avoir été des royaumes dispersés, unifier les deux royaumes de Castille et d'Aragon, à travers le mariage des deux rois catholiques Fernando et Isabella, par suite de l'unification des royaumes chrétiens, la vigueur grenadine des musulmans a été dispersé, par la chute du dernier bastion des musulmans en Andalousie celui de Grenade en 1492. L'Espagne a profité de cette situation, en dirigeant ses regards vers les pays d'Afrique du Nord, ce qui était une mosaïque politique en raison de l'émergence de trois entités politiques ennemies entre elles représentées dans l'état de Beni Abd El Oued, Beni Hafs et Beni Merine, ce qui a conduit à l'invasion par les Espagnols.

En ce moment là, une grande puissance navale est apparue d'une importance majeure, représentée par les Turcs ottomans qui, grâce à leurs efforts, Algérie a pu adhérer à l'Etat ottoman, et a réussi à établir une solide flotte qui n'est pas moins dangereux que les flottes européennes, grâce aux frères Barberousse, qui ont été suivis par des chefs de la mer les moudjahidines pour construire cette puissance, grâce aux éléments de la flotte ottomane, la marine algérienne a pu repousser les campagnes croisades durant le siècle (10 hégire / 16), notamment la compagne de Charlokane en 1541 qui a subi une défaite majeure s'élève à résonner en toute l'Europe et dans le monde arabe.

Face à la menace croissante des Espagnols dans le bassin arabe de la méditerranée, la marine algérienne a pu renforcer les relations Algéro-ottomanes grâce à la participation de la flotte algérienne à côté de la flotte ottomane dans la plupart de ses combats contre les forces du christianisme qui, à leurs tour, formaient une alliance qui visait à contrôler l'Ouest de la Méditerranée, et de réaliser leur projets expansionnistes.

Les efforts de l'Empire ottoman et son rôle dans le sauvetage des musulmans d'Andalousie a émergé à travers le grand intérêt manifesté par l'Empire ottoman à l'affaire des Mauresques avec les pays européens, la première aide a été sous le règne du Sultan Bayezid II, qui a été représentée par des navires et des armes ainsi que les dirigeants de la mer qui résistaient aux Espagnols, même dans leurs territoires comme: Kamal Rayes, Eddine Rayes, Arroudj et Khair-Eddine qui a pu durant sept voyages diriger 36 navires pour transporter 70000 Mauresques au cours de l'année 1529.

Hassan ben Khair-Eddine a pu réaliser une grande victoire contre les Espagnols à Mostaganem pour sauver Oran, et pour ouvrir la voie pour l'Andalousie. Tandis que Salah Rayes a pu réaliser l'unité politique entre toutes les parties de l'Algérie, puis il a tourné à l'invasion de l'Espagne.

En 1568 El hadj Ali a pu soutenir la révolution andalouse dans les montagnes de Bacharates par des navires armés et des soldats expérimentés pour soutenir leurs frères Mauresques. Ce dernier a joué un rôle très important dans la bataille de Libante en 1571, où la flotte Algéro-ottomane a été détruite, mais El hadj Ali a réussi à sauver une partie, comme il a pu libérer la Tunisie en 1574 et l'a attaché à l'Etat ottoman.

Ainsi les efforts Ottomans se poursuivaient pour sauver les musulmans d'Andalousie jusqu'à la publication de la décision finale de l'expulsion en 1610, en dépit des obstacles rencontrés par l'Empire ottoman pour réaliser son grand projet qui est la récupération de l'Andalousie.